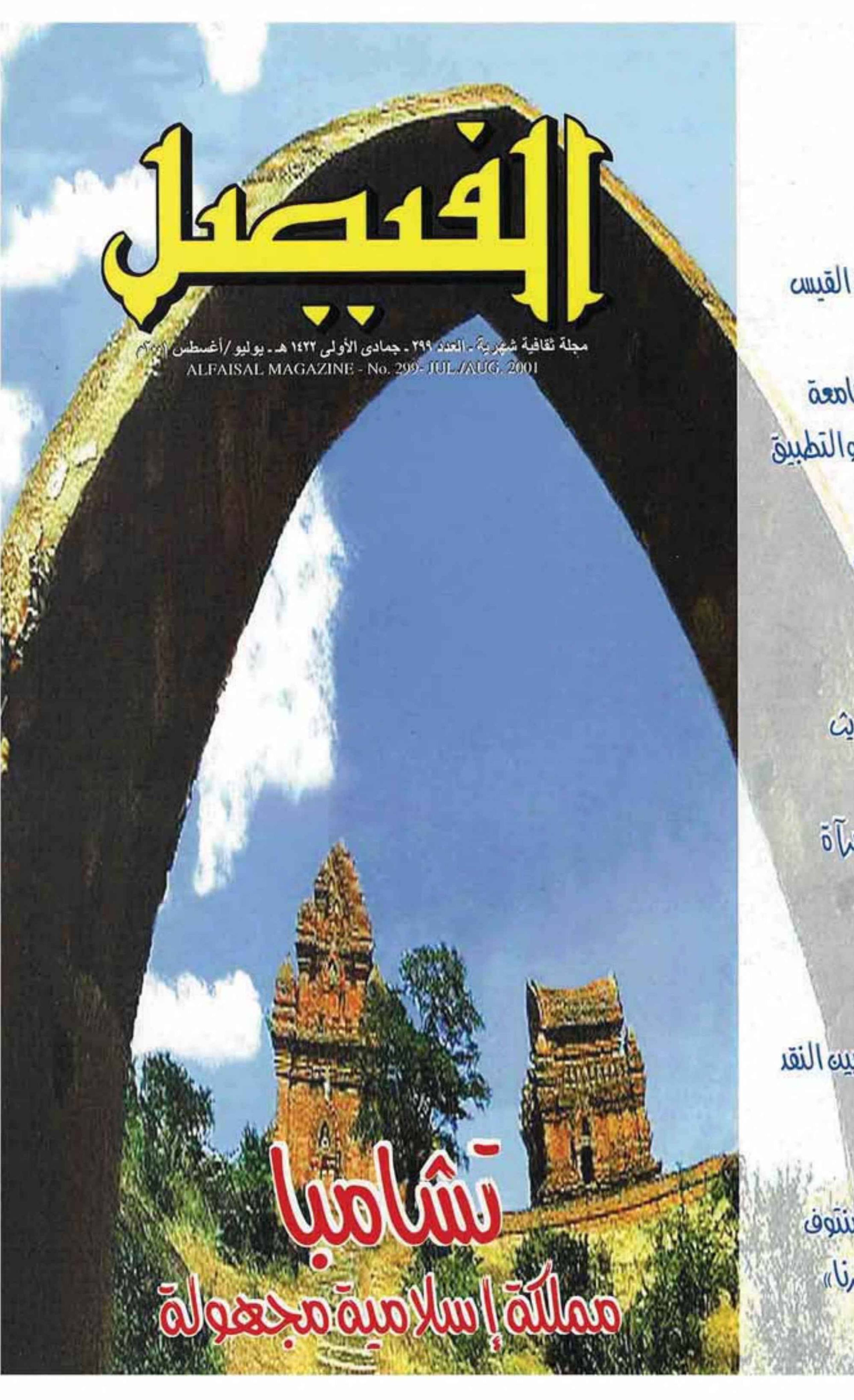


- مرات مدينة امرئ القيس
- إسلامية الجامعة بين النظرية والتطبيق
- زحف الخواء
- الزنجبيل والعلم الحديث
- هل الماضي مرآة المستقبل؟
- السعافين: لا مواجهة بين النقد والإبداع!
- ميخائيل ليرمنتوف و«بطل عصرنا»


الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

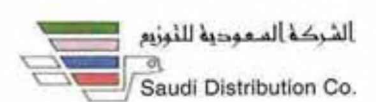
السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

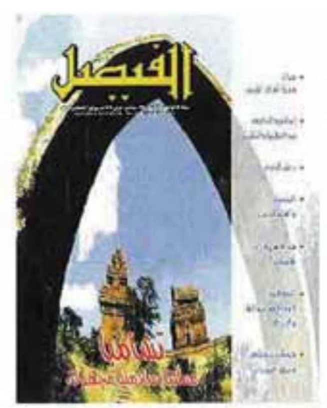
الموزعون

السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١، ٩٦٣٠٠، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣ نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٢١٦٠٠، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤٠٠، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٩٦٢٠٠، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١٠٠، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D.PRESSE لتوزيع الصحافة ـ ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣٠٠، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥٠٠، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCO ـ SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32، باكستان PAKISTAN

PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.

الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨





تشامبا: مملكة إسلامية مجهولة

مملكة تشامبا ظلت قائمة من القرن الثالث الميلادي حتى القرن الثامن عشر، وكان التشام يدينون بالهندوكية حتى دخلها الإسلام وأصبحت مملكة إسلامية. بعد أن هبط إليها بعض العلويين الفارين من بطش الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل الأمويين. والآن يمثل شعب التشام أقلية عرقية بين ٥٣ أقلية أخرى يشكلون ١٢٪ من مجموع سكان فيتنام.. وماذا بعد؟!

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ٠٢٥٨ ـ ١١٤٠

الفيصل الملك الإنسان

وكعادتي وأنا أطالع الفيصل قال لي صاحبي: عنوان المجلة هذا يعود إلى السيف (الفيصل) والحسام.. أم إلى الملك فيصل يرحمه الله تعالى.

قلت: هما الاثنان معاً: فمؤسس المجلة هو الملك فيصل، يرحمه الله تعالى، وهذا منذ ما ينيف على ٢٤ عاماً، الفيصل هو الملك فيصل الملك الإنسان الذي أفنى عمره خدمة للعلم والمعرفة، وتضحية في سبيل القضايا المصيرية والعادلة للأمة العربية والإسلامية.

والفيصل هو السيف أو الحسام الفاصل بين جيّد الإعلام ورديئه، غثه وسمينه. وإننا، اليوم أكثر من أي وقت مضى، في أشد الحاجة إلى إعلام دائم منتظم مثل الفيصل (متنوعة شاملة) والتي أصبحت تطرح، وبكلّ قوة علمية، الثقافة وعالميتها؛ وهذا من خلال أبوابها المختلفة.

كما أود أن أبدي جملة اقتراحات وهي:

ـ في ركن الملف الثقافي، وبالضبط في إصدارات، نرجو كتابة عناوين مطابع أو دور نشر الكتب التي تعرضون عناوينها؛ وذلك ليتسنى لنا مراسلة ما نراه نافعاً ومفيداً لنا، وهذا على غرار عناوين المجلات والدوريات.

ـ أقترح إعادة كتابة عناوين الموضوعات الرئيسة بخط اليد مثلما كانت عليه في السابق، وهذا لخصوصية الحرف العربي عن غيره من الخطوط.

أنا من قراء المجلة منذ ١١ سنة تقريباً، ولكن بصفة غير منتظمة، ومنذ سنتين أصبحت تصلنا، ولله الحمد، بانتظام إلى مكتبة دار الشباب، ويستفيد منها جُل شباب المؤسسة ولا سيما الطلبة والباحثين.

ودمتم في خدمة العلم والمعرفة والسلام عليكم.

يوسف بولعراس

مكتبة دار الشباب، وعضو الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية ـ دار الشباب محمد البشير الإبراهيمي ـ خنقة سيدي ناجي ٠٧٢٨١ ولاية بسكرة ـ الجمهورية الجزائرية

التحرير:

نشكر لك هذا الاعتزاز بالفيصل الملك الإنسان، وبالمجلة التي تحمل اسمه العزيز، ونفيدك أن «الفيصل» قام بتأسيسها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل تخليداً لذكرى شهيد العروبة والإسلام الملك فيصل، ثم أهداها إلى مؤسسة الملك فيصل الخيرية لتصبح فرعاً من فروعها الكثيرة، العاملة جميعها في ميادين العمل الخيري.

أما اقتراحاتك فسوف ننظر فيها لنرى أفضل السبل إلى تنفيذها بما يحقق الأغراض التي أشرت إليها، كما نود الإشادة بخطك الجميل الذي يدل على مدى اعتزازك بالعربية التي شرفها الله، بأن أنزل بها كتابه العزيز.

فلتفرح

أهنئكم على النقلة الجديدة في شكل المسابقة، ولكن لدي وجهة نظر أرجو أن يتسع صدركم لها، كما عودتمونا، بالنسبة إلى مجموعة الكتب، ماذا لو تحولت هذه المجموعة (كما في مجلة الكويت مثلاً) إلى مرافق للجائزة ـ الجائزة إلى جانب عدد من الكتب، كإهداء؛ لأنكم بصراحة تعلمون أن هدف أغلب القراء هو الفوز النقدي لحالة المواطن العربي المادية المتردية، وهذا كسب حلال لا غبار عليه، ثانياً الجائزة المالية فرج وعون ما بعده عون يفرح بها القارئ حيثما كان وتصبح تذكاراً أبدياً له من مجلته الحبيبة «الفيصل».

وبالنسبة إلى الأخت ندى عوني، أحب أن أقول لها: اصبري يا أختي، ولا تتمرعي، فالصبر جميل ومأمول، وغيرك كثيرون ينتظرون الجائزة ويصبرون.

شيء آخر دعنا نفرح لأولئك الفائزين مثلما نفرح لأنفسنا، فلهم الحق كل الحق مثلما هو لنا والذي أطعمهم تلك الفرصة ـ لا شك ـ سيطعمنا إياها. كما أنني قد شاركت بكوبونين للمسابقة أرجو أن يدخل أحدهما؛ لأنه بقي لي السؤال الأخير عن الشاعر، ومع أني ـ حدساً ـ أرجح المقنّع الكنديّ، لكني، وهكذا يقيناً، سيدخل أحدهما وليبارك جهودهم الله.

أمل حامد سالم قاسم

ص.ب: ٩٢٨٣٩٩ ـ عمان ـ الأردن

التحرير:

نشكر لك اقتراحك، وما تضمنته رسالتك من روح الإيثار والتفاؤل. ونأمل لجميع القراء الفوز بإحدى جوائز المسابقة.

منتدى علمي لا مجلة

الحمد لله القائل في كتابه الحكيم «*يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا*» الحجرات: ١٣، والقائل أيضاً: «*وتعاونوا على البر والتقوى*» المائدة:٢، والصلاة والسلام الأزكيان الأغليان الألذان على نبي العرب والعجم.

وبعد: فأول ما أطرز به عنق هذه البرقية الغراء هو شكري الخالص وتعظيمي وتقديري الجليلين الفائقي الوصف النابعين من صميم القلب لما تسديه إلينا مجلتنا الحبيبة العديمة النظير والشبيه من حصائل معلوماتية، وكميات ثقافية مزدانة بالاختلاف والتنوع مما يذكي ويشعل فتيلة الرغبة، ويثير زوابع الولع وينبّه في داخل الفكر عوامل نزّاعة وشديدة الميل إلى إيقاظ عيون الفكر لينتبه على ساحة الثقافة العربية الأصيلة. هذا وأحب أن تنعموا بالاً كما أود أن ترتاحوا وتقَرُّوا عيوناً بما أعلمكم به من أنني سبق لي في ما غبر أن تتبعت كثيراً من الدوريات التي يصدرها وطننا العربي تتبعاً لا

يعرف الفتور مُنقّباً وباحثاً من خلاله عن دورية تلائم طبعي، وتناسب مزاجي العلمي، فألفيت الكل - من وجهة نظري - لا يسمن ولا يغني من جوع، ثم لما أراد الله لي الوقوف على المبتغى، والظفر بالمأمول صرف رغبتي عن تلك الدوريات كلها إلى جديدة - بالنسبة إلي شابة فتية - يزينها الرونق العلمي، والطلاوة الثقافية؛ إنها مجلة «الفيصل» التي لست أبالغ، ولا أبعد عن الحقيقة إن قلت في حقها: إنها أم رؤوم لكل عربي خالص أصيل العروبة، إنها شمس تنير دنيا العلم. تشرق غرة كل شهر عربي من مهبط الوحي، ومهد الحضارات الإسلامية. لا غرو - إذن - أن تتبوأ مجلة الفيصل تلك المكانة المرموقة العالية في قلوب أصدقائها. إنني لا أنظر إليها على أنها مجلة أو دورية، بل أتصورها - بيقين واقتناع - منتدى علمياً ثقافياً يضم طاقة متباينة من الآراء والأفكار، إنني عندما أشرع في تصفح صفحاتها أحس كأنني داخل قاعة تُلقى فيها العروض في شتى المجالات، لما تحمله من الزاد العلمي الإسلامي المتنوع، الذي ينعش الضمائر، ويمد الأفكار، ويروي العقول. على أني لا أملك الآن من أعداد هذه المجلة إلا أربعة مما يرجع أمره إلى المذكور عما قليل، أي: إلى حداثة العهد بها، ولكن سنجعلها نقطة ابتداء للتتبع لتكون طلائع ميثاق وعهد على المواظبة والاستمرار، وتصميم العزم على اقتناء كل عدد صادر منها فيما يأتي، مهما دارت الأحوال وتغيرت الأوضاع. وإذا كان الأمر كما قلنا فإنني أرغب إلى القراء الأعزاء المحترمين بأن يديموا مواصلتهم مشكورين لاقتناء كل عدد صادر من الفيصل.

وأؤكد لهم بجزم وقطع أن لا مجلة ترتقي إلى درجة الفيصل.

هذه شهادتي الموثقة والمؤكدة لمجلة «الفيصل» فاقبلوها مني مع ما أرفقه بها من الشكر الحار والتقدير الفائق والتحايا المعسولة النابعة من صميم الفؤاد إلى كل فرد من أسرة المجلة.

محمد التمراوي

مدرسة أبي مروان - تزنيت - المغرب - الرمز البريدي ٨٥٤٥٣

التحرير

ننشر لك رسالتك كاملة حسب رغبتك، شاكرين لك ثقتك الغالية، وآملين أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء.

سؤال غير الله مذلة

أما آن الأوان لمثلي أن يفوز ولو مرة في حياته بمسابقة مجلتنا «الفيصل».

أنا على أمل وثقة كبيرة من القائمين والمشرفين على مجلتنا «الفيصل» بالمصداقية بما يقولون ويعدون، صدقوني يا إخواني بأنه شاب شعر رأسي وأنا منتظر الأمل المفقود، ولم أجد إلا الدعاء أكرره مراراً وتكراراً «*اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب*» آل عمران: ٢٦، ٢٧. رحمان الدنيا والآخرة، ورحيمهما تعطي من تشاء منهما، وتمنع من تشاء ارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»، وكما قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: مادعا به امرؤ إلا استجيب له. صدق رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى.

عبدالرحمن محمد هائل

ص.ب: ٣٦٤٠ شارع العدل - صنعاء - اليمن

التحرير:

ندعو لك بالفوز إن شاء الله في أحد الأعداد القادمة، لأننا لا نملك لك إلا الدعاء، لأن الفائزين يتم تحديدهم بالقرعة، ونحيلك إلى رسالة القارئة أمل حامد السابقة التي فيها كثير من الأمل والحمد في انتظار الفرجة، كما تقول.

ردود سريعة

الأخ موسى حامد محمد حامد - ذمار - اليمن:

اقتراحك بنشر أسماء الذين توصلوا إلى الإجابات الصحيحة حتى يطمئن من لم يحالفهم الحظ بالفوز بأن رسائلهم قد وصلت، نراه اقتراحاً جيداً، ولكن كثرة من يتوصلون إلى الإجابات الصحيحة قد تحول دون تنفيذه، والرسائل التي نرد عليها في هذه الزاوية هي تلك التي تحمل آراء وأفكاراً تستحق الرد أو التوضيح.

الأخ إبراهيم أحمد حسن علي - قفط - قنا:

دائرة المعارف عن «الأوزون» جاءت في عدد واحد هو العدد (٢١٧)، ودائرة المعارف عن قاموس الألوان عند العرب جاءت في أربع حلقات من العدد (١٨٧) إلى العدد (١٩٠)، ونفيدك أن أي دائرة معارف جاءت على حلقات ترى فيها رقم الحلقة واضحاً، أما إذا خلت من الترقيم، فيعني أنها حلقة واحدة فقط.

الأخ موسى طرية - الجلفة - الجزائر:

نشكر لك تثمينك دور المملكة في محيطيها العربي والإسلامي، ونأمل أن تكون مجلتك دوما عند حسن الظن، أما موضوع تاريخ اليهود واغتصابهم فلسطين، فقد تناولته المجلة في أعداد كثيرة، بل أصدرت ملحقاً خاصاً عن القدس من منطلق دورها التثقيفي والتنويري للشباب العربي.

الأخ هاشم حمادي - دمشق - سورية:

لقد تعذر إرسال مكافأتك لعدم وجود عنوانك الجديد، لذا نأمل موافاتنا بالعنوان كاملاً.

الإخوة كتاب «الفيصل»:

نأمل من الإخوة الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحروف اللاتينية على حسب الرسم الذي في وثائقهم الرسمية التي يتعاملون بها مع المصارف، للتيسير عليهم عند صرف مكافآتهم.

مرات
مدينة امرئ القيس

عبدالله عبد العزيز الضويحي
تصوير: محمد بن عبدالرحمن الموسى
مرات - السعودية

تقع مدينة مرات في وسط المملكة العربية السعودية تقريبًا بالمنطقة الوسطى في منطقة الوشم بنجد، بين دائرة العرض ٣٠ - ٢٥ شمالاً، وبين خط الطول ٤٥ - ٤٥ شرقًا، ملاصقة جنوبًا لجبل كميت المشهور على طريق الحجاز القديم. وكُمَيْت - بضم الكاف وفتح الميم وإسكان الياء - مأخوذ من الكمتة، وهو اللون البني بين الأحمر والأسود.

يقع هذا الجبل في مدينة مرات، ويشرف عليها من الجهة الشمالية، وهو جبل منتصب يُرى من بُعد، وفي المثل: اضمن لي «كميت» أضمن لك «مرات»، والمراد إذا كان هذا الجبل الذي تراه هو جبل «كميت»، فأنا أضمن لك «مرات»؛ لأنها تحته، مبالغة في القرب والملازمة.

وهو مشهور عند أهل البلد وغيرهم، واسمه مقترن «بمرات»، فحينما يذكر «كميت» ترتسم صورة مرات أمام السامع، وقد جاء ذكر «كميت» في أشعار أهلها وغيرهم.

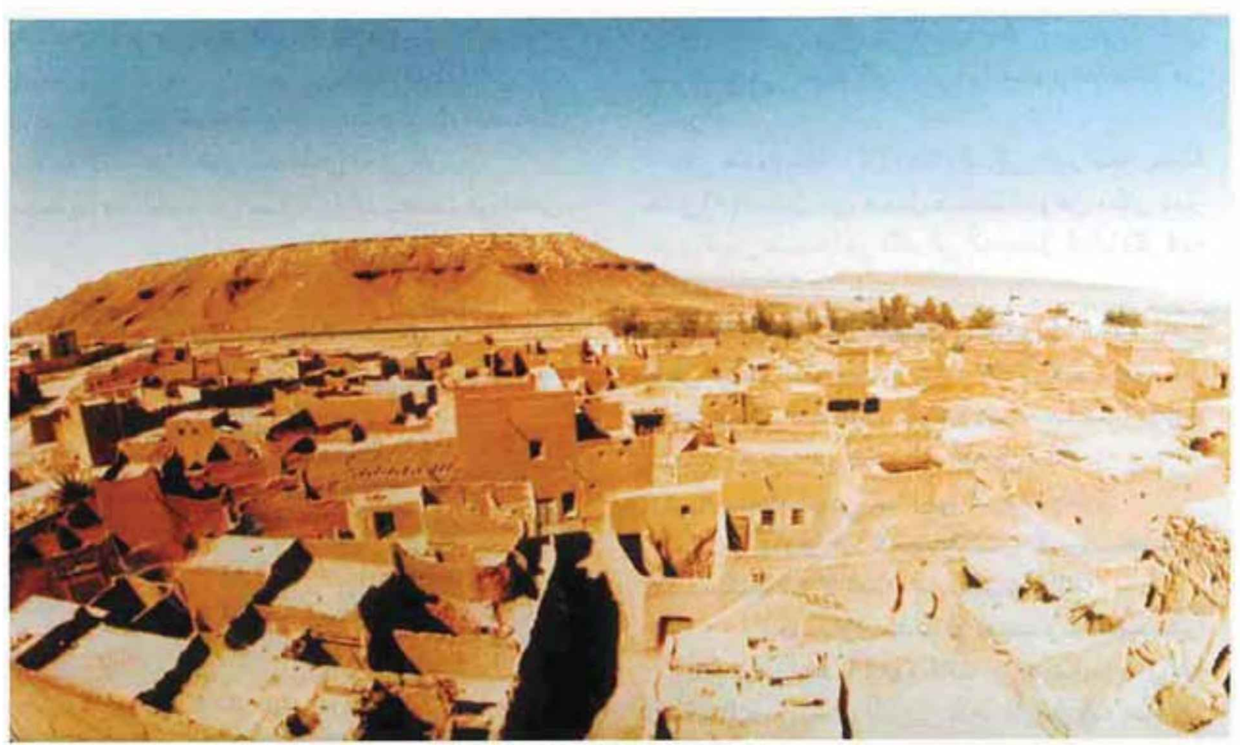
تبعد عن مدينة الرياض، إلى الشمال الغربي، ١٥٠ كيلاً تقريباً، يخترقها طريق الحجاز القديم، فقد كانت سوقًا تجارية كبيرة تقدم فيها جميع خدمات المسافرين في جميع الاتجاهات، ومحطة استرخاء للحجاج الوافدين من الشرق، وبعد تطور المدينة، أخذت في الاتساع والتمدد نحو الغرب والشمال والجنوب الغربي من موقعها القديم، حتى أصبحت تتكون من مخططات وأحياء جديدة مستكملة المرافق من الشوارع والمدارس والخدمات الأخرى.

وهي بلدة أثرية قديمة لا يُعرف زمن إنشائها، وذكرت في كتب الديار بلفظ «مرأة».



اسم امرئ القيس

جاءت تسمية مرات بتاء مربوطة، وجاءت



مرات القديمة ويلاحظ جبل كميت شمالها

بناء مفتوحة، وقد تضاربت كتب الأدب في كتابتها. وقيل: إن مرات مشتقة من اسم امرئ القيس الكندي، وقيل من اسم امرئ القيس التميمي، وفي تسميتها بهذين الاسمين عدة أقوال.

يقول فؤاد شاكر في كتابه «رحلة الربيع» ما معناه: إن «مرات» كان اسمها «المقراة»، ولا غرابة أن تختفي القاف بمرور الزمن لتصبح «المقراة» مرات مؤكداً أنها بلدة الشاعر امرئ القيس الكندي بدليل قوله:

فتوضح فالمقراةِ لم يَعْفُ رسمُها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

ولكنني لا أتفق معه في هذا التحليل، فقد أورد الحافظ ابن عساكر(١) أن هذه المواقع معروفة في «حوران». وقد ذكر المؤرخ سعد الجنيدل أن هناك مكاناً آخر باسم «المقراة» قريب من حومل وتوضح، وتقع هذه الأماكن شمال مرات بمسافة طويلة.

وذكر الدكتور محمد بن سعد الشويعر شيئاً من هذا معللاً بوجود مكان يقال له «المقراة» بالقرب من شقراء.

يقول فؤاد حمزة: إن تسمية مرات مشتقة من اسم امرئ القيس الكندي(٢) الذي امتدت مملكة أبيه وسط الجزيرة العربية مما جعل هذا الشاب يسرح ويمرح فيها من شمالها إلى جنوبها، ويرحل مع صويحباته في أرجائها. وقد تكون «مرات» أو موقعها محطة من محطاته الرئيسة التي يستقر بها فترة من الزمن.

وتحدث «يوسف ين»(٣) بأن مرات قرية امرئ القيس شاعر نجد وشاعر العرب أيضاً. إلى أن يقول: ولعل «كُمَيت» هذا والغدير يحفظان في أخبارهما أيام ذلك الشاعر على ظهريهما.

أما ابن بليهد(٤) فيؤكد أنها بلد امرئ القيس التميمي ويقول: إن كانت الشمس تلتبس على أحد فهذا الموضوع يلتبس علينا، ولو أن كميتا الجبل المطل عليها ينطق لأقسم بالله إنه لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندي، بل ولم يمر بها في تجولاته؛ لأنه لم يذكر من الموضوعات موضوعاً قريباً منها، ولا في جميع نواحيها، ومن ذكر من أهل العجم أو من الكتّاب أن الدخول وحومل وتوضح والمقراة ومأسلا ودارة جلجل في اليمامة فقد أخطأ، وغلطة أعظم من غلط من قال: إن مرات هي بلد امرئ القيس الكندي، بل المواضع التي مر ذكرها موجودة بأسمائها، يرى بعضها من بعض، وهي في عالية نجد الجنوبية منها،

وبلدة «مرات» هي إحدى قرى الوشم من جهته الجنوبية، ويستطرد قائلاً: أحب أن أشير إلى خطأ وقع فيه كثير من الباحثين في المواضع، وهو الاعتقاد أن بلد الشاعر صاحب المعلقة هي: «مرات» المعروفة في الوشم.

ومنشأ هذا الخطأ: أن «مرات» قد نسبت في بعض



بئر خالد بن الوليد «الوليدي»



بئر صداء

مؤلفات القدامى إلى امرئ القيس، ولكن اسم امرئ القيس اسم شائع في العهد الجاهلي، واشتهر به كثير من الشعراء.

وفي حدود سنة ١٣٤٠هـ، وفد إلى «مرات» رحّالة هندي(٥) يسأل عن «جبل كميت»، وعن مكان قبر امرئ قيس مستنداً في ذلك إلى أنه يحمل كتاباً ذكر فيه هذا القبر.

وقد يكون هذا القبر قبر امرئ القيس إلا أنه ليس امرأ القيس الكندي المعروف تاريخياً؛ لأنه لم يقبر «بمرات»، فقد ذهب إلى بلاد الروم حينما وصله نبأ مقتل والده، واستشار قيصراً في الأخذ بثأر أبيه في قوله:

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه
وأيقن أنّا لا حقان بقيصرا
فقلت له لا تبكِ عينُكَ إنما
نحاولُ ملكاً أو نموتَ فنُعذرا

ولكن قيصراً بعدما أنجده خاف من بطشه نتيجة وشاية وصلت إليه من بعض المقربين منه، فأرسل إليه هدية هي حلّة محلاة بماء الذهب، وعندما لبسها تساقط لحمه، وتبددت الجروح في جسده، فألجأه الموت إلى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له «عسيب» بأرض الروم «تركيا حاليًا» فكتب هنالك شعراً.

أجارتَنا إن الخطوب تنوب
وإني مقيمٌ ما أقام عسيب
أجارتَنا إنا غريبان ها هنا
وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

وقد مات هناك. وهذا دليل واضح على أنّ امرأ القيس الكندي لم يمت «بمرات» كما زعم بعض الكتّاب، كما لا توجد أي علاقة لهذا الشاعر تشير إلى أنه هو المقصود بامرئ قيس «مرات»؛ من هنا يتضح لنا تماماً أن امرأ القيس الكندي «صاحب المعلقة» لا علاقة له بهذه البلدة، وفي جميع التراجم والكتب المتحدثة عنه وعن مولده وشعره ووفاته لم يرد ما يعزز وهْم أولئك الكتّاب الذي نسبوه إلى «مرات». والحقيقة أن اسم امرئ القيس شائع في العهد الجاهلي، واشتهر به عدد من الشعراء وغيرهم. ففي «ديوان امرئ القيس» للأستاذ حسن السندوبي مقدمة ماتعة عن أخبار «المراقسة»(٦) استخلص فيها مجموعة كبيرة من الأسماء تربو على خمسة وعشرين

شخصاً، كلهم يطلق عليه اسم امرئ القيس استخلصها من مراجع كثيرة، وقد ذكر السيوطي في «المزهر»، واليسوعي في «شعراء النصرانية» عدداً كثيراً منهم، وما ذكر في مؤلفات أسلافنا صحيح وموثق، لكنّ امرأ القيس الذي نسبت إليه «مرات» ليس هو امرأ القيس بن حجر الكندي، وقد يكون منشأ هذا الخطأ من الاغترار بذكر امرئ القيس، وإنما هو امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم، وتميم هم سكان الوشم في العهد القديم، فمرات لبني امرئ القيس، وثرمداء لبني سعد، وأثيفية لبني يربوع من بني حنظلة الذين منهم بلال الشاعر، وذات غسل لبني العنبر(٧).

ومما تقدم يتضح لنا أنّ امرأ القيس بن حجر الكندي الشاعر المشهور لم يسكن مرات المعروفة في بلاد الوشم.

أما الفريق الآخر فينسبها إلى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم.

ففي معجم البلدان(٨) «ومرأة بالفتح ـ بلفظ المرأة من النساء ـ قرية بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم باليمامة، بشطر اسم امرئ القيس، بينها وبين ذات غسل مرحلة، على طريق النباج، ولما قتل مسيلمة، وصالح مجّاعة خالدا على اليمامة لم تدخل «مرأة»«« في الصلح فسُبي أهلها، وسكنها حينئذ بنو امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم فعمروا ما والاها حتى غلبوا عليها».

وفي معجم ما استعجم(٩).. «ومرأة ـ بفتح أوله على لفظ الواحدة من النساء ـ قرية كان يسكنها هشام المرئي».

وفي معجم اليمامة(١٠). «ومرأة ذكر في كتب المنازل والديار، فهي بلاد امرئ القيس بن تميم، وقد وهم بعض الباحثين فظنها بلاد «امرئ القيس بن حجر الكندي».

وفي بلاد العرب للأصفهاني(١١) «وجلّ الوشم لـ «بني امرئ القيس: مرأة، وثرمداء، وأثيفية، والقصيبة، وذات غسل، والشقراء، وأشيقر».

وورد في الأغاني(١٢) «مرأة منزل لامرئ القيس بن زيد مناة به ماء ونخل».

وقد أكد كل من العلامة حمد الجاسر، والدكتور صالح العلي، على قوله امرئ القيس بأنه: امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم.

كما نهج الهمداني(١٣) هذا المسلك مؤكدا أن امرأ القيس هو «امرؤ القيس التميمي». وأثبت الأديب عبدالله بن خميس في جميع كتاباته عن «مرات» أن المقصود هو امرؤ القيس بن زيد مناة التميمي من قبيلة «تميم» بالوشم.

ويتضح مما تقدم أن «مرات» بلدة قديمة لا يعرف تاريخ إنشائها بالضبط، وأكبر دليل على ذلك نسبتها إلى امرئ القيس التميمي، أو امرئ القيس الكندي، وكلاهما



أول مدرسة ابتدائية نظامية بمرات افتتحت في سنة ١٣٦٩هـ

جاهليان، ويوجد بها من المعالم التاريخية ما يؤكد ذلك، كبئر الوليدي نسبة إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولا تزال موجودة إلى الآن. قيل: إنه أمر بحفرها عند مروره «بمرات» في طريقه إلى حروب الردة ومحاربة «مسيلمة الكذاب» في اليمامة. وسيرد ذكرها بالتفصيل مع ذكر الأماكن الأثرية بمرات.

وقد مر ذكر بلدة «مرات» في كتاب الأصفهاني «بلاد العرب»، وهو من علماء القرن الرابع الهجري (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) وأيضاً عند الهمداني (... ـ ٣٣٤هـ) في كتابه «صفة جزيرة العرب» وهذان المؤرخان هما أقدم من تحدث عن بلاد العرب، وقد حددا موقع كل موضع ومكانه مر بهما اسمه، وقد أخذ عنهما فيما يبدو ياقوت الحموي

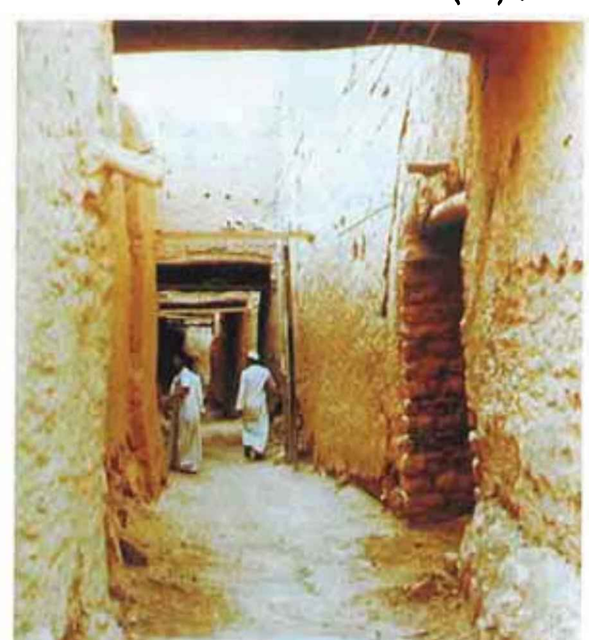
(٥٧٤هـ - ٦٢٦هـ) في «معجم البلدان».

وقد جاءت مرات في أشعار ذي الرُّمَّة (٧٧ - ١١٧هـ)، وهو من شعراء العصر الأموي في أثناء خلافة عبدالملك بن مروان حين هجا أهلها لحاجة في نفسه، وقد نسبها في ذلك الشعر إلى امرئ القيس، ولم يبين أنه ابن زيد مناة بن تميم فسكت عنه، لأنه معروف عند الناس، وليس المقصود غيره في ذلك الوقت، وبلاد الوشم بأكملها مساكن بني تميم كما سلف ذكره.



سوق مرات القديمة وبجوارها المسجد الجامع

وجاء في تاريخ حمد بن لعبون «ومن تميم أيضاً بنو امرئ القيس بن زيد مناة الشاعر، ومنهم هشام الذي كان يهجوه ذو الرمة. قال الحرماز: مرَّ جرير بذي الرمة فقال يا غَيْلان أنشدني ما قلت في المرئي فأنشده أبياتاً مطلعها(١٤):



أحد الأسواق القديمة المسقوفة

نبت عيناك عن طلل بحزوى
عفته الريح وامتنع القطارا».

وخلاصة ما سبق أنّ امرأ القيس الكندي ليس له أيّ صلة «بمرات»، وعلماء المنازل والديار لم يذكر أحد منهم أن المقصود هو الكندي، ولم يتطرق إليه أي مؤرخ، وقد ثبت أن المقصود «امرؤ القيس التميمي»، ومعظم مؤرخي عصرنا أكدوا هذا كالبليهد، والجاسر، وابن خميس، وسعد الجنيدل، والدكتور محمد الشويعر، في كتاباتهم وبحوثهم عن مرات.

وقد تضاربت الكتابات في كيفية كتابة «مرات» بالتاء المربوطة (مراة) أو التاء المفتوحة (مرات)، ففي معجم البلدان كتبت (مَرْأة) بلفظ الواحدة من النساء. يقول الشاعر «عمارة بن عقيل» وهو من بني تميم:

ويوم (مَرْأة) إذْ وليتم رفضا
وقد تضايق بالأبطال واديه

وقيل أيضاً: إن تسمية (مراة) بتاء مربوطة مأخوذة من امرئ القيس، وهناك قول يذهب إلى أنها مشتقة من قول امرئ القيس في معلقته:

فتوضحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمُها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

هذا ما ذكره «فؤاد شاكر» في كتابه «رحلة الربيع» يقول:



صورة لمرات التقطت قديماً (١٩٤٥م - ١٣٦٥هـ)

«إن مرأة هي المقراة، ولا غرابة أن تختفي القاف بفعل الزمن، فمئات السنين التي لحست ملايين البشر لا يستغرب أن تلحس القاف لتصبح «المقراة»: مراة.

ورأي يقول: إن (مرات) أصله (مرآة الوشم) فكأن من يراها من مشارقها يرى بلاد الوشم.

ورأي آخر يعلل تسميتها بـ «مرآة الوشم»؛ لأنها أولى قرى الوشم للمسافر من الرياض إلى الحجاز، وأكبر بلدان الوشم وأقدمها وأكثرها تنظمياً.

وقد يكون لفظ (مرات) بالتاء المفتوحة مأخوذة من اسم (المُروت) القريبة من (مرات) وتقع غربها. فقد قال ابن منظور(١٥): إن المرات والمُرُوت الأرض التي لا كلأ فيها وإن مُطِرت، والجمع (أمرات) و (مُرُوت).

ووردت برسم (مرات) في القاموس المحيط من المروت وهي الأرض التي لا نبات فيها، والكثيرة الرمال المتحركة.

ويوجد الآن وثائق وصكوك عند بعض الأهالي منذ أكثر من منتي عام رسمت فيها بلفظ (مراة)، كما أن جميع الكتب القديمة ومكاتبات الأهالي وأختام الدوائر الحكومية القديمة بهذا اللفظ نفسه.

ولا ننكر أنه ورد في بعض كتب التاريخ القديمة كتابتها بتاء مربوطة، وهي الآن بتاء مفتوحة لأنها مرّت كغيرها من المدن التي تغيرت صورة كتابتها ولفظها على مراحل مع الزمن كسامراء مثلاً مدينة بالعراق كان اسمها في زمن المعتصم بالله بلفظ (سُرّ مَن رأى)، ثم في وقت آخر تحول اسمها إلى لفظ (ساء من رأى)، ثم تحولت لفظاً ورسماً إلى (سامراء)، ومدينة (مرات) مرت بمراحل هي الأخرى (مرأة - مرآة - مراة - مرات) ولا أظن أن هذا سيقلل من شأنها تاريخياً.

من تاريخ مرات القديم

أشرنا فيما سبق إلى أن بلدان الوشم كانت تقطنها قبائل بني تميم، و(مرات) من ضمن هذه البلدان، وتعدّ من أقدم بلدان الوشم، إذ تؤكد المراجع القديمة من مؤلفات القدماء أنها قديمة، وقد مر بنا ذكر بلدة (مرات) في كتاب الأصفهاني «بلاد العرب» وهو من علماء القرن الرابع الهجري، وكذلك كتاب الهمداني «صفة الجزيرة العرب»، وكذلك ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان».

ويؤكد صاحب «القاموس المحيط» أن أول من سكن (مرات) قبيلة (باهلة) ثم قبيلة (تميم)، ومع مرور الزمن كثرت القبائل بها كأي بلد آخر من بلدان المملكة العربية السعودية، وتوالت السنون عليها، وقد وُلّي عليها عدد من الأمراء قديماً نذكر منهم - مثلاً - راشد بن إبراهيم العنقري الذي تولى إمارتها سنة ١٠٨٤هـ(١٦) وحتى نهاية سنة (١٠٩٣هـ) حيث قتل، وجاء بعده عبيكة بن جارالله العنقري، وقتل كذلك في نحو عام ١٠٩٦هـ، وفي سنة

١١١٥هـ تولى إمارتها إبراهيم بن جارالله العنقري، إلا أن ذلك لم يدم فقد خرج منها سنة (١١٢١هـ)، واستولى عليها مانع بن ذبّاح العنقري. وبعد مرور ثلاث سنوات دارت بين آل ناصر من العناقر وأهل (مرات) المعركة المشهورة (الظهيرة) سنة ١١٢٤هـ، وتملك إبراهيم بن جارالله الذي رجع مرة ثانية وقتل مهنا بن بشر بن ذبّاح(١٧). وفي حدود سنة ١٢٨٨هـ تولى إمارتها عبدالله بن حميد. أما عبدالرحمن بن حمد بن دايل فقد تولى إمارتها من سنة ١٢٨٩هـ حتى نهاية سنة ١٣٣٩هـ. وجاء من بعده ابنه إبراهيم بن عبدالرحمن بن دايل الذي تولى إمارتها من سنة ١٣٤٠هـ حتى سنة ١٣٥٩هـ.

ومن أشهر قضاتها قديماً حمد بن إبراهيم بن مشرف الذي قرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهّاب، وتزوج ابنته، وسكن الدرعية عنده، ومات سنة ١١٩٤هـ.

ثم الشيخ إبراهيم بن حمد بن مشرف الذي تولى القضاء في مرات، وتوفي شهيداً في معركة «الماوية»(١٨) في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ في (مرات): ثم الشيخ أحمد بن علي بن دعيج الذي تولى القضاء في (مرات) سنة ١٢٣٢هـ وتوفي رحمه الله سنة ١٢٦٨هـ بمرات، ولا يفوتني أن أنوه بأن هذا الشيخ، إلى جانب علمه، كان يقرض الشعر، وله أراجيز وقصائد في الأحداث التي توالت على المنطقة إبان تدخل إبراهيم باشا لمحاربة الدعوة السلفية، وله أرجوزة معروفة(١٩). ثم مرت على (مرات) فترة طويلة عانت منها سنين عصيبة صيّرتها الأيام شبه منعزلة ضمن بلدان نجد، ولم يذكر التاريخ عنها في تلك الفترة ما يستحق الذكر، غير أن الصراع ظل محتدماً بين قبائل نجد المختلفة في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية.

وبعد توحيد المملكة العربية السعودية على يد جلالة الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، استتب الأمن، فأصدر أمره الكريم بإقامة قصور كبيرة متماثلة على مسار الطريق بين الرياض والحجاز، منها قصر مرات، وقصر الدوادمي، وقصر المويه، وقد أمر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ببناء قصر مرات في أواخر سنة ١٣٥٠هـ، وخصصه جلالته ليكون مقراً للدوائر الحكومية المهمة آنذاك، وموقعه جنوب جبل (كميت) وشمال غرب (مرات) القديمة، وهو منعزل عنها بجوار طريق الحجاز، مبني من الطين واللبن، ومؤسس تأسيساً قوياً، وهو مربع الشكل، وبه أربع مقصورات موزعة على أركانه الأربعة، وبارزة عن بناء الجدار، لها شكل هندسي محكم، ويبلغ ارتفاع المقصورة نحو خمسة عشر متراً، ويبلغ ارتفاع الجدار عشرة أمتار تقريباً، صاغته أيد أبدعت في بنائه، ويبلغ ارتفاع محيط سور هذا القصر نحو خمسمئة متر تقريباً، وفور الانتهاء من بنائه انتقلت إليه محطة اللاسلكي التي كانت موجودة منذ سنة ١٣٤٥هـ، وكان عدد الموظفين فيها خمسة، يديرها في ذلك الوقت منصور الصالح والمهندس يوسف سالم، وتعمل على الموجة القصيرة، وبها تتأمن جميع مخابرات الحكومة والأهالي، وتعد من أقدم المحطات في المملكة. وكذلك استقرت به دائرة الشرطة التي كانت تزاول في ذلك الوقت نشاطاً كبيراً لأهمية هذا الموقع الإستراتيجي للسيارات الذاهبة والقادمة بين الحجاز والرياض. ويضم هذا المركز دائرة السجن ومحطة البنزين الخاصة بالملك عبدالعزيز - رحمه الله - والسيارات الحكومية العابرة هذا الطريق، وكانت المحطة حينذاك مجموعة من البراميل المملوءة بالبنزين والزيت والكيروسين. ولهذا القصر بوابة واحدة تجاه الجنوب لدخول السيارات وخروجها منها.

إحدى المقصورات بسور مرات



رقصات شعبية احتفالاً بالعيد

وبُني فيها أيضاً مسجد ومركز للبريد، وبه بئر قديمة جداً. وهدم جميع ما بني فيه قديماً واستُبدل به مبانٍ جديدة، وبقي الموقع مختصاً بمركز شرطة (مرات) حالياً، ومقاماً عليه مبني نموذجي جديد.

وفي مرات أماكن معينة كان يجلس فيها الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - في أثناء سفره إلى الحجاز، حيث يقيم فيها عدة أيام ليستكمل بقية رجاله، ويتفقد أحوال الناس، ويستقبل الوفود والمسلّمين عليه من القرى والبلدان المجاورة، وينظر في مطالبهم.

وقبيل وصول جلالته إلى مرات بأيام يهيأ المكان الخاص لإقامة جلالته، وتضرب الخيام أمام قصر مرات (قصر الملك عبدالعزيز)، وهو المكان الذي اعتاد جلالته الإقامة فيه عدة أيام، فتعد العدة الخاصة من قبل رجاله بمساعدة أمير مرات وبعض وجهائها.

وأود أن أشير إلى أن مدينة مرات - من حيث التنظيم الإداري للمملكة العربية السعودية- إحدى مدن منطقة الوشم المرتبطة إدارياً بمنطقة الرياض، وترتبط إمارة مرات منذ إنشائها بإمارة منطقة الرياض مباشرة، وهي تحظى، كغيرها من مدن المنطقة وقراها، باهتمام صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - حفظه الله - وسمو نائبه، ورعايتهما ومتابعتهما.

وقد حظيت في هذا العهد الزاهر بنصيب وافر من التطور في مختلف الميادين، فقد امتدت إليها يد الإصلاح والبناء والتطور منذ بداية عهد موحد الجزيرة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، طيب الله ثراه.

ولا تزال فيها مقومات التقدم في عهود أبنائه الملك سعود والملك فيصل والملك خالد، رحمهم الله جميعاً - وها هي ذي في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله ورعاه - تنعم بالكثير من أسباب الخير والرفاه، ولا تزال تتطلع إلى المزيد - إن شاء الله - من التقدم والازدهار.

التعليم في مرات

بدأ التعليم في مرات منذ القدم، فقد تلمذ للشيخ محمد ابن عبدالوهاب بعض طلبة العلم، كالشيخ حمد بن مشرف الذي توفي سنة ١٢١٤هـ(٢٠)، وكذلك الشيخ إبراهيم بن حمد بن مشرف الذي توفي سنة ١٢٣٢هـ، وتلمذ له الشيخ أحمد بن علي بن دعيج الذي توفي سنة ١٢٦٨هـ، حيث جلس للتدريس والوعظ.

ومنذ سنة ١٣٥٠هـ بدأ الوعي يدب في الأهالي، فقد كان الآباء يحرصون على تعليم أبنائهم تعاليم الدين على الطريقة القديمة، وخاصة قراءة القرآن الكريم وحفظه والحديث والفقه، فكانوا يتلقون دروساً في المسجد بعد

الصلوات أو في أوقات خاصة، وإذا حفظ الطالب «جزء عم» يزفه الشباب إلى دار أهله محمولاً على الأكتاف مرددين عبارة (خاتمين جزء عم والثلاثين) وإذا وصلوا إلى الدار يشربون القهوة أو أي شيء ميسور، وبعد ذلك فتح بعض المعلمين - المطوع - داره للتعليم الذي يقتصر على القراءة والكتابة، ثم أوجدت دار صغيرة مقابلة للمسجد الجامع القديم من جهته الجنوبية الشرقية يطلق عليها (المديرسة)، وفي سنة ١٣٦٩هـ، افتتحت أول مدرسة ابتدائية نظامية في (مرات).

وأول من افتتحها عبدالله الزوم وعيّن مديراً لها، وعبدالله العبدالكريم مساعداً للمدير، وسجل فيها ٧٨ طالباً أجريت لهم اختبارات لتقويم معلوماتهم وتحديد مستوياتهم.

وفي حدود سنة ١٣٧٧هـ، انتقلت المدرسة إلى المبنى الحكومي الجديد جنوب غرب سفح جبل (كميت) وعلى طريق الحجاز نفسه عن يمينه.

وكبرت المدرسة، وازداد عدد الطلاب مع تقدم الزمن حتى انتقال الأهالي إلى المخططات الجديدة التي وزعتها البلدية عليهم، وبنوا عليها مساكن على الطراز الحديث، وقد افتتحت المدرسة المتوسطة سنة ١٣٨٨هـ، في المدرسة نفسها، وأصبح يطلق عليها المدرسة الابتدائية والمتوسطة، ثم استؤجر للمتوسطة مبنى خاص بها في حي «الديرة»، ثم انتقل إلى حي «المدرجية»، وفي سنة ١٣٩٩هـ، افتتحت مدرسة ابتدائية ثانية أطلق عليها مدرسة «عبدالله بن مسعود»، واستؤجر لها أيضاً مبنى خاص حتى تم بناء مدرسة حكومية جديدة، وانتقلت إليها سنة ١٤٠٢هـ، في حي العزيزية، وفي سنة ١٤١٣هـ، افتتحت مدرسة ابتدائية ثالثة شرق البلد بـ (حي الكميت) أطلق عليها اسم مدرسة «خالد بن الوليد»، كما تم افتتاح مدرسة ثانوية في المدرسة المتوسطة نفسها سنة ١٣٩٧هـ، حتى استكمل المبنى الحكومي للمتوسطة والثانوية وانتقلت المدرستان إليه، وفي سنة ١٤١٦هـ، انتقلت الثانوية إلى مبنى مستقل مستأجر في حي الحزم. وتم أيضاً نقل المدرسة الابتدائية الأولى التي أطلق عليها اسم مدرسة «عمار بن ياسر» إلى مبنى حكومي جديد في «حي الحزم»، وفي سنة ١٤٠٨هـ، افتتحت وحدة صحية تابعة لمدارس مرات وتوابعها؛ وذلك في أحد أجنحة المدرسة المتوسطة إلى أن استؤجر لها مبنى جديد سنة ١٤١٢هـ، وفي عام ١٤١٨هـ، تم افتتاح مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.

أما بالنسبة إلى تعليم المرأة في (مرات) فقد بدأ منذ القدم، و يوجد في البلدة بعض النساء المتطوعات لتعليم النساء القرآن الكريم وبعض علوم الدين في بيوتهن.

وفي سنة ١٣٨٧هـ، تم افتتاح أول مدرسة نظامية للبنات أطلق عليها «المدرسة الأولى للبنات» وذلك في مبنى مستأجر، ولاقت إقبالاً هائلاً من الطالبات، بعد ذلك انتقلت إلى المبنى الحكومي الجديد، وفي سنة ١٣٩٧هـ، افتتحت المدرسة المتوسطة الأولى للبنات في المبنى نفسه.


سوق الخضار المركزي

وبعد انتقال معظم المواطنين إلى المباني الجديدة في الأحياء الحديثة تم نقل المدرسة الابتدائية من المبنى، وقسمت مدرستين: الأولى بمبنى حكومي في حي «كميت»، والثانية في مبنى مستأجر في حي «العزيزية»، وكان تأسيسها سنة ١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ، وقد افتتحت الثانوية للبنات سنة ١٣٩٩هـ، وفي سنة ١٤١١هـ، افتتحت مدرسة ابتدائية ثالثة للبنات في حي «الحزم»، كما افتتحت مندوبية البنات «بمرات» سنة ١٤٠٢هـ،

والتي أصبح لها أثر فعال في دفع دفة التعليم، ومتابعة مدارس البنات، والنظر في سد حاجة المدارس. بما يكفل لها السير إلى الأفضل والاهتمام بحركة تنقلات المدرسات بين المدارس، وتنظيم سير الحافلات المعدة لنقل البنات من مدارسهن وإليها.

مرات في عيون الرحالين

جميع الرحالين الذين مروا بمدينة مرات كتبوا عنها، وأشادوا بها، وأبدوا انطباعاتهم عنها؛ وكم بودي أن اكتب بعضٍ ما قالوا عن هذه المدينة، لكن موضوع البحث يحتم عليّ عدم الإطالة والإسهاب، وسوف أكتفي بما دونه الرحالة الياباني إيجيرونا كانو في كتابه «الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية» وقد ضمن ذلك صوراً نادرة للمدينة وسط هذه الصحراء، وأن هذا المنظر الرائع كان يستقبلني، يرحب بي، يمد إليّ ذراعيه، يحتضنني أنا القادم من أقصى الشرق، وبالنسبة إليّ كانت أشجار النخيل هذه مثل «قطرة العين» التي تبعث إلى النفس الراحة والهدوء. لم أر مثل هذه الخضرة منذ غادرت جدة، ومنذ أن دخلت منطقة نجد.

كتبت مذكراتي وأرتبها الآن، وأعيد ترتيب عباراتي، ووجدتني كنت قد كتبت: «منذ غادرت الحجاز أرى واحة لأول مرة.. ليس عندي كلمات تصلح لوصف هذا المشهد».

ووضعت خطاً تحت هذه العبارة، في الحقيقة كان أعظم شعور بالسعادة قد غمرني وأنا أطالع هذه الطبيعة من



سوق الخميس أحد الأسواق الشعبية

يقول: «الساعة الرابعة عصراً كانت السيارة تنطلق على طريق تحف به أشجار التين القصيرة، وكان عدد هذه الأشجار كبيراً جداً، وشاهدنا قطيعاً من البقر يتكون من حوالي عشرين بقرة، كان القطيع يمشي في الاتجاه نفسه الذي نمضي فيه؛ وهذا يعني أننا كنا قريبين من الواحة، ومن مسافة بعيدة شاهدنا قرية «مرات» تحيط بها أشجار النخيل. حتى الآن لا أزال أتذكر ذلك المنظر الرائع، منظر الواحة. رمال صفراء، وشمس تسطع أشعتها بقوة، وأشجار التين القصيرة، ثم الآلاف من أشجار النخيل. يا له من منظر، ويا لها من روعة!! شعرت كأنني وحدي أمامي، تلك التي زخرفتها ونقشتها أشجار النخيل، خضرة عمت ناظري وملأت عيني، وكان المهندس ميستوتشي يشعر بما أشعر به أيضاً».

الأماكن الأثرية بمرات

الجفرة «الخبراء» غدير كميت

الجفرة أو الخبراء أو الحفرة أو غدير كميت، عدة مسميات أطلقت على هذا الموقع، وأشهر ما يتداوله الأهالي: «الجفرة»، وهي قديمة جداً تتجمع فيها سيول الأمطار، وتبقى مدة طويلة تحتفظ بمائها حتى موسم المطر من كل عام، والغريب في الأمر أن هذه المياه تبقى عدة

أشهر دون أن تفسد، خصوصاً إذا اختلطت مياه وادي الجفرة بالشعيبات النازلة من جبل «كميت» الذي يحتوي على تربة طينية لها خاصية اللزوجة، ومن ثم تكوّن هذه التربة الداخلة إلى الجفرة مع السيل لدى استقرارهما في القاع مادة عازلة تحفظ المياه من النضوب لأطول فترة ممكنة، وتحمي مياهها من التعرض لأسباب العفن والفساد. أما إذا لم تخالطه وكان السيل من واديها فقط فإن الماء يأسن (هذه حقيقة يتداولها الأهالي). وتقع «الجفرة» بجوار كميت من جهة الجنوب، وشمال «مرات» القديمة ملتصقة بسورها القديم، ومقاماً عليها سور خاص بها يبلغ ارتفاعه أكثر من ثلاثة أمتار، ولها مقصورة أسفلها مدخل يطلق عليه «االدّباب». له بابان، الباب الأول: مدخل من جهة البلد جنوبي له باب محكم، وعمل جدار بجواره كمدخل يؤدي إلى سلم «درج» ينزل بالفرد إلى الباب الشمالي للدّباب والمطلّ على «الجفرة» مباشرة. والغرض من الجدار الموجود بعد مدخل الدباب الجنوبي ردع الدواب من الدخول، إذ لا تستطيع الحيوانات الكبيرة دخوله إذا كان الباب الجنوبي مفتوحاً. وسورها غير منتظم، دائري الشكل تقريباً، وهي محاطة بشجر الإثل من الداخل. ويوجد في الجهة الشمالية مدخل السيل من الوادي يطلق عليه «مطاليع الجفرة».

إحدى محطات النقل الجماعي

وهذه المطاليع هي ثلاثة صفوف من السواري منتظمة في صفوف ثلاثة نفذت متفاوتة بحيث تمنع دخول الشوائب الكبيرة مع السيول. وبارتفاع واحد - متر تقريباً - يدخل منها سيل الوادي فينزل على مصبات على شكل درج يطلق عليها «المزلّف» تحد من قوة نزوله بها وسرعته.

وإذا امتلأت بالماء قام الأهالي بسدها بحجز خاص على مقاسات خاصة بهذه الفتحات، فيتحول الوادي إلى جهة الشرق الذي عُمل به سد آخر يصد ماء الوادي حتى تمتلئ «الجفرة» ثم يأخذ مجراه تجاه الشرق إلى الحفر التي تقع شمال البلدة، وهي مجرى هذا الوادي نفسه، المؤدي إلى «شعيب الحرمل».

و«الجفرة» تعد تاريخية لكونها المنهل الوحيد الذي تشرب منه البلدة في سنين سالفة قبل إيصال شبكات الماء إليها، فكانت مصدر الماء الحلو لـ «مرات».

وقبل موعد نزول الأمطار الموسمية على مرات يتطوع بعض الأهالي بالقيام بتنظيف مخلفات السيل القديم وكنسها، كفروع الأشجار والعظام وأغصان الشجيرات الموجودة بهذه «الجفرة».

والجدير بالذكر أنه لا يُعرف من حفرها، ولا في أي زمن، لكن هناك رواية فحواها أن أهل هذه البلدة في زمن مضى مرت عليهم مرحلة خوف وسلب ونهب، فعمدوا إلى حفر هذه «الجفرة» بجانب سور البلدة القديم، وأحكموا مداخلها، لأنها كانت تمدهم بمياه الشرب. ولهذه الجفرة منظر خلاب خاصة إذا امتلأت، وبقيت مدة من الزمن، إذ يخيل للمشاهد أنه يقف على بحيرة غناء تزينها أصوات الطيور التي تملأ المكان روعة وجمالاً. وترى صور الأشجار منعكسة في الماء الصافي فتفيض المشاعر، ويعيش المرء في جو شاعري بديع.

وكم كان الأهالي يتباشرون، ويهنئ بعضهم بعضاً حينما تمتلئ «الجفرة» بالماء! وعندما تقف الأمطار، وتجري الأودية يكون أول سؤال عندهم هو: هل امتلأت الجفرة؟ لأنها كانت مصدراً أساسياً للشرب في ذلك الوقت.

قال الشاعر العربي (يقصدها):

فلما وردنا الماء ماء مجنة
غدير (كميت) لا غدير الأناجل

والأناجل: جمع أنجل، ويوجد غرب مدينة مرات «ماء الأنجل» يقال: إن ماءه أجاج لا يصلح للشرب.

بئر الوليدي

سميت بهذا الاسم نسبة إلى خالد بن الوليد - رضي الله عنه - وتقع بجوار المسجد الجامع من جهته الغربية، وهي من الآبار القديمة جداً في مرات. وذُكر أن خالد بن الوليد نزل في مرات أيام حروب الردة، وكان متجهاً بجيشه إلى اليمامة لمحاربة المرتدين ومسيلمة الكذاب، فعسكر فيها وقتاً من الزمن كي تتجمع جيوشه، ولوجود ماء «الجفرة» فيها ما يجعل الجند يستقرون ويسقون خيولهم ويشربون منها، ولكن ماء «الجفرة» شح عليهم، وأوشك على الانتهاء للكثرة العددية الموجودة في مرات، فأمر رجاله بحفر هذه البئر وتم ذلك في وقته، وقد ذكر الحموي في كتابه «معجم البلدان» مرور خالد، رضي الله عنه، بهذه البلدة، فمنذ ذلك الوقت أصبحت هذه البئر منهلاً طيباً للماء وتوالت القرون، وهي إلى يومنا هذا لا تزال موجودة وبها ماء، ولكنها في السنوات الأخيرة تُركت بعد وصول شبكات الماء العذب لمرات، ومن وقت قريب كانت تسقي بعض المزارع المحيطة بها.

المشيرف

هي أكمة جبلية مرتفعة تطل على مرات من الجهة الشرقية، يوجد بها سد تاريخي لا يعرف زمن بنائه أو انهدامه، وآثاره موجودة في هذا الموقع على شكل صخور كبيرة مرصوصة(٢١) على هيئة مدرجات ومصدات لحجز المياه، تغطيها الأتربة والأحجار، ويحتمل أن سيولاً كثيرة تجمعت خلف هذا السد التاريخي، وغمرت البلدة وهدمتها، فانتقلت قليلاً إلى مرتفع نحو الغرب محلها قبيل النهضة العمرانية التي عمت المملكة، ولا تزال مرات تمتد غرباً إلى يومنا هذا.



الجمعية الخيرية أحد المباني الحديثة في مرات

سور مرات القديمة (العقدة)

يحيط بمرات القديمة من جميع جهاتها سور عظيم، مبني على هيئة عروق من الجدران المتقاربة من الطين، وأساسه من الحجر الكبير، وهو مجموعة من الجدران المتقاربة والملتصقة بعضها ببعض، حيث تشكل في مجموعها جداراً سميكاً يدرأ ويلات الحروب، ويتحمل الضربات؛ لأن للحياة الأمنية دوراً في حياة الناس والأهالي، فضلاً عن مكانة هذا البلد وانعزالها، مما جعل رجالها يفكرون بحماية أنفسهم وبلدهم من الغزاة والمهاجمين، فعمدوا إلى عمل هذا السور وبنوه بقوة ومتانة، ولم يعرف أيضاً تاريخ بناء هذا السور ولا في أي وقت، ولكن يرجّح أن يكون مع مطلع القرن الثاني عشر الهجري. ويوجد بهذا السور ثلاثة أبواب رئيسة هي: «باب البر» من جهة الشمال، وباب «النيفية» من جهة الغرب، وباب «النقيب» من جهة الجنوب. وقد بُني في هذا السور أربع عشرة مقصورة لمراقبة الأعداء والدفاع عن البلدة من جميع الجهات، وبنيت بشكل منظم، ووضعت فتحات للمراقبة، وأخرى لتوجيه أسلحتهم منها على الأعداء، ويبلغ محيط هذا السور قرابة ١٧٠٠



مبان نموذجية حديثة

متر، وقد بنيت على أعلى المقصورات شرفات منظمة، وعُمل أيضاً على كل مقصورة حزام من الطين هندسي الشكل يتوسط شكلها المخروطي، يوحي بأن من عمله قد تخرج من إحدى مدارس الفنون التشكيلية في وقتنا الحاضر.

صداء

ومن المعالم الجاهلية بمرات «صداء»، وهي معروفة عند الأهالي إلى وقتنا الحاضر، وتقع جنوب مرات في الجهة الغربية لوادي النخيل على بعد ١٠كم تقريباً عن مرات، وهي بئر عذبة باردة، لمائها سمعة فريدة في المنطقة آنذاك، وقد تكون هي التي يعنيها الشاعر البستي حيث يقول:

ما كل ماء كصداء لشاربه
نعم ولا كل نبتٍ فهو سعدان


حركة السيارات في وسط المدينة

تعرف غالبًا باسم «قليب صداء»، وعلقت بآذانهم، وكان جلالة الملك عبدالعزيز والملك سعود والملك فيصل - يرحمهم الله - عندما يمرون بمرات عن طريق البر يخصصون فترة من وقتهم للمرور بهذه البئر، أو إرسال بعض رجالهم لجلب الماء منها، وذلك لما يسمعون عنها من عامة الناس، وما عرفوه من الأدب والشعر بشأنها، ولا سيما أنها جاهلية لم يعرف من حفرها أو اكتشفها.

الجث

الجث في اللغة: كومة التراب. هكذا يطلق عليه، وهو كثيب ترابي على شكل سور طويل يحيط بالبلدة من الجهة الشرقية، والشرقية الجنوبية، ويظهر للعيان عند مدخل البلدة القديمة من جهتي الشرق وجزء من الشمال، وهو معمور منذ مئات السنين حسب قول الرواة من كبار السن وأهل مرات القدامى، ويعتقد أنه سور البلدة القديم المقام قبل هذا السور الذي لم يبق منه سوى معالم من جهته الجنوبية والغربية، وتشاهد على سطحه قطع فخارية مزججة وعليها بعض النقوش والأشكال الهندسية القديمة.

العروس «العروسة»

عرفت بهذا الاسم، وتقع في شرق بلدة مرات القديمة، والحالية في منطقة يقال لها «السبخة» والسبخة يعتقد أيضاً أنها موقع مرات «القديمة الجاهلية»؛ لأنه يحدها من الشرق الأكمة الجبلية الشرقية «المشيرف».

وموقع العروس في الشمال الشرقي من السبخة، وهي تلة من التراب يرى المشاهد لها وجود قطع من الفخار والزجاج المتناثر والملون بشكل لافت للنظر، وخاصة وسط النهار، وترابها يختلف عن تراب السبخة، وقد تكون قلعة لهذا البلد أو قصراً كبيراً؛ بدليل وجود هذه الآثار الفخارية. وعندما هطلت الأمطار المتتابعة على بلدة مرات سنة ١٣٩٥هـ، وهو سيل معروف عند أهل البلد، أتلف كثيراً من المنازل والمزارع، حفر الأرض الشمالية من (السبخة)، وتعرف (بالركيات)، وظهرت بعض أسوار المنازل المبنية أساساتها من الحجر، وهذا ما يؤكد أن منطقة «السبخة» هي مكان البلدة (الجاهلية)، وقد انتقل موقع البلدة من «السبخة» - على ما يبدو - بفعل تجمع سيول كبيرة خلف سد «المشيرف» غمر البلدة وهدمها، وانتقلت قليلاً نحو الغرب مكان «مرات القديمة».

المكمكية

تعدّ من الأماكن التاريخية بمرات، تقع في الجنوب الغربي منها، وتبعد عنها نحو ١٥كم، ويعتقد أنها من منازل بني هلال القديمة، بها بئر مندثرة، وتوجد بها كتابات قديمة داخل الكهوف القريبة منها. بها تل كبير تعرف جهته الغربية بـ «خشم المكمكية»، ولهذا التل مدخل من جهته الغربية تتفرع منه مجارٍ صغيرة وعميقة تشبه الطرقات الملتوية، بجوانبها مغارات وكهوف صغيرة عليها رموز أو كتابات قديمة، وتلاحظ على سفح هذا التل قطع متحجرة من بقايا حيوانات ونباتات مختلفة.


ميدان النافورة والشلال أحد المجسمات الحديثة

الشمس والشمسية (الشمسين)

الشمس والشمسية قريتان قديمتان ذكرتا في كتاب: «بلاد العرب»(٢٢): «وبالوشم قريتان تسميان «الشمسين» لبني ثعلبة، ثم لبني مبذول». أهـ.

قال ياقوت الحموي: «شمس بن علي، وشمس بن طريق: ماء ونخل بأرض اليمامة». أهـ. والشمس والشمسية تقعان في «صفراء الوشم» الجنوبية، وهما بشعيبين متجاورين ينحدران من هذه الصفراء مغربين، ويصبان في «قنيفذة» بروضة الخفق».

والشمس الآن لأسرة من آل سويري من الأشراف تابعة إداريًا لمرات، وتبعد عنها نحو ٣٥ كم جنوبًا، سكنتها أسرة آل سويري وآل طريف زمنًا طويلاً (كلتا الأسرتين من الأشراف) بها قصر كبير وبئر، ولم يبق فيها الآن سوى أطلال القصر وعين البئر بعد أن كانت مضرب المثل لكل من مر بها.

أما الشمسية فتبعد عن مرات نحو ٥٠ كم جنوبًا، وعن الشمس ١٥كم، وهي ملك «لآل وائلي» تابعة لمرات إداريًا، وهي الآن غير مسكونة، ولا يوجد فيها سوى آثار حجرات مندثرة.

النخيل

المشهور لفظًا «وادي النخيل» يقع شرق مدينة مرات، وهو واد ينحدر من صفراء الوشم شرقًا، ويصب في قصور ابن دايل، ومنها إلى قاع ثرمداء، ويبعد عن مرات مسافة ٩كم، ويوجد في أعلاه في الصفراء آثار آبار زراعية، ومساكن قديمة توحي بأن حضارة قديمة قد سادت في هذا الوادي، وهو معروف في الشعر العربي، ويوم النخيل معروف أيضًا، والمعركة التي دارت رحاها في الجاهلية مشهورة، يقول شاعرهم:

نحن اللذون صبّحوا الصباحا
يوم (النُّخيل) غارةً ملحاحا

وقد يكون هذا البيت لموقع آخر غير نخيل مرات؛ لأن هذا الاسم تحمله مواقع كثيرة. وقد ذكر ابن خميس(٢٣)، عندما سأله سائل عن قائل هذا البيت، أن «النخيل» اسم يطلق على عدة أمكنة، ونسبه إلى عدد من الشعراء، وعلى العموم، فالشواهد االموجودة في هذا الموقع تدل على حضارة سلفت في العصور الجاهلية، ومما يؤيد ذلك وجود آثار قبور وضعها تجاه بيت المقدس.

الغار (غار مرات)

كهف أثري عليه كتابات قديمة جدًا ورسومات متعددة، يقع غرب مرات، ويبعد عنها نحو ٧كم تقريبًا، يؤمه الأهالي في نزهاتهم، تصل إليه السيارة بسهولة بعدما أصلح له طريق من قبل البلدية.

الهوامش والمراجع

١. البداية والنهاية، ج٢، ص٢٥٤.
٢. قلب جزيرة العرب، ص٢٤٣.
٣. الرحلة الملكية، ص٦١.
٤. صحيح الأخبار، محمد بن بليهد، ج١، ص٧.
٥. حسب ما أدلى به بعض الأهالي.
٦. ديوان امرئ القيس، تحقيق حسن السندوبي، ص٢٢٤، ط٢، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
٧. صحيح الأخبار، مرجع سابق.
٨. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٥، ص٩٦ بيروت، ١٤٠٤هـ.
٩. معجم ما استعجم، عبدالله البكري، ج٤ باب الميم.
١٠. معجم اليمامة، عبدالله بن خميس، ج٤ حرف الميم، ص٣٥١.
١١. بلاد العرب، الأصفهاني، ص٢٧٣ - ٢٧٤ مع الحاشية.
١٢. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج١٨، ص١٧.
١٣. صفة جزيرة العرب، الهمداني، ١٩٧٤م.
١٤. تاريخ حمد بن لعبون ص٣٠.
١٥. لسان العرب مادة (مرت)
١٦. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، إبراهيم بن عيسى، ص٦٥، ٦٨، ٩٠.
١٧. بعد رجوع إبراهيم بن جار الله مرة ثانية حصلت فترة انقطاع لم أتوصل إلى من تأمر فيها بعده حتى سنة ١٢٨٨هـ.
١٨. علماء نجد خلال ستة قرون، ج١، ص١٧٨.
١٩. تاريخ اليمامة، عبدالله بن خميس.
٢٠. انظر بلاد العرب للأصفهاني، ص٢٩٢.
٢١. معجم اليمامة، عبدالله بن خميس، ج٢، ص٦٢.
٢٢. بلاد العرب.
٢٣. معجم اليمامة.
٢٤ - مرات، سلسلة هذه بلادنا، عبدالله الضويحي.
٥٢ - مرات: بلد امرئ القيس، عبدالله الضويحي.

إسلامية الجامعة بين النظرية والتطبيق

الجامعة الإسلامية العالمية نموذجاً

عبدالحميد أحمد أبو سليمان
أغادير - المغرب

كثيراً ما يخطئ العلاج أو يقصِّر لخطأ في التشخيص، أو لقصور في التحليل. وهذا لا ينطبق على أمر في حال الأمة الإسلامية انطباقه على حال القصور في تشخيص التخلف الذي سرى في أوصالها عدة قرون، والذي بدا وكأنه قد استعصى على العلاج منذ أن أطلق أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) صرخته في «تهافت الفلاسفة» ونداءه في «إحياء علوم الدين».

وكان من أهم أسباب إخفاق التشخيص، وغلط العلاج أنه انصرف إلى الأعراض، ورمى إلى الظواهر، فضلاً عما أصاب رؤيته الحضارية من تشوه، فإن منهجه الجزئي قصَّر به عن الغوص إلى جواهر الأسباب.

كانت شكوى الأمة، وما تزال، هي من التخلف، ومن التمزق، ومن الطغيان والتسلط، وكانت هذه الشكوى، ومازال، هي شكوى من الظلم والفقر والجهل والمرض، وكانت الأمة، وما تزال، تتطلع إلى القوة والوحدة والعدل.

وكانت هذه الآمال، وما تزال، وهماً وسراباً، ولم يتحقق أي شيء من آمال التنمية السياسية والاقتصادية والعلمية والتقنية، وظل أمر اللحاق بالركب، وتوفير المستويات الإنسانية اللائقة: المعيشية والتعليمية والصحية مطلباً لشعوب الأمة لايتحقق.

وإذا كنا نتفق مع كل أصوات المصلحين في أن كل وجوه هذا الإصلاح مطلوبة، وأنه لا يمكن تحقيق نهضة الأمة، وحمل رسالتها دون تحقيق هذه الإصلاحات، ولا سيما مطلب إصلاح التعليم، إلا أننا نرى أن كل هذه الإصلاحات إنما هي أعراض لأسباب أكثر عمقاً، وأبعد غوراً. ودون أن نتحلى بالنظرة الناقدة الشجاعة، وأن نزود أنفسنا بالوسائل المعرفية الصحيحة اللازمة لمعرفة هذه الأسباب، فسوف نستمر في عجزنا عن معرفتها، والتزود بالقدرة الحقيقية على مواجهتها، والتغلب عليها، وتحقيق الأهداف والمطالب والإصلاحات الحياتية الحضارية المشروعة كافة لأمتنا ولمصلحة الإنسانية.

إن وجوه التخلف كافة في تاريخ الأمة إنما هي في الحقيقة تعبير عن داء خطير هو داء: «قصور الأداء» الذي يعود إلى «ضعف الحافز النفسي»، والذي يعود بدوره إلى داء «تشوه الرؤية وقصور المنهج»؛ أي إن الأمر في أساسه يعود، قبل كل شيء، إلى تشوهات في تكوين الأمة «المعرفي والنفسي» التي لا يمكن معالجتها



مدخل الجامعة

دون أن نتعرف حقيقتها، وأن نجعلها في بؤرة وعينا بجهود الإصلاح، حتى يمكن أن نتخلص من داء «غبش الرؤية»، و«ضعف الحافز»، و«قصور الأداء» الذي يقف خلف مظاهر كل ألوان القصور والتخلف في حياتنا بوجوهه السياسية والاقتصادية والعلمية والتقنية كافة.

والسؤال المهم هنا هو: كيف أمكن أن تبلغ أمتنا هذا الحال بحيث تصبح قيمة إنتاج الأمة الإسلامية قاطبة - وهي تمثل أكثر من خمس البشرية (أكثر من بليون نسمة) وتمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي - ما يساوي نحو ألف ومئة بليون دولار أمريكي فقط؟ وهو رقم يقل عن قيمة إنتاج فرنسا وحدها، ويساوي نحو نصف قيمة إنتاج ألمانيا، وهو أقل من ربع قيمة إنتاج اليابان، ذلك الشعب الذي يقطن عدداً صغيراً من الجزر الفقيرة في مواردها الطبيعية، وتغطي الجبال أكثر من ثلاثة أرباع أراضي جزره، وتعصف الزلازل والبراكين بأرضه وبشعبه، ولا يتجاوز تعداد سكانه مئة وعشرين مليوناً من البشر.

إنه لا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا بأنها ترجع إلى مرض قصور الأداء حيث لا تتطلع شعوب الأمة إلا إلى مجرد البقاء، والحفاظ على الحياة، وبأقل الجهد، فلا مستقبل ولا طموح لدى الأمة، بل هي تكتفي بإنتاج المواد الأولية، وبأساليب بدائية، أو بوساطة خبرة أجنبية أو تكتفي بصناعات تركيبية استهلاكية، وهذه الأطنانُ من المعادن والأوليات التي تصدرها بحفنة من الدولارات تعود إليها على شكل صناعات إلكترونية وتقنية تبلغ قيمتها ملايين الدولارات، والفرق بينهما هو الإنسان، وأداء الإنسان، وقدرة الإنسان، وفكر الإنسان.

دون الرجوع إلى أعماق أنفسنا، وأعماق تاريخنا، وما لحق ببناء عقولنا وأنفسنا من تشوه معرفي ونفسي؛ فإنه لا يمكننا - ونحن ورثة «عهد الرسالة» و«حضارة الإسلام»، ونحن أمة لا تنقصها الموارد الطبيعية؛ فالأرض واسعة غنية، ولا تنقصها المبادئ والقيم والأهداف السامية؛ فالإسلام له فيها القدح المعلّى - لا يمكننا أن نفهم ما أصابنا من تخلف وضعف، إلا أن يكون سبب التخلف كامناً في أنفسنا، وفي عقولنا، وفي منهج فكرنا؛ أي إن الإشكال والداء في نهاية المطاف كامن في أساس البناء «الفكري»، وله آثاره «النفسية» التي انتهت بنا إلى داء الأدواء، وهو داء «قصور الأداء»، وهو داء

يلازم من يُبتلى به في كل وجهة يتوجه إليها، فهو يواجه الأمة في «النظام العام»، وفي «الإنتاج»، وفي «التعليم»، وفي «التقنيات»، وفي «حماية الحقوق»، وفي «الدفاع عن الأوطان»، ولا خلاص منه إلا بتغيير الذات، وإصلاح العقول والنفوس؛ فـ «*إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم*» الرعد: ١١.

التربية والتعليم

لقد صح توجه المصلحين حين تنادوا إلى إصلاح التعليم على أنه واحد من أهم أركان الإصلاح التي يقوم عليها بناء الأمة، ولكن المؤسف أنهم توجهوا بشأنه ـ كما هو الحال في توجهاتهم كافة ـ إلى الجانب الكمي، وإلى الإصلاح السطحي الذي يتوجه إلى المظاهر، ويبنى على التقليد ومحاكاة القادرين على اختلاف أنواعهم، فتسير الأمة تبعاً على غير رؤية أو بصيرة، في عماوة أعمى، تتعثر خطواتها، وتتشعب بها الحيرة والطرق.

لا شك في أن التربية والتعليم الصحيحين هما أساس البناء، وهما دعامات الطاقة الإنسانية المحركة، ودونهما لا مجال لتحقيق القدرة والعطاء والإنجاز، ولكن المؤسف أن جوهر الدعوات الإصلاحية في مجال التربية والتعليم هي دعوات إلى التقليد في المباني، ومحاكاة الطرائق، وفي التركيز في الكم والوسائل، بل واستيراد فروع المدارس والجامعات؛ ولذلك فإننا إذا نظرنا إلى أحوال التربية والتعليم في ربوع بلاد الأمة التي تركز في «المدني والتقني» فسنجد فيها مبالغة كبيرة في محاكاة كل الصيحات الجديدة في البلاد المتقدمة، وهم هذه الجهود ينصرف إلى استيراد الآلات والأدوات والأنظمة، وينتهي بهذه الجهود إلى «خلط وتلفيق» لا هادي فيهما إلا «المحاكاة والتقليد»، ولا يختلف عن ذلك في جوهره «العقدي والشرعي» في إغراقه بالمحاكاة التاريخية والتقليد العقيم الذي لا هادي فيه إلا «التكرار والاستظهار».

أليس عجيباً أن تأتي ثمار الإصلاحات على مرّ القرون المتأخرة باسرة، لا تبلغ بأمة الرسالة غاية، ولا تحقق لها هدفاً، وتظل النفوس معها حائرة لاتساع الفجوة بين «الواقع والمثال» وبين «الدعاوى والنتائج».

وإذا كنا نوافق على أن جوهر الإصلاح يكمن في إصلاح التربية والتعليم؛ فإننا لا نعني بذلك الوقوف عند حد «الوسائل»، وعند مجال «الكم»، واستيراد المخططات والآليات والوسائل والأدوات، «ولكننا نعني الغوص إلى جوهر بناء الإنسان بصفته «رؤية عقدية حضارية» و«منهجاً معرفياً فكرياً علمياً» و«بناءً نفسياً فعّالاً إيجابياً»، أي هو غوص يتطلب «القدرة»، وينتهي إلى «توظيف الوسائل» و«إنجاز الكم الصالح»، وتوفير الطاقات اللازمة للأداء القادر على تحقيق الغايات، وحل الإشكالات، وتحقيق «الإصلاح والتقدم» في المجالات السياسية والاقتصادية والتقنية، والفوز في ميدان «السبق الحضاري»، و«تبليغ الرسالة».

> **المؤسف أن جوهر الدعوات الإصلاحية في مجال التربية والتعليم هو دعوات إلى التقليد في المباني، ومحاكاة الطرائق، والتركيز في الكم**

من هنا نبدأ

السؤال المهم هنا هو: من أين نبدأ؟ والجواب هو أن علينا أن نبدأ بإصلاح النفس؛ لأن بداية الإصلاح الإسلامي تكمن في إصلاح النفس المسلمة؛ وبإصلاح ما أصاب أصل «رؤيتها العقدية»، و«حوافزها الحضارية»، و«منهجها الفكري»، و«ثقافتها الاجتماعية»، و«خطابها التربوي» من تشوهات بسبب ما خالط مسيرة الأمة من أعاصير الأحداث، ومخلفات تراث الشعوب والأمم؛ فكان ذلك كله كالحجارة التي ألقيت في تروس عجلة الدفع الحضاري الإسلامي النابع من رسالة الإسلام، ومن عهد رسالته، مما جعلها تبطئ، وتعوق طاقة دفعها، حتى أوقفت تلك التشوهات والمعوقات حركتها، ولم يُجد الأمة ما حققته على مرّ القرون من تراكمات المباني والحرف والصناعات، وكان لابد من أن ترقد في النهاية بين الأطلال أشبه ما تكون بجثة هامدة، ولتصبح كمّاً مهملاً في حلبة سباق الأمم، وتدافع الحضارات، ولتسقط فريسة لأعدائها، تجتر آلامها، وتندب حظها.

أما كيف حدث ذلك؟ وكيف بدأ؟ فإن ذلك قد بدأ حين انطوى عهد الرسالة والخلافة الراشدة في قرن من

الصراع أيام العهد الأموي؛ حيث ضعف الأداء والإعداد التربوي الإسلامي، وغلبت الأثرات والنعرات، وأطلت بقايا الجاهلية في غمرة الأحداث والتحديات الهائلة المتسارعة، وانتهى الأمر بعزل حماة مثال عهد الرسالة عن حلبة ميدان الحكم والسياسة والحياة العامة، وحُملوا على عزلة مدرسية تمَّ توظيفها في: فتوى وقضاء «المعاملات الفردية» و«الأحوال الشخصية» والإمامة في المساجد، وحضّ المصلين - في الجُمع والحلقات - على مكارم الأخلاق.

الصالح النافع في هذه الحياة الدنيا، فهو يوزعها بين الذكر والجهاد؛ حيث يكون ذكر الله حافزاً إلى العمل الحياتي الصالح، أي إلى الجهاد بكل أنواعه في العلم والعمل، أي إنه جهاد تزكية النفس، وجهاد طلب العلم، وجهاد السعي إلى الإصلاح، وجهاد السعي في حاجة المحتاجين، وجهاد الدعوة، وجهاد الدفاع عن الأوطان، وجهاد الدفاع عن المستضعفين؛ وهذا يعني أن حياة المسلم كلها هي حياة جهاد، سواء أكان ذلك في الشأن الخاص أم العام، أم كان جهاداً في حاجة الفرد، أم جهاداً في حاجة الجماعة،



كليات البنين

إن هذا العزل، وهذه العزلة، لحملة العلم وحماة المثال الإسلامي الذي هو في نهاية المطاف مصدر طاقة حركة الأمة، كان لهما أسوأ العواقب في تشويه الرؤية العقدية الحضارية الكلية، وفي تحطيم مستقبل الثقافة والتعليم في الأمة، وفي انحطاط مناهج تربية النشء.

إن الرؤية العقدية الحضارية الكلية الإسلامية، وهي عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، عقيدة إيجابية تجعل غايتها الإحسان والإصلاح في الحياة الدنيا، وتجعل حياة المسلم، وبكل أبعادها ومجالاتها - عبادة، أي (تعبيداً) لله الحق؛ ولذلك فهي ضمير الأمة الذي يحفزها إلى العمل

ويستعين على ذلك كله بذكر الله في تسبيحه، وصلاته، وصيامه، وزكاته، وحج البيت، وفي تعظيم الشعائر، ومراقبة الله سبحانه في السر والعلن.

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم. النور: ٥٥. قل: *إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين*. الأنعام: ١٦٢. *والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين*. العنكبوت: ٦٩. *وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون*. العنكبوت: ٤٥.

أما الرؤية الانعزالية المدرسية التي خيمت على الصفوة العلمية للأمة بحكم الواقع الذي أصبحت تعيشه، والزاوية التي باتت ترى وتمارس منها، فكان لا بد أن تنتهي إلى أن تصبح رؤية تهمّش العام في الحكم السياسي، والعدل الاقتصادي، والتضامن الاجتماعي، وأداء الوظائف العامة، وفي المؤسسات، وكان لا بد لها أن تركز في الذكر والشعائر في اللغة القرآنية حتى تدعوها «العبادات» على الرغم من أن حياة المسلم في اللغة القرآنية كلها، وعمله كله، عبادة(١)، سواءٌ أكان ذلك ذكراً لله أم كان سعياً وجهاداً، وكان للرؤية المدرسية الانعزالية بالضرورة أن تُهوّن - في سلبية - من شأن جهاد العمل، والسعي في مناكب الأرض وعمرانها وإصلاحها، وأن تختزله ليصبح مجرد «معاملات» وأحكام عقود يُقصد منها أن تضبط تعاملات الناس في أمر مصالحها، وكسب قوتها.

هذا التشوه في الرؤية الكلية الذي فرضته ضرورة عزلة الصفوة من «أهل العلم» هو المسؤول عما أصاب حياة الأمة وشخصيتها وغاياتها ووظائفها الجماعية الاجتماعية من سلبية نحو الحياة وغاياتها العمرانية والإصلاحية، بحيث لم تعد تلك الرؤية الإيجابية العمرانية التي تحض على الزرع والعمل، حتى ولو لم يكن للزارع فسحة من العمر يُجنى معها الثمر، هذا التشوه في الرؤية هو المسؤول في الأساس عن غيبة الوعي في حياة الأمة، وفساد حياتها العامة وتمزقها، وخلّف سلبية الأمة، وضعف حوافزها النفسية، وقصور أدائها الحضاري.

وقد أورث العزل والعزلة المدرسية اللذان حوصر بهما «رجال العلم والمعرفة» و«مثال الإسلام» في عصورها المتأخرة، أحادية في المعرفة توارت معها التجربة والمعرفة الإنسانية والمتغيرات الاجتماعية بعيداً؛ لتنحصر المعرفة في الإحاطة النصية واللغوية، وتنعدم معها في النهاية كل طاقات التجديد والاجتهاد، ويسود التقليد والاستظهار، ويتدرّع العجز الفكري بقدسية النص في قهر إرادة الأمة وإخضاعها بغض النظر عن النوايا لممارسات الكثير من ظلامات الجهالة وعسف الكثير من الجهال، ولتنحط الثقافة والعلوم والمعارف الإنسانية، ويقتصر تعليم «عامة الأمة» وتعليم نشئها وثقافتهم على «الكتاتيب» وما تقدم من النزر اليسير بتعليم شيء من «القرآن الكريم»، و«مبادئ الحساب» لتصريف أدنى الأساسيات من حاجات الحياة اليومية، وبأساليب تربوية وتعليمية سيئة تقوم على «السلطوية والعقاب» يمولها الآباء الكادحون بالنزر اليسير الذي يقدرون عليه، يدفعونه للمعلم البائس



الكليات والمجمع الرياضي

الذي لم يجد وسيلة أكرم من مهمة «معلم الصبيان»، وهو نظام تعليمي كانت أساليبه وممارساته موضع النقد والمؤاخذة والتجريح من كثير من أصحاب الفكر والنظر، موازناً بأسلوب ثقافة أبناء الخاصة التي يختلف مستواها، ويتسع مجالها إلى شيء من علوم الدين والآداب، وتتوخى حسن معاملة الطالب، وحفظ كرامته، وتتضمن قواعد هذا اللون من التربية والتعليم وصايا الخاصة والحكام إلى مؤدبي أبنائهم في دورهم؛ وفضلاً عن هذين القطبين التربويين الثقافيين المتنافرين كانت هناك «المدارس»« التي تسعى إلى تخريج (كوادر) الأئمة والقضاة والمفتين.

وبنشوء الرؤية العقدية الكلية، وأحادية المعرفة، وقصور المنهج المعرفي، وقهر الخطاب الديني، واستبداد الصفوة السياسية، انتهت الأمة ومؤسساتها إلى التدهور والانحطاط، وانحدرت نفسية شعوبها إلى السلبية والخنوع، واتجه أداء أبنائها إلى القصور، وخبت الطاقة، وضعفت الحوافز النفسية إلى إتقان الأداء، فالمحب الراغب هو الذي يبذل نفسه، ويصبر على عناء البذل، أما الخائف والكاره فهو سلبي يفعل بالحد الأدنى.

إن قصور الأداء وضعف الحافز هما العقبة الكأداء أمام كلّ محاولات الإصلاح، ولا بد للأمة، أولاً، من أن تتخلص منهما ومن أسبابهما لإنجاح مشروعات الإصلاح، والحصول على الثمار المرجوة، وتحقيق الشهود الحضاري في «عصر العلم والتقنيات».

موضع التعليم العالي من الإصلاح الحضاري الإسلامي

والسؤال الآن هو: ما موضع التعليم العالي من مشروع الإصلاح الحضاري الإسلامي؟ وكيف نفعّله ليؤدي الأدوار المنوطة به في نشر العلم والثقافة، وتوليد المعارف، وإعداد الطاقات البشرية (الكوادر) اللازمة لحاجات الأمة ومواكبتها؟

وإذا كان توليد المعارف ونشر الثقافة وإعداد الطاقات العاملة (الكوادر) من أهم مهام التعليم العالي، وهي غايات لا يمكن أن تقوم نهضة، ولا أن يتم إصلاح دون التمكن منها، فإن من المهم معرفة أن هذه المهام وهذه الغايات تتعدى التجهيزات المادية، والترتيبات الإدارية، والتراكيب الأكاديمية المدرسية التي تعتمد الاستيراد والمحاكاة للمنظومات المعرفية والأنظمة التعليمية والتربوية الأجنبية، وذلك أن لكل شخصية حضارية منطلقاتها وغاياتها وقيمها ومفاتيح تحريك كوامن طاقاتها، وأيّ جهود تتجاهل هذه السمات والخصوصيات، ولا تخاطب مكامن الطاقة للشخصية الحضارية للأمة، فإنها لن تحرك وجدانها، ولن تدفعها باتجاه الاستجابة وإتقان الأداء؛ ولذلك فإنه لا يمكن للأمة أن تأخذ موضعها اللائق بها بين الأمم ما لم يتم إصلاح التعليم العالي وتفعيله، والتخلص من الآفات التي تمكنت منه، حتى يحقق الغايات والمهام الأساسية المنوطة به.

> بداية الإصلاح الإسلامي تكمن في إصلاح النفس المسلمة؛ بإصلاح ما أصاب أصل رؤيتها العقدية، وحوافزها الحضارية، ومنهجها الفكري، وثقافتها الاجتماعية، وخطابها التربوي من تشوّهات

آفات التعليم العالي في البلاد الإسلامية

الآفة الأولى: هي آفة التقليد والمحاكاة، وذلك أن جلّ أنظمة التعليم العالي في البلاد الإسلامية وفلسفاتها غربية أجنبية عن ضمير الأمة وغاياتها الحضارية، معتمدة على التقليد والمحاكاة، دون أن تأخذ في الحسبان الطبيعة الشخصية الحضارية الإسلامية ومنطلقاتها وقيمها المبنية على مبادئ التوحيد والاستخلاف، وغائية الوجود وأخلاقيته، ووحدة منطلقاته، وتكامل أبعاده المادية والروحية والأخلاقية، وأبعاده الدنيوية والأبدية؛ فلا يكون الكسب والإنجاز والإتقان والعمران غاية في حد ذاتها، بل هي حاجة معاشية ووسيلة روحية لترقية الذات بالإتقان والإحسان: حبًا وتعبيداً لله الحق العدل الرحيم.

الآفة الثانية: تشوه الرؤية الكلية الإسلامية، وما خالط ثقافة المسلمين من آفات وخرافات وشعوذات أوقفت تروس عجلة حضارتهم، وشوهت عقليتهم، وأفسدت معارفهم وممارسات حياتهم وأساليب تربيتهم، وباعدت بينهم وبين ما كانوا عليه من قوة التوكل على الله والتزام

نهج السنن الإلهية في شؤون سعيهم وحياتهم كافة.

لهذه الأسباب وهذه الآفات لم يستطع التعليم العالي في الأمة الإسلامية أن يؤدي حتى اليوم دوره بنجاح في ميادين المعرفة: الدينية الشرعية منها والمدنية، الإنسانية أو التقنية، وللأسباب ذاتها لم يتمكن التعليم العالي من أن ينجح في نشر الثقافة، وتوليد المعارف، وتوفير الطاقات (الكوادر) المتقنة المبدعة، وبقيت الأمة في تيه الغربة، وظلام الخرافة، وعلى هامش المسيرة الإنسانية الحضارية.

إن إصلاح التعليم العالي وتفعيله قضية أساسية لإصلاح الأمة الإسلامية وإنهاضها، وإنجاح مشروعها الحضاري، ورسالتها العالمية، ولذلك يجب أن يمتد هذا الإصلاح إلى الجذور، ويزيل ما ألمّ به من تشوهات تبدأ بـ «إسلامية المعرفة» التي تقتضي إصلاح منهج المعرفة، وتوحيد مصادرها الإلهية والإنسانية؛ إذ يوفر الوحي البعد الكلي الروحي الأخلاقي لمجال الفعل الإنساني، وتوفر السنن الكونية وسائل ذلك الفعل، وتزول بذلك حواجز العجز والخمود، وتنطلق طاقات الفكر والدرس والبحث في الطبائع والوقائع على مقتضى مبادئ العقل، وسنن الكون، وهداية الوحي.

بتشوه الرؤية العقدية الكلية، وأحادية المعرفة، وقصور المنهج المعرفي، وقهر الخطاب الديني، واستبداد الصفوة السياسية، انتهت الأمة ومؤسساتها إلى التدهور والانحطاط، وانحدرت نفسية شعوبها إلى السلبية والخنوع

إن «إسلامية المعرفة» في الرؤية الكونية، ووحدة مصادر المعرفة، والتزام منهج السنن، تضيء رؤية العقل المسلم، وتدفع به قادراً في عباب بحر العلم والمعرفة، محرَّراً من كوابح الخرافات والشعوذات، ومن معوقات التناقضات والأوهام والضلالات.

«إسلامية المعرفة» تحرر العقل المسلم من آفات الخرافات والأوهام والتناقضات، ليخوض غمار العلم والمعرفة في شجاعة وثقة ومبادرة، طلباً للإصلاح والإتقان والإبداع؛ فيملك ناصية القدرة على الأداء، ومجابهة التحديات، وحل المعضلات، وبلوغ الغايات، وتحقيق المقاصد.

إن إصلاح الرؤية الإسلامية، وسلامة المنهج الفكري شرطان أساسيان لتنقية الثقافة، وإصلاح مناهج التربية والتعليم التي هي شروط أساسية لإصلاح البناء النفسي في النفوس، وتزويده بدليل الحركة وحافز الأداء.

وإذا توافر دليل الحركة، وحافز الأداء لدى العاملين، فإن توظيف الوسائل والأدوات سيكون فعّالا حكيماً مؤدياً دوره في إنجاز المهمات، وتوفير الحاجات، وتحرير تروس حركة الأمة، وإطلاق طاقاتها الإنتاجية الأخلاقية والإبداعية.

وهكذا فإننا إذا شئنا أن نضع مسيرة الإصلاح في الاتجاه السليم، بعد قرون من التيه والتخبط، فإن علينا أن نعكس أولوياتنا في خطة إصلاح التعليم، وأن نقدم النوعي على الكمي، والمعاني على المباني، والمناهج على الوسائل، دون تقصير في حق أي واحد منها بالقدر الذي يؤدي دوره، ويخدم غايته.

هذا التوازن بين الكم والكيف، وبين المعاني والمباني، هو حال الأمم التي تتمتع بقدرة الأداء؛ يعبر التعليم فيها عن شخصيتها ومنطلقاتها الحضارية، ويصدر عن مكامن الطاقة فيها، وحوافز الأداء في كيانها، وتضع التربية والتعليم وإعداد الإنسان وتفجير طاقاته الإبداعية على رأس سلم أولوياتها، موفرة له الإمكانات كافة؛ إلى الحد الذي توقن به أنه قد أصبح بحقّ أداتها في تحقيق الغايات والمقاصد.

أما الأمم المتخلفة فديدنها المحاكاة والتقليد، لا تعبّر منظوماتها وأنظمتها التربوية والتعليمية عن منطلقاتها وقسماتها وخصوصياتها الحضارية؛ بل هي خليط ملفّقٌ في رؤاه وتوجهاته، تأتي حاجات التربية والتعليم والتدريب ومستلزماته في ذيل قائمة اهتماماته، وهي أولى الوظائف التي تعاني من الشح حين تقع الأزمات ويتفاقم العجز والقصور، بينما نحن نعلم علم اليقين أن تجديد الطاقة، وتحسين الأداء لمواجهة التحديات، وتخطّي الأزمات، يعتمدان بشكل أساسي على ترقية مناهج التربية والتعليم، وسدّ ثغراتها.


كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية

إسلامية المعرفة: تجربة حية في تفعيل التعليم العالي

إن إسلامية المعرفة هي قضية علمية نشأت وترعرت في عقول وضمائر اتسمت بالإيمان برسالة الإسلام، وإدراك الروح والطاقة الحضارية التي أقامت حضارة الأمة التي ارتقت بالحضارة الإنسانية إلى آفاق باسقة جديدة، وكانت الأساس الذي بنت عليها الأمم اللاحقة حضارتها، وحققت بها منجزاتها، كما عرفوا فضل قيم الإسلام التي بوأت الأمة في سالف عهدها مكانها المرموق في تاريخ الإنسانية.

لقد تميز تكوين هذه الزمرة، التي نادت بإسلامية المعرفة، وأمنت بها، بالقدرة على الجمع بين معارف الثقافة والتاريخ الإسلامي من ناحية، وبين الثقافة والعلوم والممارسة المعاصرة من ناحية أخرى، أي إن تكوينها الفكري قد تميز عملياً بوحدة المعرفة التي تجمع بين معارف الوحي ومعارف العلوم الإنسانية والتقنية.

هذه الوحدة المعرفية تبدت في كتابات مبكرة لبعض رجال الفريق الذي تصدى لهذه المهمة، ومنها كتاب «نظرية الإسلام الاقتصادية: الفلسفة والوسائل المعاصرة» (١٩٦٠م)، وفي جهود الفريق في إنشاء جمعية ثقافية إسلامية كبرى هي «اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية»(١٩٦٣م)، التي تطورت لتصبح نواة لمؤسسات إسلامية مهمة وأساسية لحركة إسلامية المعرفة، وأهمها فكرياً «جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين في الولايات الأمريكية وكندا»(١٩٧٢م)، و«المعهد العالي للفكر الإسلامي»، وأخيراً «مؤسسة تنمية الطفل» (١٩٩٩م).

وأساس هذه الفكرة أن جوهر أزمة الأمة، وقصور أدائها إنما هما قبل كل شيء بسبب ما أصاب الفكر الإسلامي في تطوره في الأساس من تشوهات شوهت رؤيته الإسلامية، وقضت على وحدة المعرفة فيه، وأحالت المعرفة الإسلامية إلى معرفة دينية نَصّيَّة ساكنة، كما همّشت المعرفة الإنسانية، ووأدت بذور العلوم الإنسانية التي تُلمح براعمها في مفاهيم الأصول الثانوية لأصول فكر الفقه الإسلامي؛ مما انتهى إلى تدهور مؤسسات الأمة ووحدتها وأنظمة الحكم فيها، وتم تشويه الخطاب الديني ليصبح خطاباً ترهيبياً أدى - مع تفشي ظاهرة العجز والاستبداد السياسي - إلى تكوين شخصية سلبية لدى الأمة، مما أفقدها الطاقة الحضارية الإبداعية، وانتهى بها الأمر إلى الذل والتخلف ونفسية العبد؛ لأن الخائف الكاره يعمل بالحد الأدنى، أما البذل والعطاء فمن صفات المحب الراغب.

إن إسلامية المعرفة هي خطة لإعادة صياغة فكر الأمة على أساس ثوابت الإسلام، ومنطلقاته الإنسانية العالمية الحضارية المبنية على أسس التوحيد والاستخلاف والعدل والإحسان، وترمي خطة إسلامية المعرفة إلى استعادة الرؤية الإسلامية الكلية الإيجابية التي تمثل الأساس والقاعدة والمنطلق، وتعمل على إصلاح المنهج المعرفي، حتى يبنى على مفهوم شمولي تحليلي منضبط، وعلى وحدة للمعرفة الإلهية والإنسانية لا تنفصم، كما تستهدف واقع حياة الإنسان في هذه الأرض؛ لتحقق مقاصد الشريعة في الإصلاح والخير، وتلتزم مبادئ العقل والسنن الإلهية في الكون، وهي بذلك توفر الوسائل الضرورية لتنقية الثقافة الإسلامية مما ألمّ بها من تشوهات، وما داخلها من تخريفات وشعوذات ودسائس وأوهام؛ فتوفر المدخلات الثقافية التربوية الصحيحة لإصلاح البناء النفسي، ولإنشاء أجيال القوة والعطاء والقدرة بإذن الله.

لقد رأى المعهد العالمي للفكر الإسلامي أن مهمته الأساسية إنما تكمن أولاً في توعية المثقفين والمفكرين والمربين على اختلاف اختصاصاتهم وتوجهاتهم بطبيعة الأزمة، وبوجوه الإصلاح، وتجلية الرؤية أمامهم ليحملوا بدورهم مسؤولياتهم في إصلاح مناهج الفكر والثقافة، وتنميتها، وإصلاح مناهج التربية وترشيدها، وتحريك كوامن الطاقة في كيان الأمة، حتى ترشد مسيرة حركتها.

لقد مدّ المعهد العالمي للفكر الإسلامي يده إلى الصفوة الفكرية في مختلف حواضر الأمة والعالم في جهود فكرية مشتركة وفرت لهم المنابر للحوار والفكر والإسهام، تبلورت على شكل مراكز ومؤسسات ومؤتمرات وندوات ومطبوعات ودوريات باللغات العربية والإنجليزية والعالمية ولغات شعوب الأمة الإسلامية، ونشاطات مشتركة مع كل المهتمين بقضية الإصلاح الفكري والتربوي في الأمة. حتى أصبحت قضية إسلامية المعرفة، وأصالة الثقافة الإسلامية، والإصلاح الفكري والتربوي - اليوم - أملاً واعداً، وقضية جدية مهمة مطروحة على بساط الفكر العلمي والأكاديمي، لسبر أغوارها، وتفعيل طاقاتها في إعادة بناء فكر الأمة ومنطلقاتها الحضارية، ومن ثم توفير الشروط الضرورية لإنهاض الأمة، وتحريك كوامن الطاقة في كيانها، وإنجاح مشروعها الحضاري لخدمة الإنسانية.

تجربة إسلامية المعرفة في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا

قامت الدولة الماليزية عام (١٩٥٦م)، وأخذت تتحسس طريقها في بناء دولتها الوليدة، وتنبهت قيادتها إلى دور الإسلام في تحريك كوامن الطاقة في شعبها المسلم، فأنشأت بتأثير من المؤتمر الإسلامي الأول للتعليم المنعقد في مكة المكرمة عام ١٩٧٧م «الجامعة الإسلامية العالمية» في كوالالمبور عام ١٩٨٣م باتفاقية دولية مع منظمة المؤتمر الإسلامي ضمن سلسلة الجامعات التي رمت المنظمة من ورائها إلى أن تعنى هذه الجامعات في برامجها بالثقافة الإسلامية.

> **إسلامية المعرفة هي خطة لإعادة صياغة فكر الأمة على أساس ثوابت الإسلام، ومنطلقاته الإنسانية العالمية الحضارية المبنية على أسس التوحيد والاستخلاف والعدل والإحسان**

وتنبهت القيادة الماليزية إلى طبيعة الفكر الإصلاحي الحضاري البنّاء الذي يصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي عقد أحد مؤتمراته الدولية عن «إسلامية المعرفة وإصلاح النظام المعرفي» في كوالا لمبور عام ١٩٨٤م؛ لذلك دعت وزارة التعليم الماليزية عام ١٩٨٨م المعهد إلى تبني جامعتها الوليدة «ثمانمئة طالب جامعي»، وطلبت إليه انتداب أحد رجال المعهد لوضع مفاهيم «إسلامية المعرفة» ومنطلقاتها في خطة تربوية جامعية خدمة للإسلام، وأهداف الإصلاح والتنمية في ماليزيا.

وتسلم المعهد الجامعة في شخص أحد رجاله المفكرين من أصحاب الخبرة التنظيمية والجامعية، ولمدة عشر سنوات ١٩٨٨ - ١٩٩٩م تم خلالها بناء الجامعة لتضمّ برامجها وكلياتها علوم الدراسات الإسلامية والإنسانية كافة، إلى جانب علوم العمارة والهندسة والطب، في حرمين جامعيين (قمباك كوالمبور،

وكوانتن)، وحرم لإعداد الطلاب في اللغتين العربية والإنجليزية، ولتوفير الدراسات التكميلية للطلاب القادمين من أنظمة تقصر في بعض الوجوه عن حاجات الطالب المسلم ومتطلبات الالتحاق بالجامعة (ومن ذلك طلاب دول الاتحاد السوفييتي سابقًا، وطلاب نظام الثقافة العامة)؛ إذ لا يزيد إعدادهم التعليمي على إحدى عشرة سنة دراسية.

الروح والجسد

لقد جاء تخطيط الحرمين الجامعيين - الحرم الرئيس في قمباك كوالالمبور، والحرم الطبي في كوانتن (كلية الطب وكلية العلوم) - ليعبرا معنًى ومبنًى عن مفاهيم إسلامية المعرفة ومنطلقاتها، وتجسدت هذه المفاهيم والمنطلقات على أكمل ما يكون الكمال في الحرم الجامعي بكوالالمبور الذي اكتمل بناؤه اليوم إلا من بعض المرافق والخدمات الملحقة به.

لذلك فإن الإنجاز في هذه الجامعة، وفي هذا الحرم «خمسة عشر ألف طالب» لم يقتصر على الإبداع والتجديد في مناهجها وبرامجها؛ بل تعداه إلى جمال عمارته الإسلامية وخطة بنائه، مما جعله من أجمل الأحرام الجامعية في العالم وأقدرها أداءً، إن لم يكن أجملها وأقدرها على الإطلاق؛ بما يعبر عنه من قيم الإسلام في جمال البناء، وفي كفاءة الأداء.

فالحرم الجامعي يتوسطه المسجد الذي يمثل مركزه الروحي، وتتدفق من حوله حركة الطلاب والعاملين في كل اتجاه، ويوفر ساحة مهمة للنشاطات الروحية الثقافية الإسلامية، كما توفر أفنية الحرم، واتصال مرافقه روحًا من الألفة الثقافية والاجتماعية، كما جاء تصميم توزيع مواقع الدرس والسكن والترفيه والرياضة ملتزمًا الضوابط الإسلامية التي توفر لكل جنس من الجنسين الخصوصية والحرية والتزام أخلاق الإسلام في علاقة الجنسين، مع كفاءة الأداء، كما تستجيب للحاجات المهنية والنفسية والاجتماعية والثقافية والترويحية والرياضية للدارسين كافة.

وهكذا جاء هذا الحرم وأمثاله الأخرى على هيئة تبعث الثقة في نفوس الطلاب والمنتسبين إلى الجامعة، ولعامة أبناء الأمة من حولها، وتنمّي فيهم روح الاعتزاز، ومعاني الجمال، وقدرة الأداء، وتدفع في عروقهم حميّة العمل، وروح الأمل، وهي معانٍ معرفية وتربوية مهمة في دفق روح إيجابية إسلامية متميزة لبذر روح النهضة والتغيير.

مقاصد البرنامج الجامعي (الأكاديمي) والتربوي

إنّ البرنامج الأكاديمي والتربوي هو بيت القصيد في نظام الجامعة، وجاءت خطته تعليمية تربوية تجسد أهداف إسلامية المعرفة، وتعالج التشوه الفكري والمنهجي، وتبني آلة التقنية الثقافية، وتعمل على إعادة البناء النفسي والتربوي لأجيال الأمة.


كليات البنات

معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية

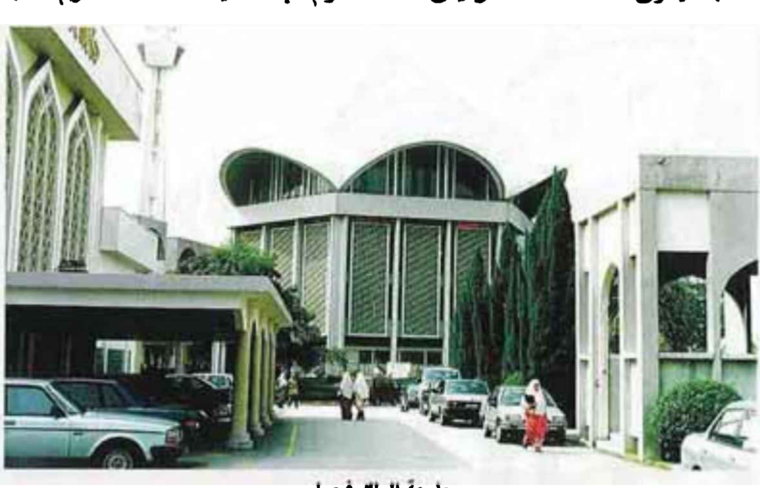
كانت المهمة الأساسية الأولى في خطة عمل إدارة الجامعة هو التصدي للتشوه المعرفي والمنهجي الذي أصاب فكر الأمة، وشلّ قدرتها على الإصلاح والبناء، وإيجاد الطاقات (الكوادر) المثقفة العاملة البديلة التي يتسم فكرها بوحدة المعرفة، وشمولية المنهج، وكان أهم ميادين هذا المنهج العلمي الأكاديمي البديل هو ميدان العلوم الإسلامية والإنسانية.

ولهذا الغرض أنشئت كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية لتكون أكبر كلية تضم التخصصات العلمية كافة في حقل الدراسات الإسلامية والعلوم

الاجتماعية والإنسانية، عدا العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية لأسباب مهنية، على الرغم من أن برامجها لها الغاية نفسها والهدف ذاته.

وكان حجر الزاوية في النظام الأكاديمي لهذه الكلية لتحقيق وحدة المعرفة الإسلامية، وإصلاح مناهج الفكر، وإيجاد الطاقات (الكوادر) الثقافية القيادية، والمهنية البديلة هو نظام التخصص المزدوج عن طريق الساعات المعتمدة.

وعلى أساس نظام التخصص المزدوج، فإن أي طالب أو طالبة يكون تخصصه الرئيس هو الدراسات الإسلامية، فإن عليه أن يختار تخصصاً فرعياً في أحد العلوم الإنسانية، والعكس بالعكس، فإن أي طالب أو طالبة يكون تخصصه الرئيس أحد العلوم الإنسانية، تكون الدراسات الإسلامية تخصصه الفرعي، ومن يمد دراسته عاماً دراسياً إضافياً يمكنه أن يستكمل متطلبات الدرجة الجامعية الأساسية (البكالوريوس) الأخرى، وهو ما كانت الجامعة تشجع طلابها عليه؛ فتكون لدى الطالب أو الطالبة درجة جامعية في الدراسات الإسلامية، ودرجة جامعية في العلوم الاجتماعية في الميدان الذي اختاره الطالب تخصصاً فرعياً في الأساس.



جامعة الملك فيصل

وهذا الازدواج في المعرفة لا يوفر لكل طالب أفقاً معرفياً واسعاً متكاملاً في توجهه وأداته، أو في إدراكه الأفضل لأبعاد الحياة الإنسانية الروحية الأخلاقية والاجتماعية والفيزيائية المعاشية فقط، بل إنه يوفر للطالب أو الطالبة أيضاً التكامل المنهجي الجزئي والكلي بوسائلها العلمية المختلفة، وهو أمر مهم في بناء عقلية الطالب، وفي مستقبل قدرته على الأداء.

ولم يخدم هذا النظام المعرفي جانب مدِّ مداركه إلى الجوانب العامة الاجتماعية، إلى جانب البعد الشخصي والخاص، مما يمكنه من توسيع مدارك الطالب، وتوفير الأداة الفكرية لديه، للتواصل مع روح الأمة وكيانها النفسي والمعرفي، والقدرة على توظيف مفاتيح الحركة والطاقة في كيانها فحسب، بل وفرت للطالب مجالاً وظيفياً يفيد من طاقات (الكوادر)، ويحفظ لها كرامتها، خاصة في بلاد الأقليات الإسلامية والبلاد الإسلامية الفقيرة التي تقل فيها فرص العمل، ولا سيما مجال الخدمات الدينية، إذ يمكن للخريج أن يعمل - بمؤهله في العلوم الاجتماعية مع إجادته اللغة الإنجليزية التي درس بها المواد الفنية، إلى جانب إجادته اللغة العربية التي درس بها الدراسات الإسلامية - في أي مجال مدني مناسب يرغب فيه؛ وبذلك يتمكن من أن يعمل في مجال العمل الحكومي أو التدريس، أو في مجال الشركات والأعمال الخاصة، وليس في مجال الحرف التي لا تناسب طبيعة قدراته وإعداده؛ فيكون على كل الأحوال أكثر تكاملاً وفكراً وأداءً وتأثيراً من سواه.

وأتاحت الجامعة في هذا النظام المجال لخريجي الجامعات الأحادية المعرفة للالتحاق بالدراسات العليا لديها شريطة استكمال الشروط اللازمة لهم لتلقي المعرفة ضمن نظام دراستها الذي يلتزم الإلمام بمعارف الوحي الإسلامي، إلى جانب المعرفة الإنسانية في أي مجال من مجالات المعرفة الذي تخصص فيه الدارس.

فأي طالب يرغب في دراسة الشريعة الإسلامية، في أي فرع من فروع المعرفة، على مستوى الماجستير أو الدكتوراه، يمكنه ذلك بعد استيفاء شروط الدراسة في هذا الفرع، وهو إجادة اللغة العربية، وإجادة عدد من المساقات الأساسية في علوم الشريعة لتأهيله للدراسة والنظر العلمي في هذا المجال؛ أما إذا كان من طلاب الدراسات الشرعية أصلاً فإن عليه أن يتأهل في أساسيات علم من العلوم الاجتماعية، ومناهجه الكلية، وفي اللغة الإنجليزية، إلى جانب اللغة العربية التي يُفترض فيه أنه يجيدها أساساً.

وإذا كان المعهد العالي للفكر الإسلامي قد قدّم هذه الفكرة قبل ذلك إلى بعض الجامعات في العالم الإسلامي، إلا أن تلك الجامعات عادت وألغت هذا النظام، وقصرت الدراسات الإسلامية فيها على خريجي أقسام تلك الدراسات، وعادت بهم إلى أحادية المعرفة؛ وذلك لأن تلك الجامعات لم تتمكن من ناصية العلوم الاجتماعية، وتطوير دراسة اللغة العربية لغير الناطقين بها بشكل فعّال، إلى جانب ترجيح الكم على الكيف في اختصار فترات الدراسة.

وقد نجحت الجامعة في برنامجها لعدة أسباب، أهمها: إقبال طلاب الجامعة ذاتها الذين سبق تأهيلهم في مجال الدراسة الشرعية والدراسة الاجتماعية ومناهجها على مواصلة دراساتهم العليا في الجامعة، كما قامت الجامعة بتطوير برنامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في سلسلة تُعدُّ اليوم أفضل ما يقدم في هذا المجال، وكذلك فإن أبناء الجامعات الأخرى أبدوا حماسة شديدة في الالتحاق ببرنامج الجامعة الذي اشترط لقبول طلباتهم إجادة اللغة العربية والإنجليزية أولاً قبل النظر في قبول طلباتهم؛ مما جعلهم يبذلون غاية الجهد في تعلُّم هاتين اللغتين، لمن لا يجيدهما أو لا يجيد واحدة منهما، في بلادهم أو في برامج الجامعة الإعدادية على نفقتهم، ولذلك فإن الجامعة لم تُعانِ من الإقبال على برامج دراستها العليا، وكان الإقبال النوعي على برامجها أكبر من طاقة أدائها، وبذلك أصبح برنامج الجامعة للدراسات العليا - بما يوفره من وحدة المعرفة ومناهج النظر والبحث العلمي - قادراً على إمداد الساحة الفكرية بأصحاب خبرة ودراية علمية إنسانية في مختلف فروع المعرفة، ومن منطلق ومنظور إسلاميين يرتكزان على ثوابت الإسلام ومبادئه وقيمه ومقاصده.

أما تطوير المادة الدراسية التي يتلقاها الطالب في كل حقل من حقول الدراسة من منظور إسلامي واهتمامات إسلامية فقد نُظر إليها على أنها عملية تطويرية مستمرة Prosses تعتمد على معرفة الطالب بكل ما يُقدَّم من مادة علمية في الجامعات المدنية إلى نظرائه، مضافاً إليها تقويم إسلامي ناقد، وعرض لما نضج من وجهات النظر الإسلامية في المجالات المطروحة؛ بحيث يشكّل المنظور الإسلامي إضافةً علميةً لها وزنُها الأكاديمي، تؤدي إلى زخم علمي رزين في المجالات العلمية، يمكّنه مع مرور الوقت من إثبات مصداقية مجالاته وتطويرها بما يخدم مصالح الأمة في المجال المعرفي، وفي نوعية (كوادره) في الأداء والإنجاز.

كما تم تطوير عدد من المقررات الدراسية، والمجالات العلمية الأكاديمية المتعلقة باعتبارات وحاجات خاصة تتعلق بالأمة ومنظورها، يمكن الرجوع إلى الكثير منها في دليل الجامعة للدراسات الجامعية والدراسات العليا.

كانت المهمة الأساسية الأولى في خطة عمل إدارة الجامعة الإسلامية العالمية هي التصدي للتشوه المعرفي والمنهجي الذي أصاب فكر الأمة، وشلَّ قدرتها على الإصلاح والبناء

ويمكن الإشارة إلى مجال «الدراسات الغربية» الذي بدأ اختصاصاً جزئياً ليُطوَّر تدريجياً إلى اختصاص رئيس، ويرمي هذا القسم إلى دراسة الغرب، تاريخاً وفكراً وحضارة، دراسة مفاهيمية Conceptual دقيقة تعين على تكوين طاقات (كوادر) علمية متخصصة يستعين بها العقل المسلم على فهم الغرب عطاءً وقصوراً، حتى يمكنه حسن الاستفادة من التواصل والحوار مع الغرب، لإنجاح مشروع الإصلاح الإسلامي، وتطوير العلاقة معه إلى علاقة تعاون إيجابي بنّاء بين أنداد وشركاء تمحي معها المظالم والإحن والتعديات التي يساعد عليها تخلف العالم الإسلامي وضعفه وتمزقه، أي أن يكون تفاعل الأمة مع منجزات الحضارة الغربية ومع مجتمعاتها مبنياً على فهم علمي وأسس منهجية، يلتقي بها العقل المسلم مع هذه الحضارة بصفتها منظومةSystem حضارية لها سماتها ومنطلقاتها وغاياتها، وأن الهدف من التفاعل معها التلاقح الإيجابي، وخير الإنسان وحضارته الكونية.

أما في مجال الدراسات العلمية الفيزيائية والهندسية، وما في حكمها من المجالات والمهن، فإن إسلامية المعرفة فيها لا تتعلق بالحقائق العلمية، وما رُكّب في المواد

والكائنات من مقادير وسنن إلهية، فإن إدراك هذه السنن والأقدار الإلهية يستوي فيه جميع البشر؛ ولكن الاختلاف والتفاوت إنما يتأتى من المنظومات الفكرية التي تنتظم هذه الحقائق، مثلها في ذلك مثل العلوم الاجتماعية التي يحدد معناها منهج التعامل معها والاستفادة منها، وفي وجوه تسخيرها، وفي معيار أخلاقيات التعامل معها إصلاحاً أو فساداً، وفي توخي النفع أو جلب الضرر، وهذا كله من باب فلسفة العلوم، وأخلاقيات البحث العلمي، ومزاولة المهن، وهنا تختلف المشارب والمآرب والحضارات، ويكون للمنظور الإسلامي موضعه ودوره في الإصلاح والترشيد اللذين يميزان الخبيث من الطيب، والنافع من الضار.

والمجال الآخر الذي يتعلق بالعلوم الفيزيائية وإعداد



طلابها من جميع الجنسيات

(كوادرها) هو مجال الوعي بتاريخ الأمة وإنجازاتها لإنصافها من التحيُّز الغربي الظالم، ولتعزيز روح الثقة بالنفس لدى (كوادر) الأمة العلمية، وشحذ الهمم لاستئناف المسيرة، مع أخذ الدروس والعبر من فهم الأسباب التي عوّقت الركب، وضلّت به السبيل، وحادت بالعقل المسلم عن جديته وعلميته إلى مزالق الأوهام والخرافات والتخلف.

المهم هنا في صياغة آلية منهج «إسلامية المعرفة» في تطوير المناهج الأكاديمية هو مفهوم العملية التطويرية للبرامج Prosses التي تمثل استمرارية العمل والمثابرة عليه لتحقيق غايات حضارية حيّة تمثل نمواً لا يتوقف، وتغني الفكر والثقافة، وتستجيب لحاجات المجتمعات الحية المتطورة وواقعها، منطلقة في ذلك من منطلقات ثابتة إلى غايات ومقاصد معلومة.

إن تطوير مادة المقررات الدراسية، وتطور نوعية هذه المقررات كانا على الدوام - على أساس منطلقات إسلامية المعرفة في أقسام الدراسة كافة - في تنام وتجدد مستمرين، في ضوء الخبرة والتجربة والتجاوب المستمر مع حاجات الأمة والمجتمع، ودعم البناء المعرفي المتجدد لطلاب الجامعة، وتوسيع آفاقهم مما يجعلهم يتمتعون بطاقات علمية ونفسية متحققة وكامنة تجعل الكثير من الشركات والمصالح الحكومية لا تسعى إلا إلى توظيف خريجي الجامعة الإسلامية، لما يتحلون به من مقدرة معرفية، وخُلُق قويم، وقيم سامية، وجدية وثقافة ومهارات لغوية ومهنية، وطاقات كامنة؛ وهذا ما حدا بعدد من الرسميين، وزوار الجامعة من البلاد الإسلامية إلى الطلب إلى الجامعة مساعدتهم على تخريج مثل هذا النوع المتميز من (الكوادر) العلمية والمهنية ذات الكفاءة الوجدانية والمهنية العالية.

اللغات

وإذا كان الفكر والمنهج هو اللب، فإن اللغات هي أداة الأداء، ولذلك فإن للُغة أهمية كبرى في فاعلية الأداء، وكلما كانت أداة الأداء قادرة وميسرة كان نجاح الأداء أوفر حظّاً وأكبر.

وقد أولت الجامعة قضية اللغة فيها عظيم الاهتمام للتأكد من قدرة الخريجين على حسن الأداء وفاعليته، وتوفير فرص التلقي والعطاء والتواصل فيما بينهم وبين البيئات التي سيعملون فيها؛ ولذلك وفرت الجامعة لطلابها، إلى جانب ما يجيدونه من لغات بلادهم ولسان أمهاتهم، إجادة اللغات العالمية العربية والإنجليزية التي توفر لهم منابع المعرفة بوجوهها الإسلامية والمعرفية والتقنية، ضمن الظروف والمعطيات القائمة في عالم الأمة.

لقد حرصت الجامعة على توفير وسائل تعلم اللغة العربية واللغة الإنجليزية على أفضل المناهج العلمية المتطورة، وبمادة وتوجيه إسلاميين، لتكون اللغة العربية لغة الثقافة والمعارف المقاصدية الشرعية الإسلامية، ولغة التواصل الوجداني الإسلامي بين أبناء الأمة، وتكون اللغة الإنجليزية لغة المعارف العلمية والتقنية المعاصرة، مما يوفر لهم لغة الحضور على ساحة الفعل والتواصل

مع الصفوة الفكرية والثقافية والعلمية والساسية في جلّ بلاد الأمة الإسلامية.

بهذه اللغات يصبح لخريجي الجامعة القدرة على التأثير على صعيد الفعل، بتوفيق فكري وعلمي ووجداني، في بلادهم، ويصبحون مصدراً لإنماء الفكر والمعارف في مجتمعاتهم ومجالات أدائهم.

إن الأمل أن تتصدى المؤسسات الثقافية والعلمية، المحلية والدولية، مستقبلاً، لحل الإشكال اللغوي في الأمة، ذلك الإشكال الذي أسهم، وما يزال يسهم، في ضعفها وتمزقها.

فما لم يكن الأداء العلمي والثقافي بلغة أولى للشعوب، فإن ثقافتها ستكون - معرفياً - ضعيفة وقاصرة بتلقٍ ضعيف على القلة التي تجيد اللغات الأجنبية العالمية التي تتوافر فيها المواد المعرفية العلمية، على أنها في هذه الحالة غالباً ما تكون لغة ثانية لا تسمح لهم بالقدرة على الإبداع؛ لأن الإبداع لا يكون إلا باللغة الأولى للمبدع.

والأمة الإسلامية لا يمكنها أن يكون لها وزن علمي وثقافي عالمي إلا بلغة عالمية واسعة الانتشار، لغة غنية بالمادة العلمية، وخاصة المعرفة الفيزيائية والتقنية، وهذا الشرط لا يتوافر لهذه الشعوب إلا في لغة القرآن التي تربط كل الشعوب المسلمة وجدانياً بها، والتي يلمُّ - حتى الأمي منهم - بقدر لا بأس به منها، ولو نُظّم في منهج لأمكن أن يوفر لهذه الشعوب لغة عالمية أولى مشتركة بينهم، توفر المادة العلمية التقنية لهم، وتغني ثقافاتهم بأقل التكاليف.

إن الشعوب الإسلامية لن تتوانى عن تبني لغة القرآن لغة دينية ثقافية علمية أولى لهم إلى جانب لغاتهم ولهجاتهم العامية، لما يكنونه من حب وتعلق بالقرآن إذا تيسرت لهم، وأغنتهم في حياتهم عن طلب ما سواها من اللغات.

كل ما على العرب والمسلمين هو التدبر في تجاربهم الماضية في التعريب، وفي تجارب الأمم المتقدمة في نقلها الدائب السريع لكل جديد من المعارف، ولا سيما الفيزيائية والتقنية، في اليابان وسورية والصين وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

إن أهم ما يجب أن يبدأ به المسلمون في جهود الترجمة إلى اللغة العربية هو الاهتمام بترجمة الدوريات العلمية والتقنية إلى اللغة العربية، لأنها هي القناة التي يسيل من خلالها تدفق الجديد من المعارف في مختلف المجالات، وأن يتم توفيرها للمؤسسات العلمية والتعليمية والمكتبات العامة بشكل سريع ومنظم على شاكلة ما يتم في الدول التي حققت التفوق العلمي في وقت قصير.

إن تكلفة إنشاء مؤسسات للترجمة العلمية والنشر العلمي الذي يتوفر على ترجمة الجديد من العلوم والمعارف والدوريات بشكل منظم، وتوزيعه بشكل فعال، أقل مما تتكلفه مؤسسة جامعية كبرى واحدة في الكثير من عواصم العالم الإسلامي.

إذا كان الفكر والمنهج هو اللب، فإن اللغات هي أداة الأداء، ولذلك فإن للُغة أهمية كبرى في فاعلية الأداء، وكلما كانت أداة الأداء قادرة وميسرة كان نجاح الأداء أوفر حظًا وأكبر

إن انتشار المعرفة العلمية بلغة القرآن سوف يزيد الطلب على هذه اللغة، وعلى ما فيها من معارف دينية وثقافية وعلمية وتقنية، ويجعل مشروعات الترجمة تجارية، وتتم في وقت قياسي، ويجعل تعريب الدراسة أمراً يسيراً وفعالاً، ويلغي كل الحجج التي تعارض التدريس باللغة العربية، لا بسبب اللغة وقدراتها الفائقة على التعبير بكل ألوانه، ولكن بسبب العجز عن إمداد لغة القرآن بالجديد من المعارف على شاكلة اللغات العالمية، ولغات الشعوب الحية المعاصرة.

إن الترجمة العلمية المتدفقة سوف تحل ذاتياً مشكلة المصطلحات، وتروج لمصطلحات موحدة من خلال النشر والاستعمال، ويدعم هذا الجهد قيام مجمع لغوي يضم إلى عضويته المجامع اللغوية القائمة، في جهود موحدة لمواكبة أعمال التعريب والترجمة بالمصطلحات الموحدة.

ولقد آن الأوان لمجامع اللغة العربية لبذل المزيد من الجهد لتيسير الإملاء والنحو العربي؛ بمعيار فهم القرآن، والحفاظ على سلامة فهمه، وفي ذلك ضمان لفهم التراث وصيانته، وما عدا ذلك يمكن تجاوزه لتيسير تعلم اللغة وسلامة استعمالها في عصر أصبح التعليمُ والثقافةُ فيه

حقًا للجميع، وليس للخاصة والمتخصصين، مع تعاظم مطالب المعرفة، وتوسع آفاقها.

ولما تيسره أدوات المعرفة الإلكترونية من مزيد من القدرة على التعامل مع اللغة وكشف أسرارها، وتذليل صعابها؛ فإنه أصبح من الممكن في يسر وسهولة الإحاطة التحليلية بكل شواهد اللغة وقضاياها بما لم يكن متيسراً لعلماء اللغة من قبل، ولذلك فإن من المأمول أن توفق جهود علماء اللغة في هذا العصر إلى القضاء على كثير من إشكالات نحو اللغة وإملائها مما لا طائل من ورائه، ولا فائدة ترجى منه.

ومن الأمثلة على بعض مصاعب اللغة التي لا يبدو أن لها في عصر الثقافة للجميع حاجة هو قواعد كتابة الهمزة في الإملاء العربي في أول الكلمة، وفي وسطها، وفي آخرها؛ إذ يشترط فيها معرفة حركتها وحركة الحرف الذي قبلها، وهو ما لا يشترط في كتابة باقي حروف كلمات اللغة العربية، ولشدة تعقُّد هذه القواعد وصعوبتها، حتى على من يصيب في معرفة حركة الهمزة، فإن جلهم يخطئون في كتابتها صحيحة، وكأنما قد وضعت هذه القواعد لإثبات جهل الناس بها، لا لتقويم إملائهم في كتابتها.

الأمة الإسلامية لا يمكنها أن يكون لها وزن علمي وثقافي عالمي إلا بلغة عالمية واسعة الانتشار، لغة غنيةٍ بالمادة العلمية، وخاصة المعرفة الفيزيائية والتقنية

و على هذه الشاكلة يكون أمر الحروف اللينة حيث نجد الألف في نهاية فعل (رمى) تكتب ألفًا مقصورة على صورة الياء، بينما تكتب في نهاية فعل (دنا) ألفًا ممدودة، والسبب في ذلك - حسبما يذكره علماء اللغة - هو أن الفعل الأول يائي؛ فتكتب ألفه على صورة الياء للدلالة على أصله اليائي، وأن الفعل الآخر واوي؛ فتكتب مطلقة على صورة الألف العادية للدلالة على أصله الواوي.

ومن الواضح أن الشخص الذي يستطيع أن يعرف أصل الفعل إن كان يائيًا أم واوياً ليس في حاجة إلى الألف اللينة التي هي على شكل الياء لتفرِّق عنده بين الفعل الواوي والفعل اليائي، أما من لا يدرك أصل الفعل، وهل هو يائي أم واوي، فالغالب أنه سيقع في الخطأ، أو أنه في أحسن الأحوال سيكتب الكلمة تقليداً لا يدرك له معنى، يصيب فيه أحيانًا، ويخطئ فيه أحيانًا أخرى، والأمر على كل الأحوال على ما يبدو مجرد قواعد لا فائدة في الحقيقة من ورائها، ولا فائدة من إثقال اللغة والمتعلمين بها غير تعثُّر إملائهم، والضغط على ذاكرتهم بسببها، وهذه لا تعدو أن تكون أمثلة، إذ هناك الكثير من ذلك، ومنها: الألف في آخر الفعل الماضي أو المضارع المنصوب أو المجزوم أو الأمر: كتبوا - لم يكتبوا - اكتبوا - بينما تحذف هذه الألف حينما يضاف جمع المذكر السالم المرفوع بالواو إلى اسم بعده: حضر مدرسو المدرسة. ومنها كذلك ألف المد المحذوفة المقدرة من: هاذا، هاذه، لاكن، ذالك، أولائك، وغير ذلك.

ومن المهم كذلك إعادة النظر في بناء قواعد اللغة وتعليمها، فإذا كان من المهم ملاحظة التفريق بين الفاعل والمفعول به خاصة فيما لو قُدِّم المفعول به على الفاعل؛ لأن ذلك يؤثر في فهم حقيقة المعنى، وإن كان الفرق في الحركة لا يفيد حين تكون الأسماء منتهية بالألف المقصورة (ليلى، منى)، إذ يصعب معها معرفة الفاعل من المفعول به بواسطة الحركة، ولا بد هنا في هذه الحالة من الترتيب والسياق لمعرفة المعنى. إلا أن التفرقة بالحركة قد لا يكون لها شيء من الأهمية في فهم المعنى في حالة الفرق بين الصفة والحال، فحركة الإعراب ذاتها لا تؤثر في فهم من صفته كذا، وحالة كونه كذا، فكلها في نهاية المطاف وصف، ومثل هذا يدعو إلى إعادة النظر في أمر كثير من قواعد النحو، وتعطى أهمية لبناء التراكيب وسياق الأداء الذي يجب أن يظهر في بناء قواعد اللغة وتعليمها في عصر الثقافة للجميع، ويؤكد ضرورة تيسير اللغة الفصحى لأبناء الأمة وتيسير القدرة على استعمالها بشكل مناسب فعال في عصر لم تعد الثقافة فيه وقفًا على الخاصة أو على المتخصصين.

إن على علماء اللغة العربية في هذا العصر بذل الجهود العلمية لتيسيرها، ورفع كفاءة أدائها دون مساسٍ بالضروري لفهم القرآن الكريم والتواصل مع معانيه وأساليبه، خاصة إذا ذكرنا أن تعدد لهجات العرب في



منظر من الجو للحرم الجامعي

استعمالهم لم يؤثر في الماضي - ولا في الحاضر - في التواصل فيما بينهم، ولا في بلاغة أدائهم.

وعلى الرغم من وعي المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ووعي الجامعة، بأهمية إغناء لغة القرآن، والعمل على إحلالها محلها الصحيح، بصفتها لغة عالمية للأمة الإسلامية، تستجيب لحاجاتها الوجدانية والحياتية، إلا أن الأمر يذهب بعيداً فيما وراء إمكانية أيٍّ منهما، وكان أقصى ما أمكن ضمن هذه الإمكانات هو جعل اللغة العربية لغة أساسية في التعليم الجامعي في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وتوفير المصدر الثقافي المباشر لـ (كوادر) الأمة، وصفوتها الفكرية، كما اهتم المعهد العالمي للفكر الإسلامي والجامعة بإصدار دوريات علمية باللغة العربية إلى جانب اللغة الإنجليزية، ونشر الأعمال والأبحاث الفكرية الثقافية باللغة العربية إغناءً لثقافة الأمة وفكرها، وباللغة الإنجليزية وسيلةً عالميةً معاصرة إلى كثير من الشعوب والصفوات العلمية في كثير من بلاد العالم المعاصر.

إن من المهم للجهات المعنية الرسمية وغير الرسمية، والخيرية والتجارية، والمحلية والدولية، أن تولي أهمية كبرى أمر الترجمة العلمية عامة، وترجمة الدوريات العلمية العالمية المهمة بوجه خاص إلى لغة القرآن، وإغناء هذه اللغة، وتأهيلها لتكون لغة الشعوب الإسلامية الثقافية العلمية الأولى.

إن على منظمة الإسسكو والألسكو والحكومات الإسلامية والمؤسسات العلمية والبحثية في العالم الإسلامي واجب التعاون من أجل تنسيق الجهود بينها لإخراج هذه الخطة إلى حيز الوجود، وإنجاح مشروع وحدة الأمة، وإنجاح مشروعها الحضاري لخير الإنسانية.

إن من الوهم أن نحلم بنقل العلوم والتقنية إلينا من قبل الآخرين؛ لأن العلوم والتقنية الحديثة علوم متطورة جداً، وبسرعة مذهلة، لا يملك ناصيتها إلا من كان مؤهلاً للعطاء العلمي والتقني، ويتمتع بعقلية علمية وقدرة إبداعية وثقافة غنية؛ ولذلك لابد من البدء بتأهيل أبناء

الأمة و(كوادرها)، وتفعيل طاقة هذه (الكوادر)، وإثارة حماستها، وإصلاح مناهج فكرها وثقافتها، وإغناء ثقافتهم - وخاصة الثقافة العربية - بكل عمل علمي وتقني جديد، على أن يتم ذلك باللغات الأولى.

إن الأمر يسير جداً إذا صح العزم، وصحت الرؤية، لتستكمل الأمة أدوات قدرتها وعطائها، وتفعيل مؤسساتها و(كوادرها) العلمية والتقنية.

تنمية المعرفة والبحث العلمي

وتمثل تنمية المعرفة، ودفع جهود البحث العلمي، الوجه الآخر للنشاط العلمي في مجال إسلامية المعرفة بالجامعة.

فإذا كانت الدراسات الأكاديمية الجامعية الأساسية وتكاملها في جميع الفروع ضرورية لإعداد (كوادر) تتمتع بوحدة المعرفة وتكاملها، وبالقدرة المنهجية، وبالمهارات المهنية واللغوية، ولتوفير المجال العلمي المتكامل للدراسات المتكاملة والمقارنة؛ فإن الدراسات العليا، وأبحاث الأساتذة، وأبحاث طلاب الدراسات العليا، وجهود مراكز البحث العلمي، وتفاعل جهود البحث العلمي مع الحياة والمجتمع، ونشر الأعمال العلمية، وإصدار الدوريات العالمية، وتنظيم اللقاءات والندوات العلمية في الجامعة، وبين أعضاء هيئة التدريس، وإجراء الحوارات، وبحث القضايا والاهتمامات العلمية، وتبادل الآراء والخبرات فيها، وتنظيم الندوات والمؤتمرات العلمية العالمية بالتعاون مع الهيئات والمؤسسات العلمية المحلية والدولية؛ إن هذه النشاطات كانت موضع اهتمام الجامعة ورعايتها القصوى، مما جعل الجامعة خلال هذه الفترة القصيرة منبراً ومناراً علمياً في مجالات الدراسات الإسلامية والإنسانية والطبية والهندسية كافة، وعُقد في رحابها عدد من الندوات والمؤتمرات العلمية في عدد من المجالات العلمية.

وقد أقامت الجامعة - منذ اليوم الأول - برنامجاً واسعاً للدراسات العليا على مستوى الماجستير والدكتوراه في عدد من فروع الدراسات الإسلامية والإنسانية والتربوية، وفي مجالات الدراسات القانونية والاقتصادية، وفي مجالات الدراسات الهندسية، ووفرت لها الوسائل العلمية المكتبية والمختبرية والمعملية، وأقامت جسور التعاون مع مختلف المؤسسات العلمية والصناعية، وقد أثمرت هذه السياسة وهذا الاستعداد توفير الكثير من وسائل البحث العلمي ومختبراته ومعامله، والمراجع العلمية بالتعاون والتبادل مع مختلف الجهات ذات الاهتمام المشترك، وأنتج كل ذلك زخماً من الأبحاث العلمية من قبل أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا، وقد حرصت الجامعة على العمل على رفع مستوى هذه الأبحاث وتوجيهها نحو خدمة قضايا الفكر الإسلامي، وحاجات الأمة.

كما قام مركز الأبحاث والمجلس العلمي للجامعة ولجانه في كليات الجامعة كافة بتوفير الدعم، وتشجيع الباحثين، وتبني مشروعاتهم، بالتعاون مع المؤسسات والشركات والجهات العلمية والصناعية؛ كما عملت على تبني خطط بحثية مدروسة استجابة لحاجات مهمة، وكانت الجامعة تقوم بخفض العبء الدراسي لكل من يثبت قدرة بحثية متميزة يتناول فيها أولويات الجامعة والأمة في البحث، ويصل ذلك إلى حد التفرغ الكامل لبعض هذه المشروعات البحثية، وقد حرصت الجامعة، لتحقيق وحدة المعرفة، وتكامل المناهج في تأهيل طلابها، وفي حدود البحث العلمي بها، على أن تفتح أبوابها لأصحاب القدرة العلمية والخبرة العملية لينضموا إلى سلك التعليم والبحث العلمي بها، من القضاة والمحامين المبرزين، ومن رجال الأعمال الناجحين، ومن العلماء الخبراء الباحثين، بشكل دائم أو على شكل إسهام جزئي، وفي مجال التعليم والبحث، أو في مجالات المشورة والنصح والمشاركة في المجالس واللجان المهتمة بتوجيه الجامعة وتطوير خططها ومناهجها.

انتشار المعرفة العلمية بلغة القرآن سوف يزيد الطلب على هذه اللغة، وعلى ما فيها من معارف دينية وثقافية وعلمية وتقنية، ويجعل مشروعات الترجمة تجارية

من هذه المشروعات البحثية التي تم تفريغ بعض الأكاديميين لها: مشروع تطوير المناهج والكتب الدراسية، ووضع خطة تنظيم تعليمية لمدرسة نموذجية

إسلامية عالمية تكون نواة لنظام مدرسي إسلامي عالمي يشمل مراحل التعليم العام كافة، من الروضة حتى نهاية المرحلة الثانوية، ويكون مبنيًا على الرؤية والمفاهيم الإسلامية، ويقدم للطفل ثقافة إسلامية إيجابية حضارية صافية، وعقلية منهجية علمية سليمة غير مشوبة بانحرافات، وتشوهات الخرافات والشعوذة، وبقايا موروثات التقاليد والحضارات ويعيد بناء مفاهيم التربية الأسرية والمدرسية لبناء الإنسان الكريم الذي يتحلى بروح الاستخلاف في الإبداع والمبادرة والعمران والإصلاح؛ وقد أثمر المشروع قيام مدرسة متكاملة تضم أبناء هيئة التدريس، ومن يتوافر لهم مقعد من أبناء الجمهور؛ وعلى الرغم من أن المشروع كان في خطواته الأولى إلا أن بدايات رؤى مناهجه ونظامه قد أظهرت نجاحًا يشجع على استكمال الجهد ليحقق الغاية المرجوة منه بإذن الله.

ومن مهام مركز الأبحاث وعمادته العلمية تنظيم أعمال الاستشارات والأبحاث التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس للشركات والمؤسسات، وبالتعاون معها.

كما تبنت الجامعة برنامجًا لنشر الأعمال العلمية المهمة الصادرة عن أعضاء هيئة التدريس، وقامت بإنشاء عدد من الدوريات العلمية الصادرة عن الجامعة، أو المتخصصة الصادرة عن الكليات ومراكز الأبحاث المتخصصة في الجامعة باللغة الإنجليزية، كما أصدرت الجامعة مجلة علمية باللغة العربية تحت اسم «التجديد» ملتزمة أرقى المقاييس العلمية في توخي الموضوعية، وحرية التعبير العلمي الذي كان ديدن الجامعة في نشاطاتها العلمية كافة مادام البحث والتعبير صادرين عن روح علمية، وبهدف خدمة الإسلام.

وتكامل مع هذه الجهود: العمل العلمي الدائب في كل كلية وقسم علمي في البرامج العلمية بالندوات والمحاضرات والحوارات والمؤتمرات العلمية المحلية والإقليمية والعالمية التي يُنظَّم كل عام عدد منها في مختلف المجالات الإسلامية والإنسانية والفيزيائية من منطلق «إسلامية المعرفة» في بحث القضايا التي تهم الأمة؛ لتنمية المعرفة على أساس المنظور الإسلامي، وكانت الجامعات، ومراكز البحث العلمي في الداخل والخارج، والمؤسسات الدولية، ومنها المعهد العالي للفكر الإسلامي، والمنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم، والبنك الإسلامي للتنمية - لما لمسته من كفاءة عمل الجامعة وجديتها - تتعاون مع الجامعة، وكان لهذا التعاون آثاره الإيجابية في دعم جهود البحث العلمي، وتوسيع آفاقه وخبراته؛ وتصدر الجامعة سنويًا كتابًا بالبحوث التي أنجزها أعضاء هيئة التدريس، والبحوث التي هي قيد البحث والإنجاز.

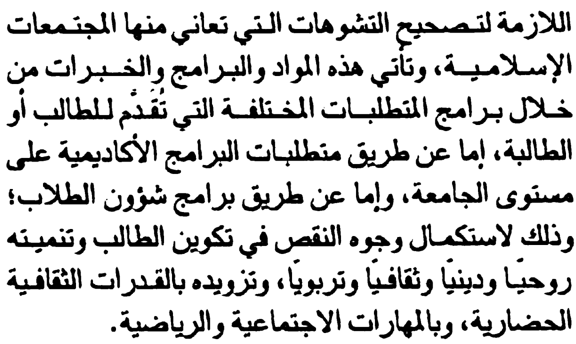
تكامل الأداء العلمي والتربوي

إذا كان إصلاح برامج التخصصات الدراسية وإصلاح مناهجها يحقق وحدة المعرفة، ويزود الطالب بالأسس المعرفية في صياغة محتوى عقله ومنهجه العلمي، فإن الروافد الثقافية ومناخ مجال العيش والحركة في رحاب الحرم الجامعي لها أيضًا أهميتها الكبرى في صياغة نفسية الطالب، وآفاق تفاعله مع المجتمع.



الطلاب والطالبات يشاركون في إحدى المناسبات

وأول هذه الأمور التي يجب على البيئة الجامعية توفيرها هو إمداد الطالب بالثقافة العامة الصحيحة، واستكمال الجوانب المهمة اللازمة لتصحيح التشوهات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، وتأتي هذه المواد والبرامج والخبرات من خلال برامج المتطلبات المختلفة التي تُقدَّم للطالب أو الطالبة، إما عن طريق متطلبات البرامج الأكاديمية على مستوى الجامعة، وإما عن طريق برامج شؤون الطلاب؛ وذلك لاستكمال وجوه النقص في تكوين الطالب وتنميته روحيًا ودينيًا وثقافيًا وتربويًا، وتزويده بالقدرات الثقافية الحضارية، وبالمهارات الاجتماعية والرياضية.



وجاءت برامج متطلبات الجامعة في خطة الجامعة الأكاديمية التربوية تُعنى بالأسس العقدية والأخلاقية والثقافية العامة للطالب، بقدر اهتمامها بخبراته وقدراته الأكاديمية، وتسعى إلى ترقية ثقافته ومعرفته، والإسهام

في إعداده للقيام بدوره الاجتماعي والقيادي، إلى جانب دوره المهني؛ ولذلك فإن الجامعة قدمت - إلى جانب مقررات العقيدة والأخلاق والثقافة العامة - مقرراً جامعياً في «الأسرة والأبوة» متضمناً دراسة علمية اجتماعية تربوية إسلامية للشاب والشابة من طلاب الجامعة؛ وذلك لوضع لبنة الأساس في البناء الاجتماعي ألا وهي الأسرة، على أسس إسلامية نفسية واجتماعية سليمة، وتؤهل الوالدين من الشباب لإدراك الغايات والوسائل التربوية الصحيحة، والعمل على إعداد أجيال تتمتع بالقوة الروحية والأخلاقية، وبالقدرة العقلية العلمية والطاقة النفسية الإبداعية، وبحس الكرامة، والثقة بالنفس، مما يوفر لأجيال المستقبل طاقة الشجاعة، وروح المبادرة اللازمة لإنسان الاستخلاف والعمران.

وتقدم الجامعة للهدف ذاته مقرراً جامعياً في «الفكر الإبداعي وحل المشكلات» لنشر الوعي بطبيعة هذا الفكر، وأسسه النفسية والتربوية، ووسائله العلمية التي تفتقر إليها ثقافة أبناء الأمة، يسترشد بها اليافع في تطوير فكره وأدائه، وتنشئة أبنائه على الأسس التي تؤهل الأمة وشبابها في سباق العمران وبناء الحضارات.

جاءت برامج متطلبات الجامعة في خطة الجامعة الأكاديمية التربوية تُعنى بالأسس العقدية والأخلاقية والثقافية العامة للطالب، بقدر اهتمامها بخبراته وقدراته الأكاديمية

وهناك أيضاً مقرر جامعي في «قيام الحضارات وانهيارها» يقصد به أن يكون من متطلبات الجامعة، انطلاقاً من أن هذه الأمة هي وارثة عدد من الحضارات الغابرة، وتعيش سباق جاد مع الحضارات الأخرى؛ مما يتطلب تزويد الشباب برؤية كلية علمية حضارية تعين على ترشيد فرسان برامج الإصلاح الإسلامي الحضاري.

لقد أنشأت الجامعة دبلومين عاليين لتأهيل المدرسين في مجال «الأسرة والأبوة» وفي مجال «الفكر الإبداعي وحل المشكلات» التي هي ليست مقررات مألوفة في البرامج الجامعية في البلاد الإسلامية، وتحتاج الجامعة إلى تأهيل عدد كبير منهم، حتى تتمكن من أن تجعل من هذه المقررات الجامعية متطلبات جامعية أساسية.

وللأهداف ذاتها أنشئ قسم وعمادة لشؤون الطلاب، وهو من أهم أقسام إدارة الجامعة وأكبرها، وقد أنيطت به مهمة تفجير طاقة الطلاب، وتنمية روح الإخاء، وحس الجماعة، والانتماء إلى الأمة فيما بينهم، وتوفير مجالات واسعة متكاملة للنشاط والخبرة، وبرامج الثقافة والتعليم الحر، والمهارات المختلفة، في برامج تنتظم الطلاب وأعضاء هيئة التدريس كافة في أسرة إسلامية كبيرة واحدة تنتمي إلى أكثر من ست وتسعين جنسية من الطلاب، وأكثر من أربعين جنسية من الأساتذة، يحركهم جميعاً حس الرسالة، وروح الإخاء، وصدق الانتماء، وسمو الغاية، ووعي التحدي.

إن إدارة الجامعة، وإدارات الخدمات والقبول والتسجيل، وكل أجهزة الإدارة، على المستويات كافة، من أصغر منسوبيها إلى أعلى مستويات مسؤولياتهم، يعدون في سياسة الجامعة جزءاً من الأسرة الجامعية، ومن المسؤولية التربوية؛ بل إن دور الإداريين التربوي في حقيقة الأمر قد يكون أبعد أثراً لكونهم النموذج الذي يتعامل معه الطالب والطالبة في تصريف شؤون حياتهما اليومية كافة في الجامعة، ويلمسه بشكل مباشر، وعلى أساس نوع تعامله معه، ونوعية هذا التعامل، يبني تصوراته، وأسلوب تعامله مع الناس والمجتمع فيما بعد؛ ولذلك فقد حرصت الجامعة - بحس إسلامي - على أن تحفظ كرامة منسوبيها، والاهتمام بحاجاتهم وحاجات من وراءهم؛ بحيث لا تتوانى عن تقديم القروض الميسرة لبناء حياتهم، وتقديم الخدمات الطبية لهم ولأسرهم، وإنشاء محاضن الطفولة لأبنائهم، واتخاذ ذلك أساساً لتعاملها معهم، وأساساً، في الوقت نفسه، لما تتطلبه منهم من الاهتمام بحسن معاملة الطلاب والطالبات، وحفظ كرامتهم، واحترام إنسانيتهم التي خص الله بها كل فرد من البشر وكرّمه بها، والعناية بحاجاتهم، وعدم التواني عن مساعدتهم، وتيسير معاملاتهم، وتوفير الخدمات والمشورات الممكنة الميسرة لهم بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية.

وقد ثبت بالخبرة والتجربة أنه، بروح المسؤولية، وحس

التكافل، وروح المصلحة المشتركة المبنية على العدل والإنصاف والمساواة والتقدير والتشجيع والاحترام وتوفير الخبرة والتدريب والتوجيه والنصح؛ يمكن للطاقة الإيجابية أن تنجز الكم الهائل من العمل في يسر وسهولة، وبكلفة وجهد أقل بكثير مما تتطلبه الجهود السلبية الضائعة المهدرة في التعويق والصراع الذي يسري في أوصال التنظيمات والمنظمات التي تفتقد الهدف الواضح، وروح الرسالة، ومصلحة الجماعة، وحس الانتماء. وصحيح ما أثبتته التجربة من أن الإنجاز والتقدم والنجاح تحتاج إلى جهد كبير، إلا أن التعويق والصراع والتخلف تحتاج في الحقيقة إلى جهد وعناء أكبر، ومن المؤكد كذلك أن الفقر والعوز إنما يكونان في الطاقة والروح قبل أن يكونا في الوسائل والموارد.

ثمار واعدة

إن رسالة الروح الإسلامية التي سرت في منهج العمل، وبناء روح الفريق، كانت خلف الإنجازات الهائلة في هذا الصرح العلمي المتميز، وخلال عقد واحد من الزمان، وذلك بسبب ما تميزت به خطة «إسلامية المعرفة» وتصوراتها من برامج علمية مبدعة، وأنظمة متكاملة فعالة، وتجهيزات ومرافق عالية الكفاءة والأداء، وبأقل التكاليف وأيسرها.

الإنجاز والتقدم والنجاح تحتاج إلى جهد كبير، إلا أن التعويق والصراع والتخلف تحتاج في الحقيقة إلى جهد وعناء أكبر

وعليه فلا عجب أن يتمكن هذا الصرح المتميز من أن يقدم للأمة نوعية من (الكوادر) المتميزة في مختلف المجالات، وأن تمثل برامجه الأكاديمية، وأنظمته، وترتيباته الثقافية والاجتماعية والتربوية، وفي مجالات الخبرات والقدرات، وفي مجالات البحث العلمي واهتماماته، والقضايا التي تبناها، نقلةً نوعية في الكم والكيف، في مجال التعليم العالي، وتفعيله في خدمة مشروع الأمة الحضاري، وتلبية حاجات الأمة الروحية والفكرية والوظيفية.

لقد برهن طلاب الجامعة وطالباتها من خلال نتاج هذه الفترة القصيرة على أنهم أقدر من أندادهم من خريجي الجامعات العريقة الأخرى، وأن لهم قصب السبق الأول في حلبات التنافس الثقافي والرياضي، ليس على مستوى ماليزيا فحسب؛ بل على مستوى المسابقات المنعقدة في جنوب شرق آسيا، ومسابقات آسيا - إفريقية؛ بل كانوا يحتلون دائماً مراكز متقدمة على مستوى (أستراليسيا) التي احتلوا في عدد من مبارياتها المراكز الأولى؛ بل حققوا أيضاً مثل ذلك على مستوى المباريات العالمية الثقافية، ففي مباريات المسابقة العالمية للمناظرات تمكن فريق الجامعة في آخر مواسم هذه المباريات عام ٢٠٠٠م - أول مرة في تاريخ هذه المباريات العالمية، وهو فريق بلد غير ناطق بالإنجليزية - أن يحقق مركزاً ضمن المراكز العشرة الأوائل، فقد كان فريق الجامعة الإسلامية العالمية هو الفريق صاحب المركز العالمي السابع بين المئات من فرق الجامعات الكبرى في العالم.

بل إن فريق فتيان الجامعة الإسلامية العالمية وفتياتها في رياضة التايكوندو الأثيرة لدى الماليزيين يكاد يستأثر ببطولة الجامعات الماليزية في هذا الميدان، وهم الذين انتزعوا - حين توافر لهم أول مرة عام ١٩٩٨م ملعب كرة متكامل في حرم الجامعة الجديد - بطولة الجامعات الماليزية في كرة القدم من يد الفريق المتربع على عرش البطولة لأعوام ثلاثة متتالية دون أن يتمكن فريق أي جامعة من الجامعات الماليزية من تسجيل إصابة واحدة في مرمى فريق الجامعة الإسلامية العالمية.

إن ما تتابعه إدارة الجامعة وجمعية خريجيها من أنباء خريجي هذه الجامعة اليافعة، وإنجازاتهم، وما يحتلونه من المراكز القيادية المتقدمة في بلادهم، لدليل مادي ملموس على سلامة منطلق «إسلامية المعرفة» في تفعيل التعليم العالي في خدمة الأمة ومشروعها الحضاري، وفي قدرة منطلقاته على تحريك مكامن الطاقة الحضارية في كيان أبناء الأمة بأقل الجهد، وأدنى التكاليف؛ ليتحول الكم إلى الكيف، والقليل إلى الكثير، والرخيص إلى الغالي الثمين، على ما هو معهود في حياة الأمم الحية الواعية، ومنظوماتها الفعالة التي تُفجّر ثقافتها ومناهجها التربوية مكامن الطاقة والبذل في أبنائها.

الموارد والتمويل

إن جدية العمل، وجدية المشروع وما عبر عنه من أهداف وغايات، وما حققه من إصلاحات منهجية، وما

أخذ به من سياسات علمية وتعليمية وتربوية؛ مكّنها من أن تلمس ضمائر العاملين، وتحيي في نفوس كثير منهم العزم والأمل، فقد رأوا آمالهم مجسدة، في براعم إنتاجه العلمي والإنساني التي قدمت صوراً إسلامية حية فاعلة، فتحركت فيهم دوافع البذل والعطاء المادي والمعنوي.

لذلك توافد على الجامعة رجالات الأمة من مستوياتها كافة، من الأهالي، ومن العاملين، ومن الرسميين، يتعرّفون قسماتها، ويتلمسون خطاها، ويزوّدونها بالنصح والتشجيع والبذل والعطاء.

وعلى الرغم من أن الحكومة الماليزية كانت تحمل أعباء تمويل برنامج الجامعة، وتمويل مؤسساتها ومبانيها، إلا أن الكثير من المؤسسات والمنظمات الدولية الإسلامية - وفي مقدمتها البنك الإسلامي للتنمية - مدّت إليها يد العون في تمويل مبانيها، وتمويل صندوق المنح الدراسية، وتمويل المؤتمرات العلمية الدولية بشكل غير مسبوق، ولم تتخلف المؤسسات الخيرية، ورجال الأعمال، وأصحاب الفضل والخير، من داخل ماليزيا ومن خارجها، عن دعم الجامعة، ودعم صندوق تمويل المنح الدراسية للألوف من الطلاب المتميزين من أكثر من (ست وتسعين) جنسية يمثلون كل أطياف الأمة وثقافات شعوبها ومستقبل وحدتها.

ولم يقتصر البذل والعطاء على الجانب المادي، بل وفّر هذا التفاعل مع رسالة الجامعة الموارد البشرية المتميزة التي ضحت بالكثير بالانضمام إلى هيئة التدريس فيها، لتقدم للدارسين في الجامعة ما لهم من علم وقدرة وتجربة دعماً لبرامجها العلمية والتعليمية والتربوية؛ وقد مثل ذلك تضحيات كبيرة من قبل كثير من الأفراد، ومن قبل المؤسسات العلمية، ومن الجامعات التي ضحت ببعض كوادرها المتميزة لمساعدة برامج الجامعة الوليدة، والإسهام في تدريسها وأبحاثها العلمية.

تسعى مدرسة «إسلامية المعرفة» إلى أن تؤدي جهودها في توعية المثقفين والمفكرين والتربويين و(الكوادر) التي تتميز بإسلامية فكرها ومنظورها حتى تتحمل مسؤولياتها في الإصلاح الفكري والمنهجي عامة

إن ما حظيت به الجامعة من الدعم بالمال والموارد البشرية من دولة المقر، ومن الشعب الماليزي، ومن مؤسساته، ومن مؤسسات الأمة العلمية والدولية ورجالاتها داخل ماليزيا وخارجها، إنما كان تعبيراً عما لامس نفوسهم وضمائرهم، وحرك مكامن الطاقة والبذل فيهم، وأسهم في تفعيل كل هذه الطاقات الخيّرة في خدمة الأمة، وتفعيل مؤسسة التعليم في صورة الجامعة الإسلامية العالمية ومشروعها الواعد في إسلامية المعرفة، وإصلاح الفكر والثقافة والتربية الإسلامية.

إنه يجب ألا تمضي هذه التجربة ودروسها في تحريك مكامن الطاقة والبذل في الأمة، وفي قدرتها على تفعيل مؤسسة التعليم والتربية أساساً لانطلاق طاقات مشروع الإصلاح الإسلامي الحضاري؛ دون أن نعيها، ونفيد منها، ونطورها، ونستفيد منها في تجارب تفعيل مؤسسات التعليم العالي في خدمة مستقبل الأمة، ومشروعها الحضاري الواعد بإذن الله.

الدرس المستفاد

مما سبق يتضح أن الوعي بأبعاد مشروع «إسلامية المعرفة»، ودوره في إصلاح مؤسسة التعليم العالي ليؤدي دوره في إصلاح الحياة الفكرية والتربوية للأمة، بحيث ترقى نوعية التعليم والبحث العلمي ونوعية (الكوادر) القيادية والمهنية على الأسس التي تحرك طاقات الأمة، وتحرك وجدان أبنائها، وتنطلق بهم من منطلقاتها، وتصلح ما أصابه التشوه والعطب في جسم ثقافتها، ومناهج عقول أبنائها، وبناء نفوسهم.

دون وعي القائمين على مؤسسات التعليم العالي وإدارته بهذه الأبعاد الفكرية والتربوية، والإيمان بها في إصلاح التعليم العالي، فلن يمكن تفعيل هذا التعليم في تحريك كوامن طاقة الأمة، وتجديد المعرفة فيها، وتفعيل نظم التعليم في خدمة الأمة وترقية نوعية الطاقات (الكوادر) المعرفية فيها، مهما قدموا من وسائل وآليات، وستبقى مؤسسة التعليم العالي لأجيال وعقود قادمة

مديدة مريضة على ما هي عليه اليوم - كما كانت لأجيال وعقود كثيرة مضت - ومؤسسة عاجزة تخرج (كوادر) وظيفية خابية الفكر، ملوثة الثقافة، مشوهة المناهج، محدودة الطموح، لا تسعى إلا إلى توفير لقمة العيش بدافع غزيري من حب البقاء، مهما تكدست حولها الوسائل والآليات المستوردة، ومهما أضفنا إلى هذه الآليات من مستحدث الآلات، يقاس مستقبل الحال على العلم بما مضى.

المستقبل

إن الأمل الذي تسعى إليه مدرسة «إسلامية المعرفة» هو أن تؤدي جهودها في توعية المثقفين والمفكرين والتربويين و(الكوادر) التي تتميز بإسلامية فكرها ومنظورها حتى تتحمل مسؤولياتها في الإصلاح الفكري والمنهجي عامة، وفي التعليم العالي خاصة الذي يُعد الصفوة و(الكوادر) الأكاديمية والعلمية والعملية للأمة، وأن تقوم بأداء الجهود الفكرية اللازمة لتنقية الثقافة الإسلامية التي تُقدم للأمة من كل ألوان الخرافة والشعوذة والخزعبلات، وما يتعارض والعقلية العلمية التي تقوم على طلب الأسباب والسنن شرطًا لازمًا غير كاف للنجاح، تستند في كليات الأمور إلى« الإيمان والتوكل «اعقلها وتوكل»، وأن تعمل على ترسيخ كل ما يدعم الرؤية الإسلامية الكلية، والروح الاستخلافية الأخلاقية العمرانية الحضارية، ويقويها، وتقديم الأدبيات العلمية الإسلامية لإصلاح مناهج التربية، وإعداد الآباء وتأهيلهم تربويًا لتنشئة جيل الاستخلاف المبرأ من خُلق الرقيق، والمتسم بالطهارة والتزكية، وروح المبادرة والإبداع؛ لأن الآباء هم العنصر الوحيد الذي يمكنه - بما له من تأثير ونفوذ في عقل النشء وضميرهم - أن يبدأ بتحريك عجلة التغيير، اعتمادًا على ما لديهم من دافع فطري في حرصهم على مصلحة أبنائهم، واستعدادهم للتضحية بالغالي والرخيص من أجل تحقيق ما يتوخى الآباء فيه مصلحة أبنائهم، وفق اقتناعاتهم التي يقدمها المفكرون والمربون إليهم.

إننا لو وازنّا بين ما تقدمه الأمم ومفكروها ومربوها من دراسات علمية تربوية لتوعية الآباء والمعلمين وقيادات المجتمع؛ وما يقدمه مفكرو العالم الإسلامي ومربوه من دراسات علمية إسلامية للآباء والمعلمين المسلمين، لأدركنا أحد أهم الأسرار في فهم تخلف الأمة الذي اتسم مشروع إصلاحها الحضاري بغيبته حين غُيّب في هذا المشروع الطفل وأدبيات تربيته وتنميته، فضلاً عن اتصاف أبنائها ومثقفيها بإهمال التأهيل بالقليل المتوافر لديهم في مجال الثقافة الإسلامية والتربية الإسلامية، بسبب عجز مؤسسة التعليم العالي عن أن تقوم بمهمتها في تفعيل العلم والمعرفة، وتأهيل عناصرها (كوادرها) القيادية والمهنية فكريًا وثقافيًا وتربويًا لخدمة حاجات الأمة، وإصلاح ما أصاب فكرها وثقافتها ومناهج تربيتها من تشوهات تحول دون فاعلية العقل المسلم، وتحريك كوامن طاقته الحضارية.

آفات التعليم العالي في البلاد الإسلامية هي: التقليد والمحاكاة، وتشوه الرؤية الكلية الإسلامية

إن إعداد الطاقات (الكوادر) العلمية والتقنية ليس في حدّ ذاته هدفًا؛ ولكن الغاية منه إعداد هذه الكوادر لخدمة الأمة، والاستجابة لحاجاتها وحاجات مشروعها الإصلاحي الحضاري، ومن ذلك امتلاك ناصية القدرة العلمية والتقنية التي لا يمكن تحقيقها إلا إذا تحلت هذه (الكوادر) بقدرة الأداء، وإن المجال التربوي، وتنقية الثقافة، وثقافة الآباء التربوية، هي في مقدمة متطلبات هذا الإصلاح الحضاري الإسلامي الذي سعت جهود المعهد العالمي للفكر الإسلامي إلى تحقيقه، وإقامة نموذج وتجربة يجسدان هذه المنطلقات والمفاهيم، ويثبتان قدرتهما على تفجير طاقات شباب الأمة، وتحريك كوامن القدرة، وتميز الأداء في نفوسهم؛ وذلك بواسطة مشروع تفعيل التعليم العالي في خدمة الأمة في الجامعة الإسلامية بماليزيا التي نرجو لها، في ظل الظروف التي تمرُ بها منطقة جنوب شرق آسيا، السلام ودوام الاستمرار والثبات في إنجاز مهمتها وأداء رسالتها، حتى تصبح مجالاً يحتذى لتحقيق عملية تفعيل التعليم العالي في خدمة الأمة، وإصلاح منطلقاته حتى يمكنه الإسهام في تحريك الطاقة الكامنة في كيان الأمة، خدمةً للحضارة الإنسانية وترشيد مسارها بإذن الله.

- مصدر الصور: موقع الجامعة على الإنترنت.

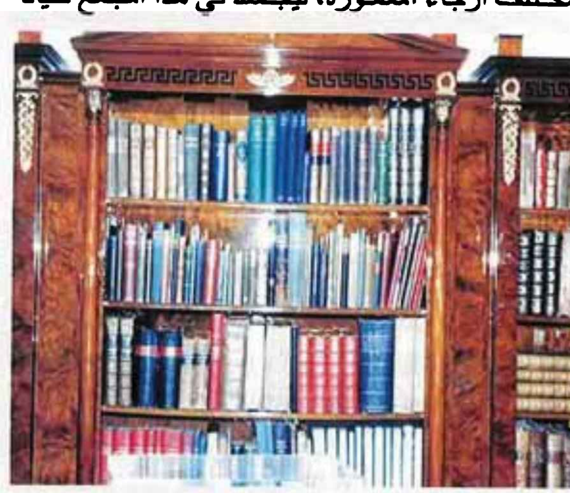
مكتبة الشيخ حسن بالدوحة:

خزائن لنفائس التراث العربي والإسلامي

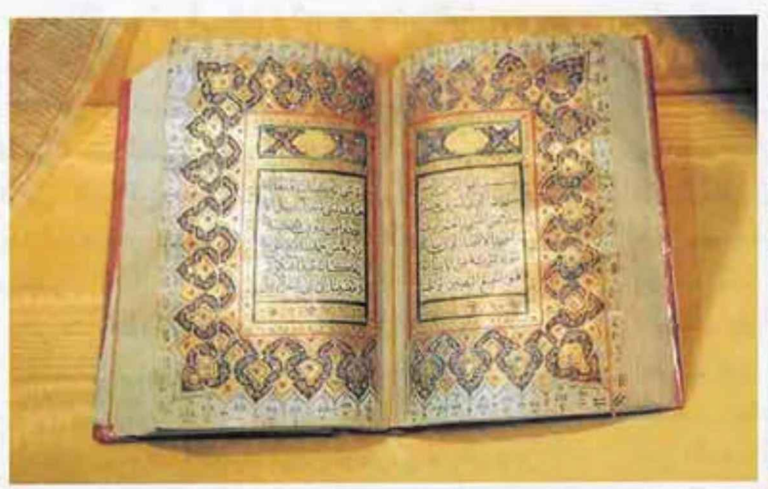
محمد همام فكري
قطر - الدوحة

الذي يزور العاصمة القطرية (الدوحة) من دون أن يزور مكتبة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني، يكون بذلك قد فاته مشاهدة أحد أهم معالمها الثقافية، فالمكتبة بما تحويه من أوعية ثقافية وفكرية مختلفة تشكل ذاكرة تاريخية نادرة. ويحق لها أن تكون أحد معالم الفكر الإنساني الذي يعكس الحوار الثقافي الأوربي الإسلامي منذ فجر حركة الاستشراق، كما تعكس في الوقت نفسه ثراء الفكر العربي الإسلامي لما تضمه من إبداعات رائعة في مختلف العلوم والفنون.

وقد تحمل الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني بمفرده عبء تأسيس هذه المكتبة، وجمع أوعيتها من مختلف أرجاء المعمورة، ليجسد في هذا المجمع كيانا



ثقافيًا فريدًا، فقد جاء تكوين هذه المكتبة من منطلق توجه شخصي للشيخ حسن؛ وذلك لاقتناء مجموعة من الكتب الموسوعية الشهيرة في مجالات المعرفة المختلفة، وكان ذلك في بداية عام ١٩٧٩م، ومنذ ذلك الوقت ازدادت الاهتمامات بجمع مجموعات من كتب التاريخ، التي قادت بدورها إلى مرحلة جديدة في هذا التوجه؛ وذلك بجمع النادر من الكتب التراثية الأجنبية والعربية واقتنائها. ومع بدايات عام ١٩٨٩م تبلور ذلك التوجه في إنشاء مكتبة تُعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي، مما استدعى وضع خطة منهجية لتكوين هذه المكتبة التي تُعد الآن من أهم مكتبات الشرق الأوسط، ومن المكتبات المعدودات في محتواها عالميًا، وتضم المكتبة مجموعة الأقسام الآتية:





قسم بدائع المخطوطات القرآنية يجسد تاريخ المخطوط القرآني وتطوره



قسم الكتب الأجنبية

يشتمل على نحو عشرين ألف عنوان في مجالات الدراسات الاستشراقية (العلمية والأدبية، والدينية)، وكتب الرحّالين والمستكشفين، وأوائل المطبوعات العربية، والتراث العلمي العربي في ترجماته اللاتينية، ومجموعة مصادر تاريخ الأندلس، وترجمات ألف ليلة وليلة بأشهر اللغات العالمية، ومصادر تاريخ الحروب الصليبية، ومصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية، والبلاد العربية ودول المنطقة في مختلف أوجه المعرفة، تعكس واقعها الجغرافي والاجتماعي، وتؤرخ، في الوقت نفسه، لأحداثها التاريخية والسياسية والدينية والآثارية، وطبع معظمها بلغات أجنبية متعددة، منها: اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والهولندية والإسبانية والروسية وغيرها، بالإضافة إلى طباعتها مع بدايات اختراع الطباعة في العالم حتى منتصف القرن العشرين.

وهذا القسم يضم في داخله المجموعات الآتية:

كتب المستشرقين

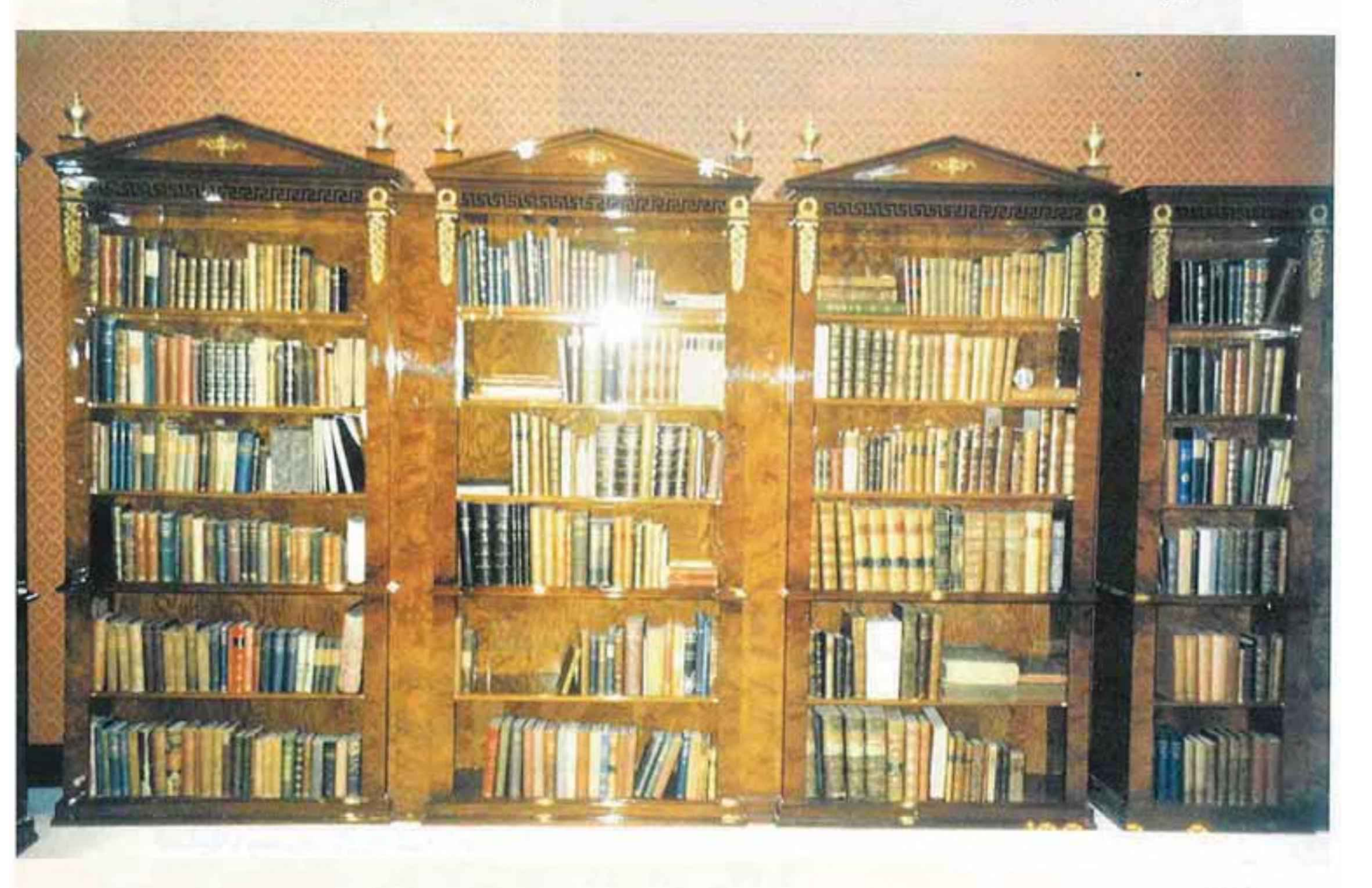
يحتوي هذا القسم على أهم أعمال حركة الاستشراق، منذ مولد هذه الحركة فيما عُرف بالاتصال الثقافي الغربي - الشرقي، الذي تناول حضارات الشرق، وعلى وجه الخصوص التراث العربي الإسلامي في القرون الوسطى.

وفي هذا القسم توجد أهم أعمال رواد حركة الاستشراق في مجالات الفكر المختلفة، منها أعمال لكل من: إدوارد بوكوك، وتوما أربنيوس، وبدرو ده ألكا، ودي ساسي، وسنوك، وإدوارد لين، ودوبر، وجوليوس، وبالمر، وغيرهم. وهذه الأعمال في طباعتها الأولى التي يرجع تاريخ طباعة بعضها إلى بدايات اختراع الطباعة.

كتب الرحّالين والمستكشفين

يحتوي هذا القسم على الآلاف من كتب الرحالين والمستكشفين، الذين جابوا مناطق كثيرة في العالم والشرق بصفة خاصة، وقدموا معلومات مهمة لأوربا والتراث الفكري الإنساني عن عالمنا العربي، فيما عرف بحركة الكشوف البحرية الكبرى، إلى نهاية حركة الكشوف البرية وأعمال القناصل والمقيمين السياسيين حتى منتصف القرن العشرين، وأعمال البعثات العلمية والتبشيرية.

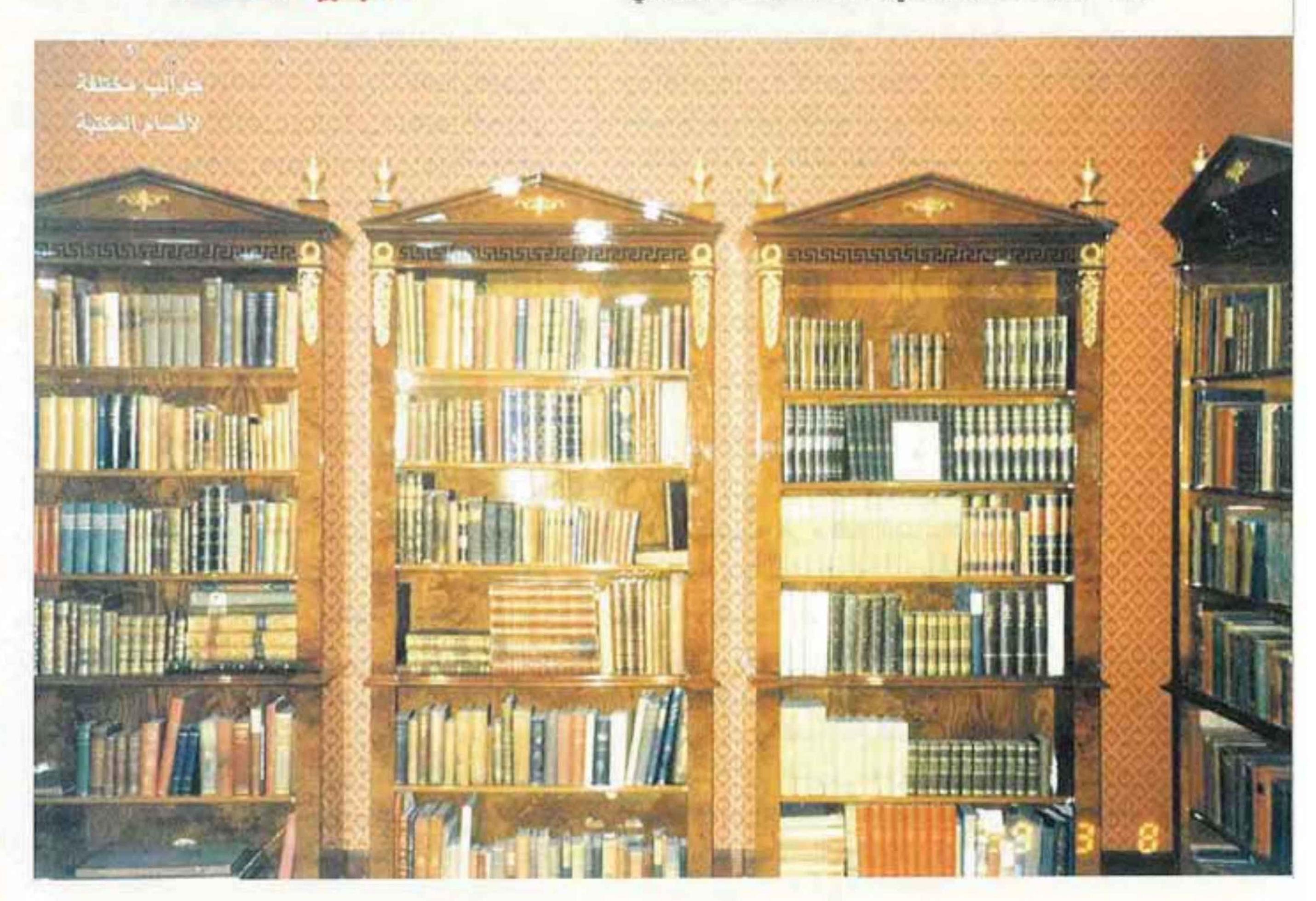
وتضم هذه المجموعة كتب الرحّالين الرواد من البرتغاليين الذين قدموا إلى المنطقة في نهاية القرن الخامس عشر، مروراً بالرحالة الأوربيين الذين توافدوا على المنطقة العربية في كل من آسيا وإفريقية، والجزيرة العربية بصفة خاصة. نذكر منهم أعمال الرحّالين الرواد أمثال ماركو باولو أشهر الرحّالين الغربيين في الشرق، ولودفيكو فارثيما أول حاج أوربي، ورامسيو، وأعمال كل من فريث، ودي لاروك الشهيرة في مجال الرحلات،



ورحلات البحارة والتجار الأوربيين مثل أعمال بحارة «سان مالو»، بالإضافة إلى أعمال مجموعة البعثات العلمية، كأعمال البعثة الدانماركية بقيادة كارستن نيبور الذي يعدّه المؤرخون رائد الكشوف الجغرافية في الجزيرة والخليج العربي، وبعثة ثيودر بنت، والبعثة التي قام بها مانتزوني عالم الآثار الإيطالي لليمن، وبعثة جوليوس أويتنج، وهوبر، وكذلك أعمال الرحّالين الآثاريين، أمثال سيتزن وهاليفي وآرنو... وغيرهم.

إضافة إلى أعمال الرحّالين المغامرين أو الرحّالين غير الرسميين، أمثال: جوزيف بيتس (أول حاج إنجليزي للأماكن المقدسة)، ومعظم أعمال الرحالة الشهير ريتشارد بيرتون، والمغامر الإيطالي فيناتي، وكذلك جميع مؤلفات الرحالة البريطاني وليم بلجريف، بطبعاتها المختلفة، والسير هارفورد بريدجز الذي سجّل وصفاً دقيقاً للحروب التي خاضها الإصلاحيون في كتابه: «تاريخ موجز للحركة الوهابية (السلفية)»، فقد كان شاهد عيان لبعض أحداثها، ومؤلفات الرحّالين العلماء، أمثال: بوركهارت، وفالين، والرحالة الأسباني دمنجو باديا آي لبليش، الذي عُرف باسم علي بيه العباسي، والرحالة جيمس سلك بكنجهام الذي قام بعدة رحلات في الشرق والجزيرة العربية، وكتابات الرحالة الفرنسي تاميزيه الذي رافق حملة محمد علي باشا على الحجاز، وأعمال كل من تشارلز داوتي، وبرترام توماس، وفيلبي، وكارلو جورماني، وغيرهم من رجال ونساء، أمثال: الليدي آن بلنت، وفريا ستارك، وجرترود

تضم المكتبة الترجمات الأولى والنادرة للقرآن الكريم باللغات الأجنبية المختلفة


جوانب مختلفة لأقسام المكتبة

بيل، وروزيتا فوربس.. وغيرهن، إضافة إلى أعمال القناصل والسياسيين والعسكريين الذين عملوا في شركة الهند الشرقية، كأعمال المقيم السياسي البريطاني لويس بلي وسادلر الذي يعد أول من عبر الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب، وشكسبير وغيرهم من الرحالين والمستكشفين، نذكر منهم أيضاً لورنس، وديكسون، وموسل، وميلز، وماسينيون، وهيرش، وولستد، وويلسون، وليتشمان، وكروذرث، وثيسيجر وغيرهم. كما يضم هذا القسم أيضاً أعمال الرحالين الفنانين، أمثال: ديفيد روبرت، وذنون، وتيمبل، وأعمال البعثة العلمية التي صاحبت الحملة الفرنسية على مصر وغيرها، بالإضافة إلى مجموعة الأجهزة العلمية والأدوات التي كانوا يصطحبونها معهم في رحلاتهم، بقصد إجراء مسوحات، أو رسم مصورات (خرائط)، أو تسجيل بيانات مناخية أو فلكية.

مجموعة مصادر تاريخ الأندلس

تضم هذه المجموعة مئات المراجع الأجنبية والعربية التي تؤرخ لتاريخ الأندلس، وهي في تنوعها المعرفي تتناول جوانب مهمة من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، وتظهر في مجملها موقف الغرب من المد

يشتمل قسم الدوريات والمجلات الأجنبية على ٥٠ عنواناً، ويحتوي قسم المصورات الجغرافية (الخرائط) على ٦٠٠ خريطة مخطوطة ومطبوعة، وفي قسم المخطوطات العربية ألفا مخطوط بحالة ممتازة، وفي قسم نفائس كتب التراث ألفا عنوان، وفي قسم نوادر الصحف والدوريات والمجلات العربية مئتا عنوان

الإسلامي، ونهاية الوجود العربي في إسبانيا؛ كما أن بعضها يشكل رواية لشاهدي عيان لحركة التنصير الإجبارية التي قام بها كل من إيزابيلا وفرناندو للمسلمين. تتنوع أوعية هذه المجموعة لتشمل مخطوطات ووثائق ومطبوعات نادرة، منها ما يتناول الجوانب الفنية، ومنها ما يختص بالجوانب الفكرية والسياسية والدينية.

مجموعة ترجمات معاني القرآن الكريم

تحتوي هذه المجموعة على الترجمات الأولى والنادرة للقرآن الكريم باللغات الأجنبية كافة (اللاتينية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية، والإيطالية.. وغيرها). كترجمة ميديتشي، وترجمة دي ريير، وترجمة جورج سيل، وكذلك ترجمات كل من: وآربري وسافاري وبالمر وورود ويل وجلازيميكر وجولدزهاير وديتريشي وكازيميرسكي، وغيرهم.

مجموعة أوائل المطبوعات العربية

يحتوي هذا القسم على مجموعة الكتب التي تمت طباعتها في بدايات اختراع الطباعة في أوربا بالحروف العربية وفقاً لتقنية الطباعة بالحروف المتفرقة. ويأتي في مقدمتها كتاب: «فن تعلّم اللغة العربية بسهولة» أو «وسائل تعلّم اللغة العربية ومعرفتها» الذي طبع في مدينة غرناطة عام ١٥٠٥م، وهو للباحث بدرو ده ألكالا، وكتاب «المزامير» المطبوع عام ١٥١٦م. بالإضافة إلى أوائل الكتب العربية المطبوعة «مطبعة ميديتشي» الشهيرة في روما مثل كتب: «القانون في الطب» لابن سينا، وفي آخره كتاب «النجاة»، و«الكافية»، و«الأجرومية» لابن آجروم، و«نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق» للشريف الإدريسي و«تحرير أصول إقليدس»، وهو تعريب هندسة إقليدس، لنصير الدين الطوسي، التي تمت طباعتها في نهاية القرن السادس عشر، وغيرها من مئات الكتب المهمة التي تجسد في مجملها تاريخ نشأة الطباعة العربية في أوربا وتطورها.

مجموعة التراث العلمي العربي والإسلامي

في هذه المجموعة النفيسة والنادرة من التراث العلمي العربي المترجم إلى اللاتينية، والمطبوع في أوربا مع بدايات اختراع الطباعة، تتجلى المكانة العظيمة التي تمتع بها الإنتاج الفكري العربي والإسلامي في التراث العلمي العالمي، وهذه المجموعة تضم مخطوطات وكتباً في مجالات علوم الفلك والرياضيات والطب والطبيعيات

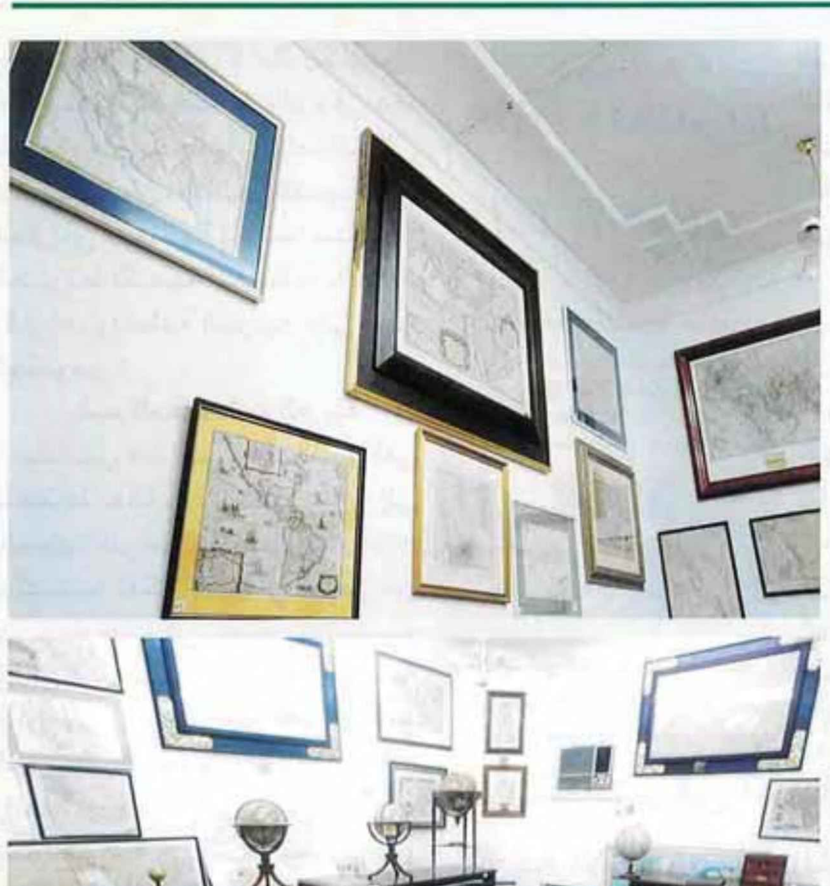
والكيمياء وغيرها من العلوم العقلية التجريبية، منها أعمال لكل من: ابن سينا، الطوسي والرازي، وابن الجزار، والخوارزمي، ويوحنا بن سرابيون، وابن ماسويه، وابن أبي الرجال، والبتاني، والقبيسي (الكابس)، والفرغاني، وجابر ابن حيان، وثابت بن قرة، والبلخي، والزرقالي، وعمر الطبري، وابن رشد، وابن الخياط، وغيرهم ممن ساهموا في إغناء تراثنا العلمي، وقدموا للتراث العالمي تراثًا غنيًا في فروع العلم كافة.

قسم الدوريات والمجلات الأجنبية

يشتمل هذا القسم على نحو ٥٠ عنوانًا لمجلة ودورية باللغة الأجنبية تشتمل على آلاف الأعداد في الآجرومية المتكاملة وشبه المتكاملة، بالإضافة إلى مستخلصات المقالات والبحوث التي كتبها الرحّالون والمستشرقون في مجلات الجمعيات الجغرافية والاستشراقية المتعلقة بتاريخ المنطقة وجغرافيتها بوجه خاص.

قسم المصوَّرات الجغرافية (الخرائط)

يحتوي هذا القسم على نحو ٦٠٠ خريطة مخطوطة ومطبوعة تُشكل مجموعة متميزة من الخرائط القديمة التي تعكس حركة تطور فن رسم الخرائط من جهة، والتطور (الكارتوجرافي) للمناطق التي تغطيها من جهة أخرى، كما تتميز هذه المجموعة بأنها من وضع الجغرافيين الأوائل، أمثال: «بطليموس، وإبراهام، وأورتيلس، وماركيتور، ودي ويت، وجون بلاو، وسبيد، ودانفيل، وداليل، وتكسيرا، وغيرهم» ووضع بعضها أشهر البحارة والرحالين الذين قدموا إلى الجزيرة العربية بدءًا من القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن الماضي، ومن أمثلة الخرائط المخطوطة في هذه المجموعة: خريطة البحر الأحمر التي وضعها القناصل الفرنسيون. وغيرها من الخرائط غير المنشورة التي تمثل أعمالاً نادرة جداً»، كما تضم هذه المجموعة نماذج كثيرة للكرة الأرضية تم وضعها في القرون الثلاثة الماضية،



قسم الخرائط يتتبع تطور رسم الخرائط والمخططات الجغرافية للجزيرة العربية

وهي تصور الأرض كاملة بتفاصيل المعلومات الجغرافية المتوافرة في هذه الفترة والتي سبقتها، بالإضافة إلى مجموعة من الأطالس القديمة التي تشكل في مجملها قسماً متكاملاً للخرائط القديمة المتعلقة بالعالم وقاراته، والمنطقة العربية على وجه الخصوص.

قسم المخطوطات العربية

يشتمل هذا القسم على نحو ألفي مخطوط بحالة ممتازة، بالإضافة إلى اشتمالها على مجموعة نادرة من نتاج بواكير الفكر العربي العلمي من مخطوطات في الفلك والتنجيم والحساب والطب والزراعة والهندسة والموسيقى، وهي موضوعات غاية في الندرة على قيمتها الفكرية والحضارية في تراثنا. وهناك مجموعة من المصاحف الشريفة والمباحث التراثية المختلفة من تصوف وفقه ولغة وحديث وتاريخ وفنون مختلفة، خُطّت معظمها في العالم الإسلامي بخط أشهر الخطاطين، ومن أهمها المجموعة التي ترجع إلى الصين ودول شرق آسيا.

قسم نفائس كتب التراث

يشتمل هذا القسم على نحو ألفي عنوان لعيون الكتب العربية التراثية وأمهاتها التي تمثل أوائل الكتب المطبوعة في المطابع العربية والأجنبية، وهي في قيمتها أشبه بالمخطوطات لندرتها، خاصة وأنها تمثل طبعات أولى لبدايات الطباعة بالحروف العربية.. وهو منظور تاريخي يتتبع تطور الطباعة في البلاد العربية والإسلامية كمطابع حلب وشوير واليسوعيين وبيروت وبولاق والموصل وغيرها، إضافة إلى الكتب العربية التي طبعت في مطابع روما ومالطة في نهاية القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر، ففي هذا القسم الكتاب الأول الذي طبع في مطبعة حلب، وما تلاه من كتب توالت على المكتبة العربية لتشكل جزءاً من تاريخ الطباعة في العالم العربي.

A General
DESCRIPTION
OF
ARABIA,
BY
Sultan Ifhmael Abulfeda.

Tranflated from the beft *Manufcripts*, with Notes, &c.

LONDON:
Printed in the Year 1718.

كتاب أبي الفدا أحد أوائل الكتب العربية التي درستها أوربا.. نشر عام ١٧١٨م

قسم
نوادر الصحف والدوريات والمجلات العربية

يتضمن هذا القسم نحو مئتي عنوان لجريدة ومجلة ودورية عربية، بدأ صدورها في نهايات القرن التاسع عشر، وتُعد، من وجهة نظر تاريخية، تجسيداً حياً لتاريخ الصحافة العربية، خاصة وأن منها صحفاً ومجلات يتيمة (صدر عدد واحد منها أو اثنان أو أكثر) أو توقف إصدار بعضها، بالإضافة إلى أوائل المجلات التي صدرت في منطقة الخليج العربي مثل مجلات وصحف: الفلاح، وأم القرى، ونشرة أنباء أم القرى، بالإضافة إلى مجلات (صوت الحجاز وبريد الحجاز والقبلة والبلاد السعودية والمدينة المنورة والنهضة (عدن) وصوت البحرين ولغة العرب وفتاة الشرق والرائد والبعثة الكويتية والعالم العربي، وغيرها من المجلات والصحف النادرة كحديقة الأخبار، والمقتطف، والهلال، والرسالة، والآداب، وأبلو، واللطائف، والأديب، والثقافة، والعروس، والكلية، والفنون، والنحلة، ونهج الإسلام ومجلات مراكز البحوث والمؤسسات العلمية العربية المختلفة... وغيرها.

في قسم المستشرقين أعمال رواد حركة الاستشراق التي يرجع بعضها إلى بدايات اختراع الطباعة

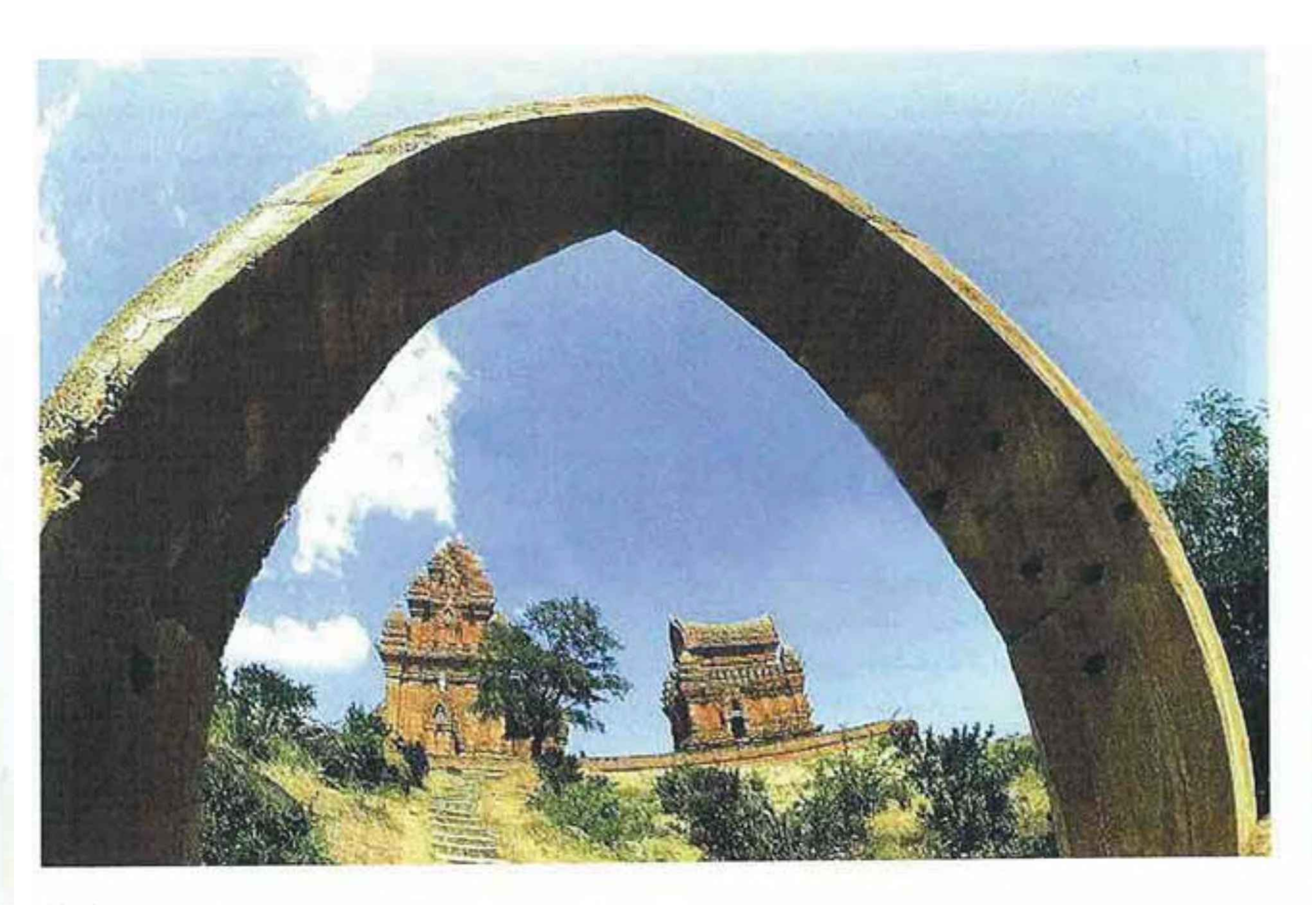
وبعد فقد كانت تلك جولة سريعة في أقسام هذه المكتبة العريقة بمقتنياتها، والتي تشكل إضافة ثقافية لدولة قطر، ومكتبات العالم العربي بشكل عام.

ذاكرة
التاريخ

تشامبا
مملكة إسلامية مجهولة *

سمير عطا
الجيزة - مصر

في عام ١٩٧٥م انتهت الحرب في الهند الصينية بين الفيتناميين والأمريكان بسقوط مدينة سايجون عاصمة فيتنام الجنوبية في يد قوات فيتنام الشمالية الشيوعية.. وتوحدت فيتنام الشمالية والجنوبية تحت اسم جمهورية فيتنام الاشتراكية الديمقراطية.



وترجع جذور الفيتناميين إلى سلالات صينية وملاوية - ميلانيزية، وأغلبية الشعب الحالي ينتمي إلى عنصر الـ (كين) Kinh أو الـ (فـيـيت) Viet، الذي اشتق منه اسم بلادهم، ويشكلون الآن ٨٨٪ من مجموع السكان، والجزء الباقي ينتمي إلى مجموعات من الشعوب والعناصر الأخرى تبلغ في مجملها أكثر من خمسين مجموعة عرقية مختلفة، وهم نحو ١٠ ملايين نسمة، أما تعداد الشعب كله فيقرب من الـ ٨٠ مليوناً.

ومنذ العصور القديمة، كانت شعوب منطقة الهند الصينية التي توجد فيها الآن فيتنام، ولاوس، وكمبوديا تدين بالبراهمية التي وصلت إليها من الهند، وعمت المنطقة كلها ما عدا منطقة آنام Annam التي أثرت فيها التعاليم الكونفوشية الوافدة إليها من الصين، ثم جاءت البوذية، وعمّت شعوب المنطقة كلها.

وفي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد زحفت قبائل «الفييت» على مملكة قديمة اسمها أولاك Aulac، واستولت عليها، ثم سميت المملكة باسم نام فييت Nam viet وفي عام ١١١ق.م. سقطت «نام فييت» وخضعت لسيطرة أسرة الهان تشاينا Han China الصينية، وأصبحت مقاطعة صينية «خارجية» حتى عام ٩٣٨م (القرن العاشر الميلادي). وبذلك ظلت «نام فييت» تتأثر طوال ألف عام بالثقافة والتقاليد والأديان الصينية، واستخدمت الأشكال الصينية في الكتابة.. ثم تحرر الفيتناميون من الحكم الصيني، وأصبحت «هانوي» العاصمة الحالية، وكان اسمها وقتذاك «تانج لونج» - عاصمة البلاد تحت حكم أسرة لي Le، وعرفت العاصمة بعد ذلك باسم «دونج كين»، وحرفت إلى «تونكين»، ثم «هانوي».

وحكم «نام فييت» عدة أسر حتى أوائل القرن الخامس عشر حين غزاها الصينيون مرة ثانية، لكن حكمهم لم يطل هذه المرة، فبعد عدة سنوات تم إبعادهم عام ١٤٢٨م، وعادت أسرة «لي» إلى الحكم على يد الملك «لي لوي». وأصبح اسم البلاد منذ ذلك الوقت «داي فييت» أو داي كو فييت Dai Co Viet، والتي استمرت حتى ١٧٧٦م.

وعلى الرغم من أن حكم أسرة «لي» استمر حتى هذا التاريخ، إلا أن السلطة الحقيقية لم تكن بيد الإمبراطور الفيتنامي، بل كانت بيد عائلتين هما عائلة «ترين» وتسيطر على شمال «داي فاييت»، وعائلة «نجويين» وتسيطر على جنوب «داي فاييت»، وهي المنطقة التي سميت «آنام» فيما بعد.

وبعد مدة طويلة من الحرب الأهلية قسمت «داي فييت» رسمياً بين هذين البيتين في عام ١٦٧٢م، ثم عادت «داي فييت» إلى الوحدة حتى عام ١٧٧٦م بعد قيام الثائر تاي سون بثورته التي عرفت باسم ثورة الفلاحين، وهزم كلاً من بيتي «ترين» و«نجويين»، وأسقط حكم أباطرة أسرة «لي».

وفي عام ١٧٩٢م مات تاي سون فقفز إلى السلطة واحد من ذرية بيت «نجويين» اسمه نجويين آنه، واتخذ اسم جيا لونج، وأسس أسرة «نجويين» الثانية في عام ١٨٠٢م، ونقل عاصمة ملكه إلى هوي Hue وسط البلاد، وسميت البلاد منذ ذلك الوقت



خريطة فيتنام


نساء بقبعاتهن التقليدية



أحد الأضرحة ويبرز عليه بعض النقوش الفنية

باسم «فيتنام» وصحة كتابتها «فييت نام».. أما «هانوي» فأصبحت مقراً لنائب الملك في الشمال.

شعب تشامبا

في الجنوب من «نام فييت»، وفي المنطقة التي كانت تعرف قبل عام ١٩٧٥م باسم «فيتنام الجنوبية»، بالإضافة إلى الجزء الجنوبي من «فيتنام الشمالية» قامت مملكة من أقدم الممالك التي ظهرت في هذه المنطقة، ومن أقدم الدول التي أسستها الأقوام الملاوية، وهي «مملكة تشامبا»، التي ظلت قائمة من القرن الثالث الميلادي حتى القرن الثامن عشر.. وظلت طوال هذه الفترة في صراع مع جيرانها الـ «داي فييت» والصينيين في الشمال و«الخمير الكمبوديين» في الجنوب والغرب.

وكان الـ «تشام» مثل الـ«خمير» يدينون بالهندوكية التي وردت إليهم من الهند حتى دخلها الإسلام وأصبحت مملكة إسلامية. ولما كانت «تشامبا» قد قامت حضارتها وازدهارها على التجارة، فقد عرفها العرب، وذكرت في مراجعهم، كما ذكرت في المراجع الملاوية والصينية التي تعود إلى هذه الفترة. فالمراجع العربية عند حديثها عن بلاد جنوب شرق آسيا تشير إلى بلاد «الصنف» التي تسمى «جمفا» أو «شنبا».. وتشير هذه المراجع إلى أن بلاد «الصنف» تطلق على جميع البلاد الواقعة بين «رانقون» (رانجون) ومملكة «آفا» (بورما - ميانمار)، وهي تشمل «أنام» و«شنبا». وتقول: إن ما بين الصين و«الصنف» جبل لا يسلك تعني به جبال «أنام» وكانت مدينة الصنف، أي حاضرتها، قريبة من «بندرسيكون» (سايجون) وهي مشهورة بالعود الصنفي، غير أن بعض المراجع الأخرى كانت تدخل الملايو ضمن بلاد «الصنف» وتصفها جميعاً باسم «سفالة الهند».

دخول الإسلام بلاد الصنف أو «جمفا» أو «شنبا»

تشير بعض المراجع العربية إلى أن الدعوة الإسلامية قد وصلت إلى هذه البلاد حين هبط إليها بعض العلويين الفارين من بطش الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل الأمويين. وفي تاريخ «جاوا» (إحدى جزر أندونيسيا) أن العرب الذين نشروا الإسلام في «جمفا» كانوا يعرفون باسم «سونن أوليا» أو «شريف أوليا» بمعنى «الأولياء الشرفاء»، وهم من ذرية أحمدبن عبدالله بن عبدالملك بن علوي.. وهناك إشارات أخرى

إلى أن الإسلام قد وصل إلى الهند الصينية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أو ربما قبل ذلك بقليل عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا ينزلون على «السواحل البارزة في البحر، أو المحطات التي تتوقف عندها السفن». وكان ساحل مملكة «أنام» مفتوحاً أمام التجار المسلمين مما أدى إلى انتشار الإسلام هناك، ومنها انتقل إلى «تشامبا».. وكان التجار المسلمون يصلون إلى هذه السواحل بالسفن الخليجية التي مازلنا نعرفها بأسمائها مثل «ألبوم» ذات المقدمة المميزة المنحدرة باستقامة، والدفة المعلقة على القائم الخلفي، وفيها كثير من قمرات التجار الذين يجدون فيها راحتهم، و«البغلة» التي يعمل بها أربعون بحاراً، و«السنبوك» أو «السمبوك» التي شاهدها

الإبادة الجماعية كانت جزءاً من سياسة الشيوعيين ضد المسلمين

ابن بطوطة، وأطلق عليها اسم «الصنبوق»، و«الشوعى»، و«الزرافة»، و«الجلبوب»، والتي يسميها ابن جبير «الجلبة».

وفي القرن الثالث عشر يخبرنا «ماركو بولو» الرحالة الإيطالي الذي مر بموانئ جنوب شرق آسيا، ومنها «فيجايا» عاصمة تشامبا في بعثة كلفه بها الإمبراطور الصيني قوبلاي خان.. يخبرنا أن معظم هذه الموانئ قد تحولت إلى الإسلام، ولم يكد يحل القرن الرابع عشر (الثامن الهجري) حتى كانت تشامبا قد أصبحت مملكة إسلامية، وبلغت أقصى اتساع لها في القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) إذ وصلت حدودها الشمالية إلى بداية خليج «تونكين» الذي عرفه العرب باسم خليج كيوجه جنوب الصين عند مدينة «دونج هوي» الحالية.. أما حدودها الجنوبية فقد وصلت إلى إقليم «كوشا تشين» على بعد ٧٥كم شمال مدينة سايجون، وبذلك كانت دولة تشامبا الإسلامية تضم أكثر أجزاء فيتنام الجنوبية.

ومع ازدهار البحرية الصينية على عهد أسرة «منج»، وبالذات على يد الإمبراطور «تشو - دي» أرسل الإمبراطور بعثة بحرية تحت قيادة الملاح الصيني المسلم «تشنج هو» ليطوف ببلاد جنوب شرق آسيا لتوطيد العلاقات معها، فضلاً عن رغبته في القضاء على القرصنة البحرية في بحر الصين الجنوبي والمحيط الهندي، لتأمين التجارة مع هذه الجهات (وردت تفاصيل رحلته في مقالنا عن شنج هو، بمجلة «الفيصل» عدد ٧٢ بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ مارس/أبريل ١٩٨٣م). وتوقف (تشنج هو) في عاصمة تشامبا حيث أجرى اتصالات مع حاكمها المسلم، وعمل على توثيق العلاقات بين تشامبا والصين.

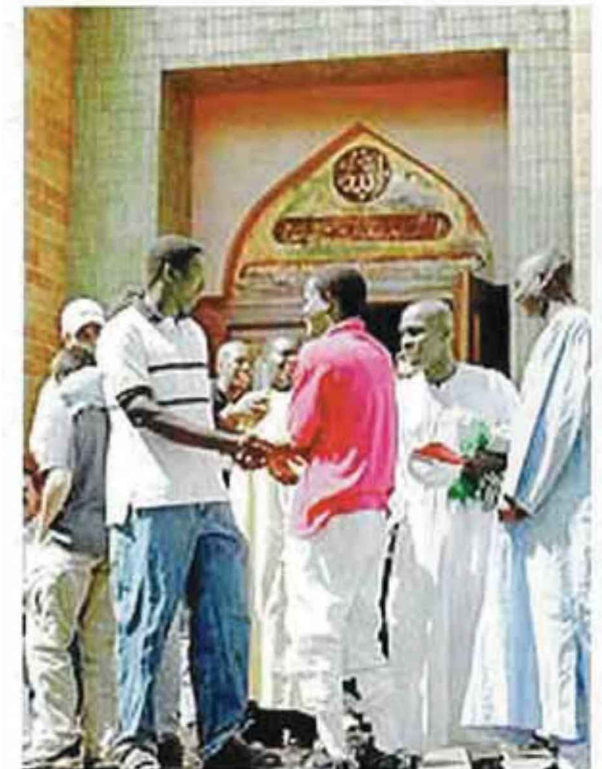
كانت تشامبا على علاقة قوية بالدول الإسلامية النامية في جنوب شرق آسيا في ذلك الوقت، ولكن عندما ضعف شأن الدول الإسلامية حول مضيق «ملاكا» في الملايو تحت ضغط هجمات البرتغاليين، تأثرت تشامبا بذلك الضعف الذي ساد جيرانها في الجنوب مما أغرى جيرانها «الفييت» في الشمال بالزحف عليها..

واستمرت المناوشات بين تشامبا و«داي فييت» حتى بداية القرن التاسع عشر حيث قضى «الفييت» على دولة تشامبا.

ويشير الكتاب الشيوعيون في فيتنام إلى هذه الفترة بأنها كانت «فترة صراع مستمر بين القوى الشعبية وقوى الحكم الإقطاعية التقليدية في كل أراضي فيتنام.. وأن التشام قد شاركوا في ثورة الفلاحين تحت قيادة زعماء منهم «بوتيت هوم داباران» و«بوتيت هوم داباجو»، وغيرهم الذين حاربوا جنباً إلى جنب مع الـ «فييت» ضد المسيطرين الإقطاعيين. والواقع أن الكتاب الشيوعيين يسجلون التاريخ بنظرة عقدية (أيديولوجية) باطلة، إذ إن ثورة التشام ضد حكام أسرة «نجويين» كانت ثورة شعب يريد أن ينقذ دينه من سيطرة «الفييت»، وكانت أكبر ثوراتهم وآخرها ثورة التشام في مقاطعة «نين توان» أوائل القرن التاسع عشر.. وأخفقت ثورة التشام، وبدؤوا يغادرون بلادهم، ويتجهون إلى كمبوجه (كمبوديا). وفي



مسلمون من كمبوديا يؤدون الصلاة... ثم يتبادلون التحية والأحاديث بعدها



عام ١٨٢٢م تمت آخر الهجرات التشامبية إلى كمبوديا تحت قيادة الأمير بوكون Po Chon، وسقطت «فيجايا» عاصمة تشامبا في يد «الفييت»، ونقل الحكام والأمراء أسرى إلى هانوي في الشمال.

أما الذين هاجروا إلى كمبوديا من التشام فقد كونوا هناك جالية إسلامية عرفت بعد باسم «الخمير - إسلام»، واتجه عدد آخر منهم إلى أندونيسيا والملايو ولاوس».

ولكن على الرغم من انهيار دولة تشامبا وهجرات التشام المتعاقبة، فإن دور التشام المسلمين لم يكن قد انتهى بعد.

فرنسا والتشام

كان الفرنسيون قد اكتسبوا مركزاً مهماً في فيتنام منذ أوائل القرن الثامن عشر للمساعدة التي قدمها أسقف «أدران» الفرنسي للإمبراطور «نجويين أنه» مؤسس فيتنام في حربه ضد منافسيه من الأمراء، وضد تشامبا.



المدرسة الإسلامية الوحيدة في لاوس لعلها تكون بذرة لعودة النور

وظل هذا النفوذ يتزايد حتى انتهزت فرنسا فرصة قتل جماعة من المنصرين، واتخذت ذلك ذريعة للاستيلاء على سايجون عام ١٨٦١م. وفي عام ١٨٨٢م احتلت هانوي، ولم يمض عام واحد حتى كانت فيتنام كلها تحت سيطرتهم، وقسمها الفرنسيون ثلاث مناطق: «كوشين تشاينا - الجزء الجنوبي» و«آنام - الجزء الأوسط» و«تونكين - الجزء الشمالي».

وفي ١٩٤١م احتل اليابانيون الهند الصينية (فيتنام وكمبوديا ولاوس) ثم منحوا فيتنام الاستقلال تحت حكم آخر أباطرة أسرة «نجويين»، وهو الملك بار داي Bao Dai كرئيس للدولة. غير أنه مع استسلام اليابانيين الفجائي في أغسطس/آب من العام نفسه استولى الشيوعيون تحت قيادة «هوشي منه» على السلطة.. لكنهم انهزموا بعد ذلك أمام القوات الصينية والبريطانية، وسلمت البلاد مرة أخرى إلى الفرنسيين. وهنا بدأ كفاح

الفيتناميين من أجل استقلالهم، وقاومتهم فرنسا بكل الوسائل.. ولكن مع هزيمة فرنسا عام ١٩٥٤م في معركة «ديان بيان فو» قسمت البلاد إلى فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية بموجب اتفاقية جنيف، بخط يقارب إلى حد ما الحدود القديمة بين «أنام» وتشامبا؛ غير أن القتال سرعان ما شب بين الشمال والجنوب.. وتولى الأمريكيون عبء القتال في الجنوب لوقف الزحف الشيوعي من الشمال، لكن الشيوعيين تمكنوا من إسقاط نظام الحكم القائم في فيتنام الجنوبية، واكتساح القوات الأمريكية، وسقطت سايجون في أيديهم، وعادت البلاد لتتوحد من جديد. فأين كان التشام أو بقايا التشام من هذا كله؟

موقف التشام

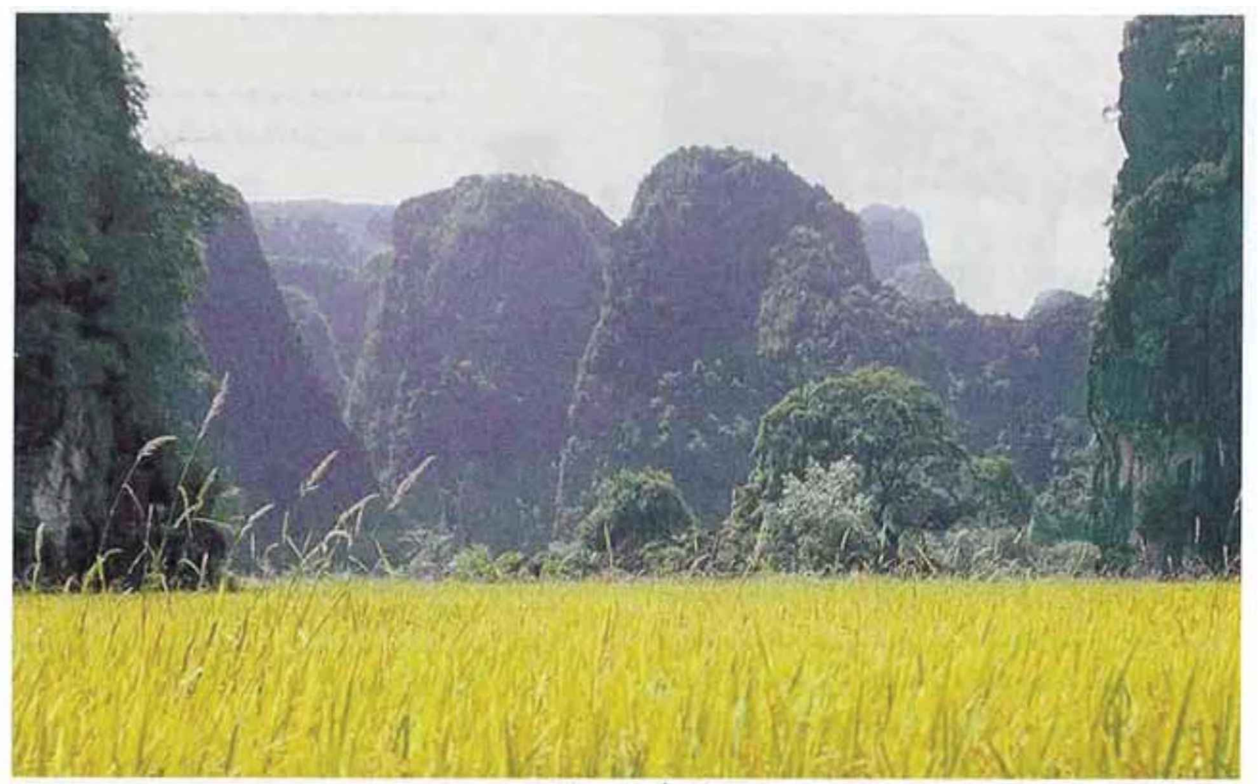
كان الفرنسيون قد حاولوا، إبان صدهم للقوات الشيوعية، الاستعانة بالتشام. ولكي يجتذبوهم إليهم فقد ساعدوهم على تكوين حركة سميت «حركة استعادة تشامبا»، وتألفت جمعية بهذا الاسم، فأنشأ «الفيت» جماعة مضادة عرفت باسم «وحدة تشي بونج نجا»؛ وذلك في إقليم «توان هاي» وهي تحمل اسم أحد أبطال تشامبا في القرن الرابع عشر، وأوعزوا إليها بالاصطدام مع حركة استعادة تشامبا.



معاناة طفولة

وفي عام ١٩٦١م قام بعض المسلمين التشام في «كوشانشين» بالدعوة إلى إحياء الإسلام في المنطقة، يشاركهم بعض التجار الهنود، وحازوا نجاحاً مبدئياً في مهمتهم.. إذ تنبه آلاف من المسلمين إلى تاريخهم، وعادوا إلى ممارسة شعائرهم، وتأسست جمعية تحمل اسم «الجمعية التشامبية الإسلامية الفيتنامية» في العام نفسه.

وفي عهد «نجودين دييم» رئيس فيتنام الجنوبية السابق أقيم «المركز الثقافي التشامبي» في مدينة «فام رانج».. غير أنه بعد انتصار الشماليين عام ١٩٧٥م على الأمريكيين، تشتت أعضاء هذا المركز، وحلت الجمعية التشامبية، وهرب كثير من



جمال الطبيعة من أهم ما يميز فيتنام

المسلمين إلى خارج البلاد خوفًا من الشيوعيين، ولاسيما بعد المذبحة التي تعرض لها زعماؤهم في مدينة «هوي»، كما تم الاستيلاء على المساجد ومدارس تحفيظ القرآن التي حولت إلى وحدات صحية، أو مقار لاجتماعات اللجان الحزبية، وإن كانوا قد أبقوا على المسجد الجامع في سايجون (التي أصبح اسمها مدينة هوشي منه) بقرب مبنى مجلس الأمة السابق لفيتنام الجنوبية، كما أعادوا للمسلمين مسجد هانوي الذي كان قد تحول إلى مصنع. غير أنهم في الوقت نفسه لم يسمحوا للمسلمين بأداء الصلاة اليومية ما عدا صلاة يوم الجمعة بعد استصدار تصريح متجدد من الأمن يذكر فيه أسماء من يؤدون صلاة الجمعة.



من ملامح الحياة في تشامبا

ومنذ عام ١٩٧٥م بعد سقوط سايجون ورسائل المسلمين الفيتناميين الذين لم يستطيعوا الهرب تنهال على منظمة المؤتمر الإسلامي، ومعظمها وردت من جنوب فيتنام يطلب فيها أصحابها أن تعمل المنظمة على ترحيلهم للعيش في أي بلد إسلامي.

ولقيت هذه الطلبات اهتماماً من المسؤولين بالمنظمة وممثلي الدول الإسلامية، وأجرت اتصالات مع مفوضية اللاجئين وممثليها في كل من جنيف وكوالالمبور وهانوي، وقبلت كوالالمبور أن تستقبل عددا من المهاجرين إلى حين تدبير مأوى لهم في أي بلد إسلامي، غير أن السلطات الفيتنامية رفضت الاستجابة لهذه المطالب.

كيف يعيش الآن شعب تشامبا؟

تشير الإحصاءات الحكومية التي تطبعها السلطات باللغات الأجنبية إلى أن شعب تشام Cham أو التشيم Chiem أو التشيم تان Chiem Than يعيش في ٦ أقاليم بجنوب فيتنام وهي: نجيا بين Nghia Binh، وفوخان Phukhan، وتوان هاي Thuan Hai، ويبلغ تعداد من يعيش في هذه الأقاليم نحو ستين ألفا، ثم نحو ٢٠ ألفا في «آن جيانج دونج» An Giang Dong، و«تاي نين» Thai Ninh، و«دونج ناي» Dong Nai، ثم عدة آلاف آخرين في مدينة «هوشي منه» (سايجون).

وتعد السلطات شعب التشام أقلية عرقية من بين ٥٣ أقلية أخرى يشكلون ١٢٪ من مجموع سكان فيتنام، كما تقسمهم طوائف فرعية هي: «تشام أنوي» Cham Anoi، و«تشام بونج» Cham Poong، و«تشافاكا» Chavaka و«زوان تشام» Zoan Cham، ومازالت كل هذه الطوائف تتكلم لغتها الخاصة التي ترجع إلى أصول ملاوية - سنسكريتية، وهي لغة مكتوبة ساعدت على انتشار ملامح الهند المعروفة بينهم مثل (الرامايانتا)، و «المهابهاراتا» و«ليالي ألف ليلة وليلة» العربية، وأكبر تجمع للتشام هو في إقليم «توان هاي»، وعاصمة مدينة «فان رانج» Phan Rang، وإلى الغرب منها على الطريق بينها وبين مدينة «دالات» تقع قرية «دران» DRAN التي تضم أكبر تجمع لآثار تشامبا.. كذلك يوجد عدد من الأبراج التي تخلفت عن فترة حكم التشام، وأكبر هذه الأبراج يقع بالقرب من «تاب تشام» وأقدمها بالقرب من «ناترانج»، وهناك أبراج أخرى في «هنج تان» و«ماي سون» جنوب دانانج، يوجد متحف يضم بعض آثار تشامبا.



الوضع الديني الحالي للتشام

يمارس التشام اليوم في أقاليم الجنوب ما يسمونه بالإسلام الجديد، الذي يعرفونه بأنه «عبادة الله والنبي محمد». أما التشام في السهول الوسطى فينقسمون قسمين: ثلثهم يعتنقون الديانة البراهمانية ويعبدون «شيفا» ويسمون «تشام فافيا» أو «تشام شون»، والثلثان الآخران يمارسون طقوس «باني»، ويقصدون بها ما يسمونه «شعائر الإسلام القديم»، وواقع الحال أنه لا أتباع الإسلام الجديد، ولا أتباع الإسلام القديم يؤدون شعائرهم الإسلامية على الوجه الصحيح. كما أن السلطات ترفض قبول أي منح دينية تقدم لأبناء المسلمين أو من كانوا مسلمين، ويكتفى بتعليم عدد بسيط اللغة العربية لاستخدامهم مترجمين في وزارة الخارجية الفيتنامية.



من آثار تشامبا

ويفصل بين جماعتي التشام الهندوس و«الباني» خليج.. ليس فصلاً جغرافياً فقط، ولكن في العادات والتقاليد والحياة الاجتماعية أيضاً، فمحرم على أي من الفريقين الزواج من الفريق الآخر، أو العيش معه في قرية واحدة، أو حتى أن يأكلا على مائدة واحدة. وهناك عدد قليل من عبدة الجن والأرواح ومظاهر الطبيعة مثل الجبال والبرق والرعد وروح الماء وغير ذلك.

وقد أثر اختلاط هذه العقائد بعضها ببعض لدى شعب تشامبا في وجود شعائر وعادات شعبية مشتركة في احتفالات حصاد الأرز وإقامة الصوامع، وانعكست في بعض الملاحم والأغنيات التي تتغنى بسيرة بعض الأبطال التشام من أمثال «تشام بري»، و«تاتهافا»، و«كالين بأرانج»، وغيرهم..

نظم المباني

وقد عرف عن التشام أنهم استخدموا الطوب الأحمر في بناياتهم، وكانت لهم بنايات من عدة طوابق ظهرت فيما خلفوا من معابد وأبراج تميزها زخارف بالحفر أو النقش لزهور اللوتس، والرجال الذين يحاربون الضواري والوحوش.. وقد كانت صفوف الطوب تلصق بعضها إلى جانب بعض بمادة شديدة التماسك لم يعرف المحللون سر تركيبها حتى الآن.. ويفضل التشام إقامة دورهم في صفوف مستقيمة، ودائماً تفتح مداخل البيوت إما على الجنوب أو الغرب أو الجنوب الغربي، ولا نجد باباً يفتح إلى جبهتي الشرق والشمال، وإن لم يعرف تفسير لذلك، وقد يظن - بالنسبة إلى المسلمين - أن الأبواب تفتح في اتجاه الكعبة والأراضي المقدسة في الحجاز.. وتشغل كل أسرة كوخاً أو داراً خاصة، أما في التجمعات الكبيرة في «تواي هان» فقد تشغل الأسرة الواحدة عدة بيوت يخصص واحد منها كبيت للضيافة يسمونه «تانج تون» Thang Ton وآخر كمخزن للأرز اسمه «توك» Tuc.

الحرف والمهن

وأهم المهن التي يحترفونها حالياً زراعة الأرز والفاكهة والخضراوات، وتشير آثار التشام إلى أنهم كانوا قد برعوا في وسائل الري، ففي سهول «فان رانج» بقايا سد «شاكلينج» الذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني عشر، وسد «مارن» الذي يرجع إلى القرن السابع عشر. وفي إقليم «جيولونج» بقايا مستودعات ومخازن للمياه. أما تشام أقصى الجنوب فيزاولون صيد الأسماك، ونسج الأقمشة، والمتاجرة على نطاق ضيق، وإن كان بعضهم يمتلك مطاحن للأرز وبعض القوارب النهرية.

وقد اشتهر تشام السواحل بأنهم بحارة مهرة، وقد كان لمملكة تشامبا أسطول يتألف من مئات من القوارب والمراكب ذات الأشرعة والكبائن. ومنذ القرن الرابع عشر، في عهد ازدهار المملكة الإسلامية، كانت سفن تشامبا تتردد على موانئ الصين وجنوب شرق آسيا لتبادل تجارة التوابل والأفاويه وغيرها من سلع الحاجيات اليومية.



أحد معابد تشامبا

التقسيمات الطبقية

تشير الآثار الباقية في معبد «ماي سون» إلى أن مجتمع التشام الهندوسي تميز بوجود أربع طبقات اجتماعية.. رجال الدين، والفرسان، والعامة، والطبقة الدنيا.. فرجال الدين من البراهمة، ويسمونهم أيضاً «روت» Root، والفرسان من النبلاء من سلالة الملوك، وعامة الشعب أو الفلاحين، ثم العبيد، وكانوا يعاملون كالحيوانات.

وترأس كل أسرة امرأة يطلق عليها اسم «مورايا» Muraya وتكون أكبر أفراد الأسرة سناً، وتحفظ لديها مقتنيات الأسرة للعبادة، وهي التي تنظم أمور الأسرة المعيشية. وتقوم «المورايا» بتنظيم حفل كل عامين أو ثلاثة تقام فيه شعائر عبادة الأسلاف في المعبد، وتقدم القرابين، وتنقسم العشيرة بطوناً يرأس كل بطن امرأة تسمى «موا بارو» Mua Paru، ويتكون البطن من خمس إلى عشر أسر. أما العشيرة فتضم مئات الأسر.

وعندما جاء الإسلام غيّر كثيراً من هذه التقسيمات، وحقق المساواة، ودعا إلى قوامة الرجل في الأسرة، وإن احتفظ التشام المسلمون ببعض العادات الأخرى مثل ضرورة التحاق الرجل للعيش مع زوجته في بيت أهلها.

عادات الدفن

وكان البراهماتيون يتبعون عادة إحراق الموتى من خلال طقوس معقدة وباهظة التكاليف. وكانوا يستثنون من ذلك جثث الأطفال الذين لم يتعدوا الخامسة عشرة من العمر، وجثث العبيد فكانوا يدفنونها في التراب. أما الموتى البالغون فإن طقوس حرق الجثة كانت تختلف من واحدة إلى أخرى حسب ثروة صاحبها في حياته، وحالته الاجتماعية والطبقية، وقد يستمر حرق الجثة، إذا كان صاحبها من النبلاء أو رجال الدين، من عشرة أيام إلى خمسة عشر يوماً، ولابد من توفير كميات هائلة من الأخشاب والملابس والأرز واللحم لهذه المناسبة.

وحين جاء الإسلام ألغى عادة حرق الجثث، واكتفى التشام المسلمون بدفن الموتى. أما الهندوس فمازالوا على عقائدهم القديمة، وإن كانت مظاهرها تتسم بالفقر والتواضع.

التشام في كمبوديا

يُنطق اسم «كمبوديا» على عدة أشكال لفظية كمبوديا Cambodia، وكمبوتشيا Campuchea، وكمبوجا Kambuja، وسروك خمير Srok Khmer.. وقد عرفها العرب باسم «كنبوجة» أو «كنبوسا».

في القرن الأول الميلادي قامت في هذه المنطقة مملكة هندية قديمة اسمها «فونان» Funan وظلت هذه المملكة خمسمئة عام حتى أطاح بها الخمير Khmer في القرن السادس الميلادي. وترجع الحضارة الخميرية إلى أصول هندية أيضاً، وأول ملوكها العظام هو جايفا مان الثاني Jayava Man (٨٠٢ ـ ٨٥٠م) الذي أسس عاصمته بالقرب من المكان الذي تقوم فيه آثار «أنجكور» الآن.. وأعلن نفسه «سيداً للعالم» Universal Monarch، وبلغ أقصى اتساع لهذه المملكة في حكم سوريا فارما Suryavarma الثاني (١١١٣ ـ ١١٥٠م) في القرن الثاني عشر، وهو الذي بنى «أنجكور وات» Angkor Wat الشهير. ثم ضعفت هذه المملكة بسبب حروبها مع التشام من ناحية، ومع «التاي» سكان سيام (التي سميت فيما بعد تايلاند) من جهة ثانية، وقد تبادلوا النصر والهزيمة مرات عدة.

وتحولت كمبوديا من الديانة الهندوكية إلى البوذية مع استمرار التأثير الهندوسي في عمارتهم وحضارتهم. وفي القرن الخامس عشر هجرت «أنجكور» وانتقلت العاصمة إلى المنطقة التي بها «بنوم بن» العاصمة الحالية.

وتشير كتب الرحلات العربية إلى أنه حدث في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي أن دخل بعض العرب بمراكبهم إلى نهر كمبوجا غازين ملك أنكور.. كما تشير بعض الكتابات الهولندية إلى أن أحد ملوك «كمبوجا» في بداية القرن السابع عشر قد أسلم ليتزوج بنت أحد رؤساء الملاويين بها إلا أن خلفه لم ينهج نهجه ولم يعتنق الإسلام.

وقلة الإشارات إلى انتشار الإسلام في «كمبوديا» يدل على أنه لم ينتشر بقوة كما حدث في مثل غيرها من المناطق المجاورة. وتفسير ذلك هو أن أراضي كمبوديا كانت تبعد إلى حد ما عن طرق الملاحة الإسلامية عبر مضيق «ملاكا».

ولكن عندما وصل المهاجرون التشام أوائل القرن التاسع عشر فراراً من أسرة «نجويين» الفيتنامية، استقروا في المناطق القريبة من حدود دولتهم القديمة. وأنشؤوا لهم عدداً من القرى عرفت باسم «فوم تشام» Phum Cham، وابتنوا في كل قرية مسجداً صغيراً، إلا أنهم عاشوا حياة منعزلة ساعد عليها اختلاف اللغة والعادات والتقاليد بينهم وبين الخمير. كما لم يسمح التشام بالتزاوج بينهم وبين أحد من الخمير ما لم يعلن إسلامه، وكان للقرى التشامية لجنة عليا لشؤون المسلمين تتألف من إمام ونائبين ومستشارين له. وتخضع لإشراف المسؤول الديني البوذي. ويتفرع من هذه اللجنة رئيس لكل قرية ينظم أمور المسلمين بها، ويعيّن «إمام الجمعة» والمؤذن.

وفي عام ١٨٦٤م احتل الفرنسيون كمبوديا، ثم كونوا «اتحاد الهند الصينية» (فيتنام وكمبوديا) عام ١٨٧٨م، وبعد احتلال لاوس أدخلوها في هذا الاتحاد بحكم وضعها الجغرافي. وظلت فرنسا تحكم كمبوديا تسعين عاماً ثم عُيّن سيهانوك ملكاً على البلاد.

عرف سيهانوك بحياده السياسي والديني، ومن ثم ترعرعت أحوال التشام و«الخمير إسلام» في عهده، فعُيّن مساعد مسلم لوزير الدين البوذي، كما عُيّن مستشار لشؤون المسلمين في الديوان الملكي، وبلغ عدد المسلمين ٨٠٠ ألف نسمة.

وفي عام ١٩٧٠م كان يوجد من المسلمين عضو في مجلس الشيوخ، وأربعة في مجلس النواب، وخمسة في وزارة الخارجية. كما ظهرت في كمبوديا جمعيتان إسلاميتان. الجمعية الإسلامية المركزية في كمبوديا، ويرأسها الحاج محمد هارون، ومنظمة الشباب المسلم الكمبودي، ويرأسها عبدالله إدريس.

ثم قام الشيوعيون بمحاولة الاستيلاء على السلطة، وسقطت البلاد في أيدي بول بوت عام ١٩٧٥م، وكان من الطبيعي أن يقف المسلمون ضد هذا الغزو الشيوعي، ومن

متحف تشامبا



راحة بعد يوم عمل



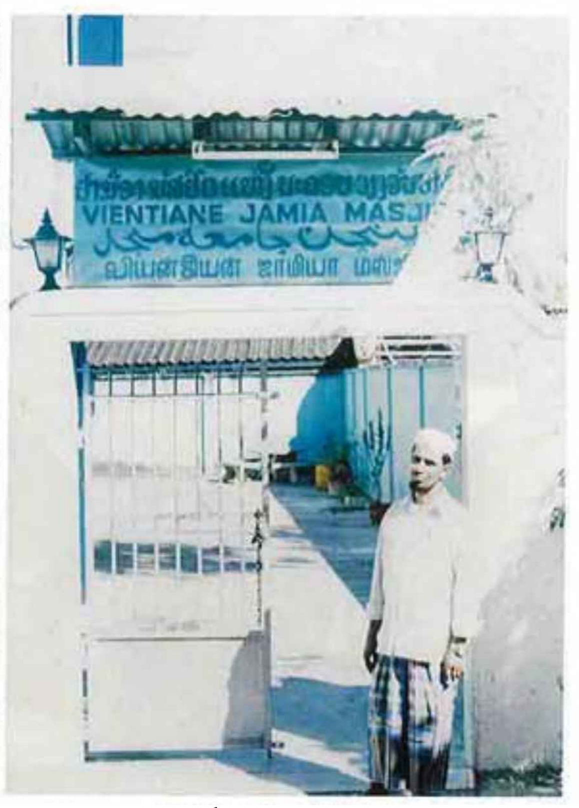
ليس فيهم من «التشام» إلا أفراد قلائل. فمعظمهم من مسلمي دول أخرى في جنوب وجنوب شرق آسيا

ثمّ كانوا هدفًا مباشراً وسهلاً لانتقام الشيوعيين الذين عملوا على إبادتهم إبادة جماعية نتيجة لتوصيات اللجنة الخاصة التي أمر بول بوت بتشكيلها لبحث أمور المسلمين، فقد انتهت اللجنة إلى أنه «لا أمل في تقبل المسلم الحقيقي للأفكار الشيوعية»، وبذلك لا حل إلا بالقضاء عليه نهائيًا. وعمدوا إلى معاقبة كل من يؤدي الصلاة ومصادرة أملاكه، وهدم المساجد (١٢٢ مسجداً) وإعدام المشايخ، وعلى رأسهم عبدالله إدريس آخر القادة المسلمين في كمبوديا. ورُحِّل أطفالهم إلى معسكرات للأسرى أسموها معسكرات إعادة التعليم، لتلقينهم المبادئ الجديدة.. وحسب إحصائية ظهرت لمنظمة اليونيسيف في ذلك الوقت تبيّن أن أكثر من ألفي طفل كانوا يموتون بسبب سوء التغذية والمرض وسوء الرعاية. وهرب من استطاع من مسلمي كمبوديا، وحاولوا الاتصال بإخوانهم من مسلمي تايلاند وماليزيا والفيلبين لطلب المساعدة آملين في العودة يوماً إلى بلادهم. ولم تجد البقية الباقية من «الخمير إسلام» و«التشام» الفارين من كمبوديا إلا أن تنضم إلى قوات المقاومة التي تألفت منها حكومة تحت رئاسة سيهانوك في المنفى، للعمل على

استعادة بلادهم، وعرف من قوادهم السيد عبدالغفار، أحد كبار ضباط جبهة التحرير القومية لشعب الخمير.. حتى تمكن سيهانوك في آخر الأمر من العـودة إلى السلطة في البلاد.

التشام في لاوس

وفي لاوس الدولة الثالثة من دول الهند الصينية نجد في تاريخها دولة عرفت باسم «تشامبا ساك» Champa-sak بما يوحي أول وهلة بوجود علاقة بين مملكة تشامبا التي قامت في فتنام وهذه الدولة اللاوسية، وهذا صحيح، فعندما كانت تشامبا مازالت تحمل اسم «لين يي» Lin-Yi في بداية العصر المسيحي، كانت مملكة



المسجد الملحق بالمدرسة في لاوس

Lanxang أو أرض المليون فيل، غير أنها ظلت عرضة لغزوات جيرانها من «التاي» و«الفييت» و«الخمير»، وعندما زاد ضغط الفييت على التشام المسلمين هاجرت أعداد منهم إلى جنوب لاوس مثلما فعل أسلافهم في بداية العصر المسيحي. وحينما انقسمت لاوس في القرن السابع عشر ثلاث مناطق مستقلة قامت مملكة خاصة بالتشام هي التي تسمت باسم «تشامبا ساك»، والمملكتان الأخريان هما «لوانج برابانج» و«فينتيان» غير أنه لم يطل عمر هذه الممالك، إذ خضعت معظم أراضيها في القرن التاسع عشر للنفوذ السيامي (التايلاندي)، بينما سيطر الفيتناميون على الشمال

«فونان» ومن بعدها مملكة «الخمير» في كمبوديا يشكلان خطراً دائماً على «لين يي»، وتحت ضغط الخمير نزح بعض سكان «لين يي» التشام إلى غرب جبال آنانم، واستقروا في منطقة حول مدينة «وات فو» Wat Fu، غير أنه لم يكن لهم شأن يذكر إلى جانب جيرانهم الأقوياء من «اللاو» سكان لاوس الأصليين.

و«اللاو» جنس من عنصر «التاي» الذي انتشر في لاوس، وسيام (تايلاند) وبعض أجزاء «بورما» قادمين من منطقة «يونان» الصينية تحت ضغط جيوش «قوبلاي خان» المغولي الذي غزا معظم بلاد الصين، وهم، وإن جاؤوا من «يونان» الصينية، يرجعون إلى أصول أندونيسية، وديانتهم هي البوذية.

وفي القرن الرابع عشر أسس «فا نجوم» Fa Ngoum أول مملكة لاوسية تحت اسم مملكة «لان سانج»

الشرقي من لاوس حيث مملكة «تشامبا ساك». وفي عام ١٨٩٣م احتل الفرنسيون لاوس وضموها إلى اتحاد الهند الصينية - كما تقدم.

ولم تنل لاوس استقلالها إلا في عام ١٩٥٤م عندما هزم الفرنسيون في معركة «ديان بيان فو» على يد الفيتناميين، وبدأت السيطرة الشيوعية تزداد شيئاً فشيئاً على أجهزة الحكم حتى خضعت البلاد كاملاً للحكم الشيوعي عام ١٩٧٥م.

وفي كل هذه المراحل كانت قوة التشام تزداد ضعفاً وانعزالاً، وأثر ذلك فيهم فتحول بعضهم إلى المسيحية، وأصبح الآخرون لا دين لهم نتيجة لما لا قوه من اضطهاد وضغوط، ونتيجة لجهلهم بتعاليم الإسلام، وبعدهم عن أي عون خارجي، وتفشي الجهل بينهم حتى بأبسط قواعد الدين الذي عرفه آباؤهم يوماً من الأيام.

الهوامش

- المعلومات الواردة في هذا المقال هي في كثير من جوانبها نتاج مشاهدات ومعايشات شخصية للكاتب خلال عمله وزيراً مفوضاً في الثمانينيات بالهند الصينية.. فضلاً عما اقتضاه الأمر من الرجوع إلى بعض المصادر العربية والأوربية والآسيوية التي تناثرت فيها بعض المعلومات بشكل عرضي عند الحديث عن حضارات وتاريخ بلاد أخرى في المنطقة.. وربما يكون ما جاء في هذا المقال هو أول حديث متكامل عن هذه المملكة الإسلامية المجهولة في تاريخ جنوب شرق آسيا: مملكة تشامبا.



زحف الخواء!

خير الدين عبدالرحمن
حلب - سورية

عندما خاطب الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، قمة الألفية التي حضرها أكبر عدد من رؤساء الدول في تاريخ الأمم المتحدة، محذرًا من انهيار السلام العالمي والبيئة في ظل تدهور السلام الاجتماعي - الاقتصادي، الناجم عن ضمور العدالة واختلال التوازن، فقد أطلق صرخة ما كان يليق بمن وصلت إليهم أن يروها مجرد هبّة منغصات عابرة.

أعلن عنان أن أحدث الدراسات تؤكد انتماء ثمان وسبعين في المئة من سكان العالم إلى القاع الاجتماعي! صدر تقرير البنك الدولي للعام الميلادي ٢٠٠٠ - ٢٠٠١م في الفترة نفسها تقريبًا مقررًا أن نصف سكان العالم تقريبًا، وتحديدًا ألفين وثمانمئة مليون من البشر، يعيشون في قاع القاع، أي في حالة فقر مدقع.

تزايد عدد الفقراء تزايدًا هائلاً في جنوب الصحراء الإفريقية وجنوب آسيا وجنوب أمريكا ووسطها. نسب توزع هؤلاء جغرافيًا هي أربعة وأربعون في المئة منهم في جنوب آسيا، وأكثر قليلاً من أربعة وعشرين في المئة منهم في جنوب الصحراء الإفريقية، ومثل هذه النسبة تقريبًا في شرق آسيا والمحيط الهادي، وستة ونصف في المئة منهم في أمريكا اللاتينية ودول الكاريبي، والباقي في أوربا، ووسط آسيا وغربها وشمال إفريقية.

من دلائل اختلال العدالة وانهيار التوازن التي أوردها التقرير أنه - على الرغم من التضخم الهائل في الثروة العالمية - يزيد متوسط الدخل في أغنى عشرين دولة سبعًا وثلاثين مرة على متوسط الدخل في أفقر عشرين دولة. وبينما يموت طفل واحد من بين كل مئة طفل دون الخامسة في البلدان الغنية، يموت عشرون طفلا قبل الخامسة من بين كل مئة طفل في البلدان الفقيرة، وإذ يعاني خمسة في المئة من أطفال البلدان الغنية سوء التغذية، تزيد نسبة أطفال البلدان الفقيرة الذين يعانون سوء التغذية على الخمسين في المئة منهم.



٢٨٠٠ مليون إنسان يعيشون في قاع القاع!

على حافة الهوية

وتتكامل أرقام البنك الدولي الصادرة في آخر شهر من العام ٢٠٠٠م مع أرقام نشرتها مجلة «أسبوع الأعمال» (Business Week) في منتصف ذلك الشهر نفسه حول ارتفاع تدفق الاستثمارات الأجنبية إلى ٢٨٧ مليارًا من الدولارات في عام ١٩٩٩م، أي ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ذلك بعامين، أي في عام ١٩٩٧م.

يعقب الاقتصادي تشارلز بين، من كلية لندن للاقتصاد، بأن فوائد التجارة الحرة لم تقسم بالعدل بين البلدان، ولا حتى بين فئات المجتمع المختلفة في المجتمع الواحد. لا ينفصل هذا عن واقع ارتفاع متوسط التدفق المالي على نحو غير مسبوق، من غير

ارتفاع يواكبه في الإنتاج الحقيقي. كشف موريس آلياس، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، أبعاد هذا الخلل منذ عدة سنوات في مقابلة «صحيفة التحرير» (ليبراسيون) الفرنسية يوم ٢ أغسطس/آب ١٩٩٣م تحت عنوان «الغرب على حافة الهاوية». قال هذا الخبير: «يرتفع التدفق المالي في المتوسط إلى ألف ومئة مليار دولار في اليوم الواحد، أي أكبر بأربعين ضعفاً من التدفق المتصل بعمليات تجارية حقيقية. إن نظاماً مثل هذا لا يمكن الدفاع عنه». بتتبع هذا الارتفاع نلاحظ أن حجم الكتلة النقدية المتداولة في أسواق الصرف العالمية قد قفزت من عشرة مليارات دولار في اليوم عام ١٩٧٥م إلى ألف مليار يومياً في عام ١٩٩٥م، ثم إلى ألف وأربعمئة مليار يومياً في عام ١٩٩٨م، وتحدثت التقديرات عن ألفين من مليارات الدولارات يومياً في عام ٢٠٠٠م، بينما لا ينسجم حجم الارتفاع في الإنتاج العالمي الحقيقي إطلاقاً مع حجم الكتلة النقدية المتداولة، وبكلام أكثر وضوحاً وبساطة: إن معظم ما يتداوله العالم من دولارات أمريكية هو وهمي، حيث يتم تداول أربعين دولاراً وهمياً في أسواق العالم المالية مقابل كل دولار حقيقي يجري تداوله تجارياً! من الذي يكسب الفرق الهائل بين الوهمي والحقيقي هنا؟ الجواب الفوري هو الولايات المتحدة أساساً، لكن الجواب الأكثر دقة هو أن قلة قليلة من المتمولين والسماسرة في الولايات المتحدة يكسبون معظم هذا الفرق.

شركات أقوى من الدول

حتى عندما نتمعن في الإنتاج، فإننا نجد أن عشرين شركة عملاقة متعددة الجنسية يتجاوز حجم أعمالها مجموع النواتج القومية الخام لمئة دولة مجتمعة في هذا العالم، أي إن كل شركة من تلك الشركات أغنى وأقوى من خمس دول مجتمعة بحكوماتها واقتصادها وثرواتها وجيوشها! وإذ ترتفع نسبة اليهود بين أصحاب الثروات والمتحكمين بها في الولايات المتحدة ارتفاعاً كبيراً جداً لا ينسجم إطلاقاً مع نسبتهم إلى باقي السكان، ومن ثم يرتفع مستوى نفوذهم الذي فسره المحلل الانتخابي الأمريكي جون بوجارت بقوله: «لا تكمن قوة اليهود في عدد الأصوات التي يلقونها في الصناديق الانتخابية، وإنما في قدرتهم على إدارة الخيوط داخل السلطة وخارجها».

ويتحول هذا النفوذ داخل الولايات المتحدة نفوذاً مضاعفاً مرات كثيرة خارجها بعد توظيف سلطة الولايات المتحدة وهيبتها وقوتها في خدمة هيمنة يهودية عالمية. وإذا كان التلمود الذي يلتزمه اليهود أشد من التزامهم التوراة - حتى بعدما زوروها - قد أوصاهم مراراً في أن «السرقة من غير اليهود مباحة»، وزعم أنه «قد حلل الله أموال باقي الأمم لبني إسرائيل» (كتاب كومارات - ص٣٩)، نستطيع إدراك مدى التفاعل والتلازم بين ظاهرة فرض «وحدة السوق العالمية وحريتها» وواقع مصادرة القرار السياسي لمختلف الدول، حتى في قضايا التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المحلية. نستطيع كذلك تفسير ظاهرة الارتفاع الهائل في أسعار السلع المصنعة - وخاصة ذات التقنيات المتقدمة - وما يرتبط بها من خدمات في مقابل انهيار أشد هولاً في أسعار المواد الطبيعية وفي القيمة الشرائية الحقيقية للدخول والأجور في معظم دول العالم، بل نستطيع أن نفهم مدلولات طغيان الانتشار غير المسبوق لفرض تقدير كمي لما هو كيفي ونوعي، وتقويم مادي لما هو نوعي، وتسعيرة مالية نقدية لما هو معنوي وأخلاقي، في سياق فرض قانون يهودي بدأ في الولايات المتحدة، وانتقل إلى خارجها يجتاح معظم المجتمعات بسرعة هائلة، قانون يزعم «أن



«الروبنة» شردت آلاف العمال وألقت بهم في الشوارع!!

لكل إنسان ثمنه»، ومن ثم «لكل مجتمع ثمنه»، وأن «قيمة الإنسان تتحدد بما يملكه من مال»!

نهاية الإنسان

عدّ روجيه جارودي «تحولَ السوق إلى ديانة نهايةَ الإنسان من حيث سمو مقصده، على ما تعدّه الأمركة حتمية اقتصادية تشبه القوانين الطبيعية والغرائز الفطرية»، وشدد أن وحدانية السوق تحتقر حرية الإنسان، ومن ثم فإن وحدة السوق العالمية وحريتها على النحو الذي يجري فرضه حالياً تناقض حرية الإنسان وتصادرها، بل تصادر الإنسان قيمةً ووجوداً لمصلحة السوق. كانت بداية الخطأ القاتل في توجه عصر النهضة في الغرب، وفقاً لجارودي - أي نمو حضارة الكم، والتفكير الذرائعي، والديكارتية، وديانة الثروة، بعد أن انفصلت عن البعد الأول للعقل، وهو التأمل في الغايات النهائية للحياة ومعناها (جارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، ترجمة مروان حموي، دمشق ١٩٩٨م، ص٢٧). المشكلة هنا أنه «ليس أمام المرء في مجتمع معقّد من اختيار آخر إلا أن يكيّف نفسه لما يبدو له أنها قوى عمياء للسيرورة الاجتماعية»، على نحو ما ذكر فريدريك فون هايك في كتابه «الفردية والنظام الاقتصادي». وقد أعاد جارودي كل دواعي الانحطاط إلى «منطق اقتصاد السوق الذي أصبحت نسخته الأخيرة المسيطرة ديانة.. اسمها الحقيقي «وحدانية السوق»..



التشرد لا يعرف الفوارق العنصرية!!

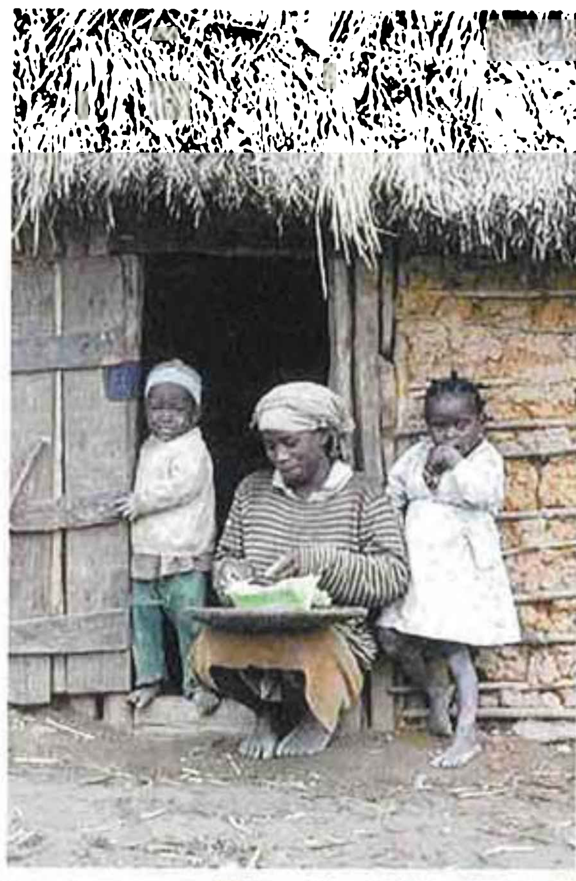
[و] «لم يتحول السوق إلى ديانة إلا عندما أصبح المنظم الوحيد للعلاقات الاجتماعية والشخصية والقومية، والمصدر الوحيد للسلطة والمراتب الاجتماعية [في الولايات المتحدة، لكن انتشاره خارجها يتسارع]».

وهكذا فقد رأى «أن الولايات المتحدة تنظيم إنتاجي تضبط عمله العقلية التكنولوجية والتجارية نفسها، التي يشترك فيها المنتج والمستهلك في غاية واحدة هي النمو الكمي للرفاه. أما الهوية الشخصية الثقافية والروحية أو الدينية فهي مسألة خاصة وفردية بشكل جازم، لا شأن لها في آلية عمل هذا التنظيم، ولا تتدخل فيها». وهكذا ساد النظام الذي يباع فيه كل شيء ويشترى، مما يبيح ويشجع على انتشار الفساد والدعارة بوصفهما قانونين بنويين لا مجرد انحرافات فردية، واستطاع هذا النظام أن يفرض نفسه مركزاً «يسعى عبر القوة التقنية الفريدة لأسلحته أن يجعل سيادة دول المحيط محدودة، وأن يحتكر لنفسه حق التدخل، مموها ذلك عند الإمكان، بأنه تدخل إنساني».

وضع كارثي

من أسس النظام الاقتصادي المهيمن افتعال نزعات استهلاكية متزايدة، وتضخيم ما هو قائم منها باستمرار، وافتعال حاجات وهمية ومبالغ فيها، لضمان تصريف الإنتاج من السلع والخدمات، في سياق آلية أشد حرصاً على مضاعفة الكم

والاستبدال المتجدد غير المنطقي للأصناف والمواصفات الشكلية، لاستثارة حوافز أكبر لمزيد من الاستهلاك، مع تحكم شديد بالأسعار، وتلاعب بها، وانسياق شديد نحو (الرّوْبَتة) و(الأتمتة) دون اكتراث بنتائجها على البشر. لا تقتصر النتائج على ما ظهر من تحول ثلث القوة البشرية العاملة في العالم حاليًا، التي تناهز ٢٨٠٠ مليار إنسان، إلى عاطلين عن العمل، وانخفاض إنتاج ما





اقتصاد السوق الرأسمالي يمارس وحشيته على الإنسانية

سمي عالما ثالثا بنسبة ١٪ بين عامي ١٩٩٠و١٩٩٣م، ثم تزايد هذا الانخفاض في السنوات اللاحقة، وخاصة بعد الانهيارات الاقتصادية في دول جنوب شرق آسيا وعدد من الدول بدءاً من أواخر عام ١٩٩٧م، تلك الانهيارات التي اتهم رئيس وزراء ماليزيا علنًا بشكل خاص الملياردير اليهودي الأمريكي جورج سوروس، بالتسبب فيها عمداً.

لا تقتصر هذه النتائج كذلك على وضع كارثيّ تحول الجنوب معه ـ بسكانه الذين يبلغون ٨٠٪ من سكان العالم ـ إلى مكتب لنفايات الشمال، لا مجرد سوق لتصريف فوائض إنتاجه، وإنما بات الوضع انتحاراً جماعيًا لحضارة مهيمنة في الوقت نفسه الذي تمارس فيه إبادة الآخرين. باتت (البيوتكنولوجيا) مرشحة لتوظيف «الإنسان الذئب» الذي صنعته عبادة المال في التهام «قطعان الحملان البشرية» على امتداد العالم.

حتى جورج سوروس ذاك، انتقد الوضع الذي تمارس فيه آلية اقتصاد السوق الرأسمالي «غباءً شديداً» في استهدافها مراكمة الربح المادي بأي ثمن كأولوية مطلقة، مفرطة بالإنسان الذي لا تعترف بأنه يمثل القيمة الأسمى في عالمنا.

لقد ذهبت آلية اقتصاد السوق بعيداً في إيذاء الإنسان وابتزازه والاعتداء «القانوني!» على حقوقه ومقومات حياته ومصيره. لقد حدد جورج سوروس مؤخراً خمسة عيوب للنظام الرأسمالي الراهن، في محاولة منه للإسهام في امتصاص النقمة المتزايدة التي عبرت عنها المظاهرات المعادية للعولمة، ولمنظمة التجارة العالمية في كثير من المدن الأمريكية والأوربية. تلك العيوب هي:

- التوزيع غير العادل للخيرات.
- عدم استقرار النظام المالي.
- خطر الاحتكارات والطغمة المالية.
- تهديد القيم والوفاق الاجتماعي.
- ضعف دور الدولة.

هيستيريا!

ليست الأسلحة والذخائر التي ينتقل أذى استخدامها جيلاً بعد جيل، مثل اليورانيوم المخصب، وتجارة الأسلحة والحروب عموماً، ونجارة المخدرات، ودهاليز صناعة الأدوية وتجارتها، ونشر الرشوة والإفساد، والتلاعب بسوق الأسهم، وعدد من الممارسات المماثلة، ليست هذه كلها سوى عناوين عريضة لاعتداء وحشي شرس يمارسه اقتصاد السوق الرأسمالي على الإنسانية. بل إن رجل دولة من وزن مستشار ألمانيا الأسبق هيلموت شميث، الذي أسس محور ألمانيا ـ فرنسا لقيادة أوربا،



المسكن العشوائي أصبح من أهم ملامح المدن في العالم

نشر في الحادية والثمانين من عمره كتابه الثلاثين المعنون «أوربا تؤكد ذاتها» مهاجماً «الرأسمالية المتوحشة للبنوك المفرطة القوة» ذات المضاربات الضخمة المدمرة عبر الحدود، ومهاجماً كذلك «الهيمنتيريا المشتركة والتقويمات العبثية للنظام الاقتصادي الجديد، خاصة شركات التكنولوجيا، والأسواق المالية، واحتكارات ووسائل الإعلام». وقد شدد مجدداً على قدرة أوربا بقيادة فرنسا وألمانيا على مواجهة تحديات العولمة الاقتصادية.

من اللافت للنظر أن زبيغنو بريجنسكي (مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر، وهو مفكر يهودي بولوني الأصل) الذي أدى دوراً بارزاً ضد الاتحاد السوفييتي السابق ومعسكره الشيوعي، وعدته أوساط كثيرة من أبرز أصحاب النفوذ في الولايات المتحدة خلال ربع القرن الأخير، رأى في كتابه «خارج السيطرة» ((Out Of Control الشيوعية ظاهرة فلسفية تكاد توحي بأنها لم تولد للقرن العشرين، بل للقرن الحادي والعشرين.

فمع الخواء الروحي، وانعدام الضوابط الميتافيزيقية، لنا أن نتخيل تمثال كارل ماركس وقد حل محل تمثال الحرية في نيويورك». كان يمكن عدّ هذه الملاحظة عابرة، ملتبسة بين التحذير التهويلي والهاجس، لولا نتيجة استفتاء أعلنته هيئة الإذاعة البريطانية قبيل اكتمال عام ١٩٩٩م أكدت اختيار كارل ماركس أكبر مفكري الألفية الميلادية الثانية. قامت بعد ذلك الإعلان مباشرة مظاهرات الاحتجاج الضخمة التي عرقلت مؤتمر منظمة التجارة العالمية في مدينة سياتل الصناعية الأمريكية، وهي معقل شركات عملاقة، مثل: ميكروسوفت، وبوينج، وعدد من احتكارات الاقتصاد العالمي الراهن. تلت بعد أسابيع مظاهرات مماثلة ضد العولمة في أثناء منتدى دافوس في سويسرا الذي يحضره عادة قادة الدول والاحتكارات الكبرى، ثم مظاهرات أخرى في واشنطن مع انتصاف شهر نيسان/أبريل ٢٠٠٠م، في ظاهرة راحت تتكرر بتواتر متصاعد ضد العولمة والنظام الرأسمالي. اضطر جيمس ولفنسن، رئيس البنك الدولي

الذي يمثل أبرز أدوات العولمة، إلى محاولة امتصاص النقمة العالمية المتزايدة مذكراً بأفقر فقراء العالم، وعارضاً صور الفجوة الهائلة المتزايدة بين الفقراء والأغنياء. ففي البرازيل يكسب أفقر خُمس السكان أقل من اثنين ونصف من دخل البلاد، ويسيطر الخُمسُ الأعلى دخلاً على ثلثي دخل البلاد، وبعدها استعرض نماذج النسب المختلفة لتفاوت الدخل في روسيا وجنوب إفريقية وكولومبيا، حتى في الصين التي تتملص من الشيوعية عملياً، وفي ماليزيا وتايلند وبلدان أخرى، وأنهى مقالته المنشورة في نهاية يناير/ كانون الثاني عام ٢٠٠٠م في صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية، كما بدأها، معترفاً بقسوة توزيع «منافع العولمة»، وقائلاً: «إنه لا فائدة من الاكتفاء بلوم العولمة، مع أن الجدال الدائر حول العولمة وآثارها مشروع وضروري. فلا أحد يحتكر الحقيقة، ويجب أن يكون لكل امرئ صوت، والأهم أن يكون للفقراء أنفسهم أصواتهم».

مهم أن نتذكر، مع إعادة تلميع كارل ماركس، على الرغم من انهيار المعسكر الذي حاول تطبيق نظرياته، ما كتبه موشيه هيس (فيلسوف الحركة الصهيونية الأول) عن إعجابه الشديد بكارل ماركس عقب لقائهما الأول في عام ١٨٦٢م، إذ قال: «لقد اتخذت من هذا العبقري مثالاً لي وقدوة، لما يتحلى به من دقة التفكير، واتفاق آرائه مع عقيدتي وما أومن به».

مهم أن نتذكر كذلك الدفاع القوي للحاخام لويز برونس عن كارل ماركس - الذي عدّه كثيرون قائد الإلحاد المعاصر - في وجوه اليهود الذين انتقدوا فلسفته، وعارضوا نظريته، وشككوا بمقاصده، فقد كتب الحاخام لويز برونس قائلاً: «إن كارل ماركس، وحفيد الحاخام موردخاي ماركس»، كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه، وفي كل ما قام به وأعد له، فكراً وأسلوباً، أشد إخلاصاً لإسرائيل من كثير من المتشددين اليوم بأدوارهم في مولد الدولة اليهودية».



فبهذا التذكر نستطيع أن نعيد قراءة ما كتبه بريجنسكي عن احتمال استبدال تمثال كارل ماركس بتمثال الحرية في نيويورك - معقل الاحتكارات المالية العظمى، ومعقل أكبر تجمع يهودي في العالم! ونربط هذه القراءة بإعادة التمعن في ما جاء في «بروتوكولات حكماء صهيون» لندرك أن تباين ألوان الطيف السياسي المتصارع يكون أحياناً مجرد قناع لوحدة الانتماء اليهودي لمحركي تيارات بارزة لذلك الطيف. ندرك أيضاً دون استسلام مستكين لهيمنة يهودية راهنة تبدو طاغية، ودون تهوين من شأن تلك الهيمنة أيضاً أو استهتار بها، وجاهة ما ذهب إليه الكاتب اليهودي البولندي المعاصر عندما قال في مقابلة مع أورينت برس نشرت في اليوم الأخير من عام ١٩٩٩م: «اليهود هم الذين سينقرضون.. إسرائيل تحولت عن عمد إلى مؤسسة سياسية أو عسكرية لكي تبقى بعدما اكتشف القيّمون عليها أن البنية العقائدية لم تعد ذات جدوى.. اليهودية نفسها استحالت إلى مؤسسة مالية: هل يتمتع حزقيال بالنفوذ الذي يتمتع به جورج سوروس؟ العملة الخضراء (الدولار) تحولت إلى نص (مقدس).. الثقافة الجديدة تبتلع إسرائيل.. اليهودي يعيش أزمة هوية فعلاً..»

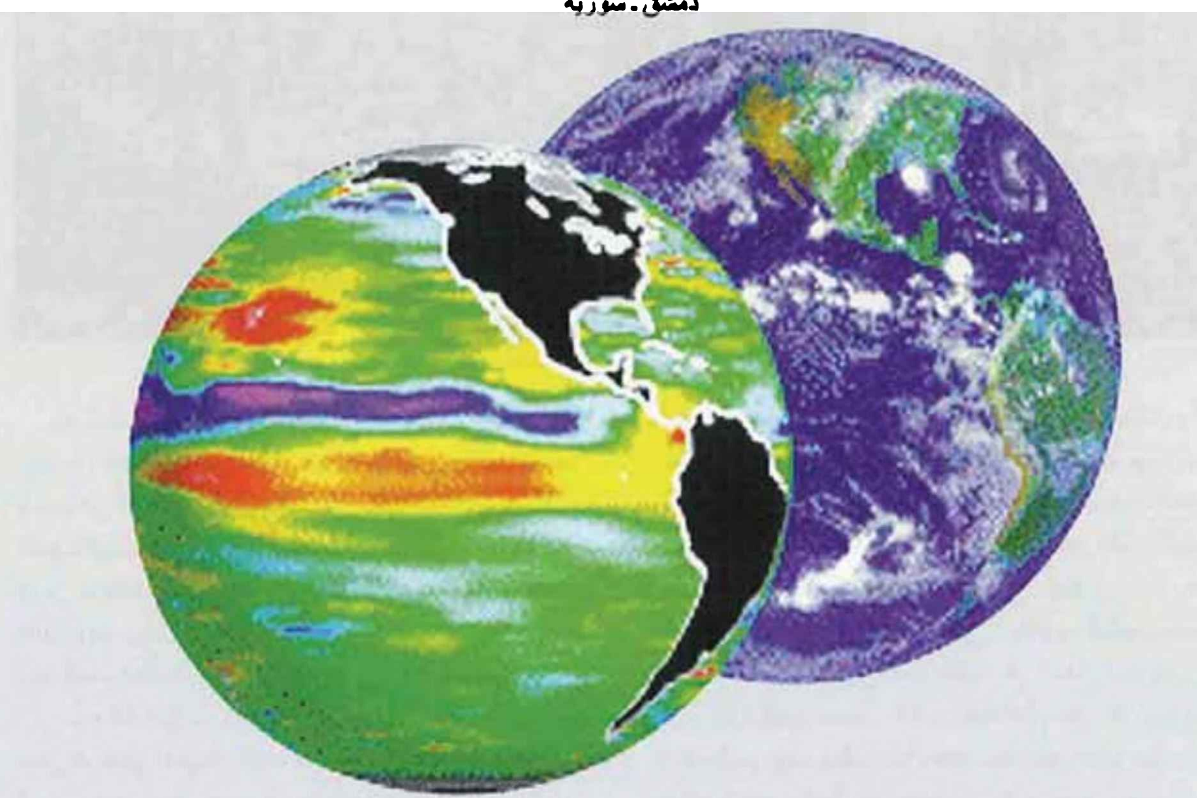


وللفقراء صوت!

كذلك نستطيع إدراك القيمة الكبيرة لما كتبه الفيلسوف الفرنسي سيمون وايل (١٩٠٩م - ١٩٤٣م) قبيل وفاته إذ توقع ما يجري حالياً ببصيرة نافذة، فقال: «تعرف جيداً أن أمركة أوربا بعد الحرب العالمية الثانية)، ستقود بلا شك إلى أمركة الكرة الأرضية كلها.. وستفقد الإنسانية ماضيها..» ربما لم يتوقع توكفيل هذه العولمة/ الأمركة عندما كتب عام ١٨٤٠م في كتابه «الديمقراطية في أمريكا» قائلاً: «لا أعرف شعباً يحتل فيه حب المال حيزاً كبيراً في قلوب الناس أكثر من هذا الشعب، شعب يشكل تجمعاً من المغامرين والمضاربين»، وربما لم يتوقعها كذلك لويس ألتوسير عندما قرر أن «الذهب ماعز وحشي يأكل الأيديولوجيا». مكرراً قول المسيح عيسى بن مريم إذ خاطب اليهود - والمتهودين - محذراً ومنذراً: «لا تستطيعون الجمع بين عبادة المال وعبادة الله معاً».

هل الماضي مرآة المستقبل؟
كرتنا والمناخ

ميسون عبدالرحمن النحلاوي
دمشق - سورية



يحيط بالقارة البيضاء، صحراء الجليد، جمود مرعب، بينما تسرح في جنباتها الرياح القطبية لتزيد من صلابة جبالها الشامخة التي أرسى الخالق أوتادها. وهناك حيث توقفت الحركة، إلا على المقياس الزمني الجيولوجي، وتجمد كل شيء، كتب التاريخ قصصاً وحكايات، حوادث وأسراراً على جليد القطب هذا، واختبأت كل حكاية تحت طبقة جديدة من الجليد لتكون تلك صفحة ناصعة لحكاية جديدة، وهكذا تراكم تاريخ العصور مع تراكم الجليد المتصلب. وقد شهدت كرتنا الأرضية عدداً من التنوع المناخي كانت نتيجته هيمنة عصور جليدية، صغرى أو كبرى، وعصور بيجليدية وعصور دفء. ومن بين الصفحات المتجمدة نقرأ ما سجله لنا الجليد من تغيرات مناخية وجيولوجية سادت الأرض عبر الأزمان.



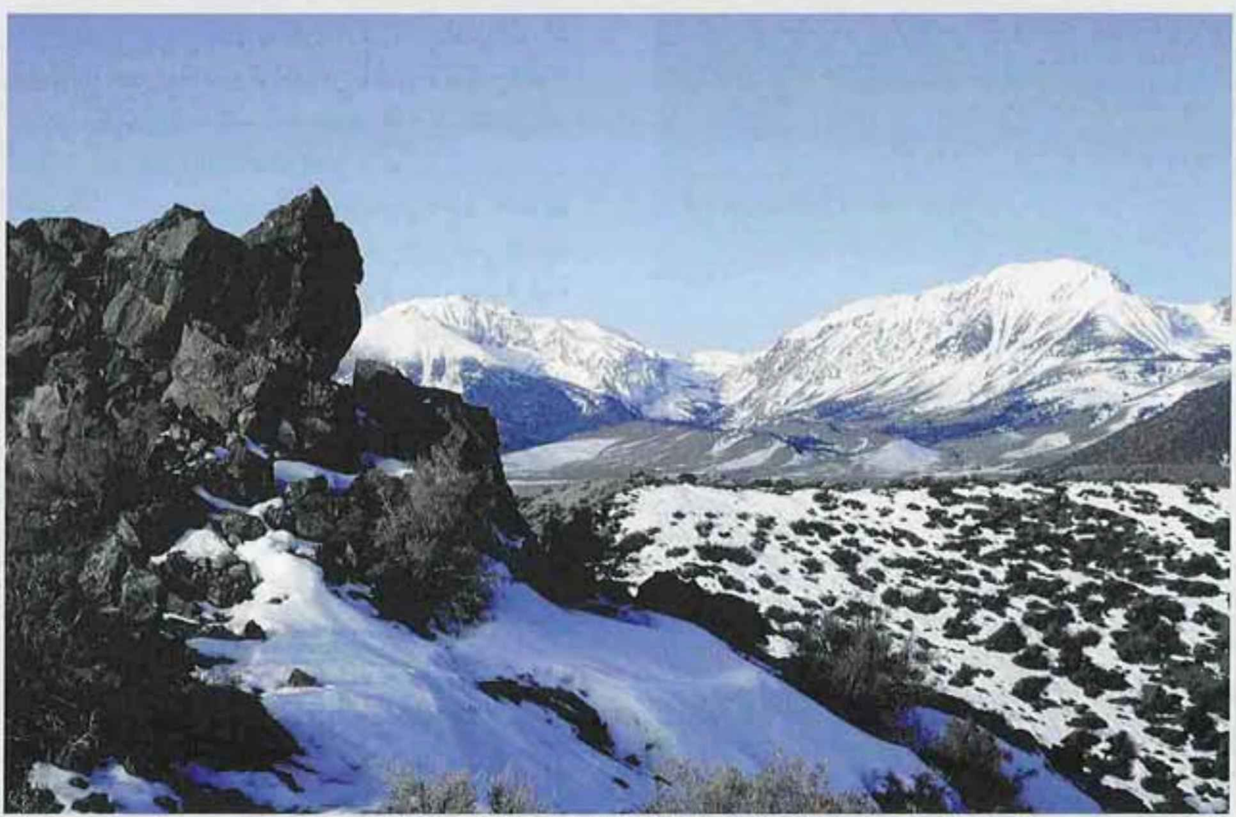
مع الأنشطة الإنسانية تتهاوى الغابات....

نجح القطب أخيراً في اجتذاب الاهتمام البشري إلى جليده وجباله الجليدية؛ فقد شهد العقدان الأخيران من القرن الماضي نشاطاً ملحوظاً في الدراسات القطبية سواء في القطب الشمالي أو في القارة القطبية الجنوبية، حيث نشط البحث العلمي على الجليد القطبي في كل من غرينلاند Greenland، في القطب الشمالي، ومحطتي بايرد Burd، وفوستوك Vostok الجليديتين في القارة القطبية الجنوبية. ويعدُّ القطب بجليده، مركز توازن الكرة الأرضية، والمقياس الحساس الأول لمناخ الكرة الأرضية وما يعتريه من تبدلات وتغيرات، كما أنه المتنبئ المرجعي لما ينتظر كرتنا من عصور خصب أو قحط، من كوارث وجائحات على حد سواء. ويتوزع الجليد القطبي على كل من القطب الشمالي، أو المحيط المتجمد الشمالي، والقطب الجنوبي، أو القارة القطبية. ومع تناظر هذين القطبين عند خط العرض ٦٦٫٦ شمالاً وجنوباً، فهما غير متماثلين تماماً. فالمنطقة المتجمدة الشمالية تحتوي على القليل فقط من جليد الكرة الأرضية إذا ما وُزنت بالقارة القطبية.

ويتوزع الجليد في المنطقة القطبية الشمالية بين جزيرة غرينلاند – التي يقع معظمها شمال الدائرة القطبية الشمالية ويغطي الجليد معظم أرجائها – والشمال الأقصى لكل من آسيا وأوربا وكندا. وعلى العكس من المنطقة الشمالية التي يغطي معظم جليدها مياه المحيط المتجمد الشمالي، يمتد الغطاء الجليدي في المنطقة المتجمدة الجنوبية على مساحة واسعة جداً من اليابسة ليشكل ما يسمى بالقارة القطبية: منطقة قاحلة خالية من أي نوع من أنواع الحياة باستثناء بعض النباتات التي تنمو في الأماكن التي لا يغطيها الجليد، وبعض الحيوانات كطائر البطريق المتميز بقدرته على احتمال الجو القارس.

والقارة القطبية تحمل ٩٠٪ من جليد العالم، يقع ٤٠٪ منها تحت سطح البحر، وقد هبطت هذه المنطقة نتيجة لثقل الجليد الهائل الذي يتكدس فوقها. والجبال الجليدية التي نراها عائمة في المحيطات هي كتل جليدية تنفصل عن الأنهار الجليدية التي تنصب في البحر وتعوم مبتعدة عنها، كما تنفصل كتل مشابهة لها عن المناطق المتجمدة في فصل الصيف. وتبلغ اثنتان من «عتبات الجليد العائمة» الموجودة في القارة الجنوبية من الاتساع ما يعادل مساحة فرنسا لكل منهما، وهما تغطيان بحر ويدل، وبحر روس، وتنتهيان نحو عرض البحر بجبهة شديدة الانحدار كالجدار مثال ذلك حاجز روس العظيم.

وعلى الرغم من أهمية هاتين العتبتين الكبيرة من حيث كونهما



... ويزداد التسخين وذوبان الجليد

مركزاً مهماً للدراسات الجليدية، إلا أن علماء المناخ يرون أنهما ستختفيان عن الخريطة عاجلاً أم آجلاً، مع المحطات البشرية التي أقيمت عليهما، بسبب حركة خفية تجرف جليدهما رويداً رويداً نحو البحر الطليق. وعن هذه العتبات تنفصل جبال جليدية Iceberg مترامية ومسطحة تشق طريقها في البحر المترامي الأطراف إلى مستقر حدده لها خالقها.

والبحث المتواصل في طبقات الجليد القطبي الشمالي والجنوبي قائم منذ أكثر من عشرين سنة، ومن بين النتائج التي توصل إليها العلماء من خلال بحثهم في نواة غرينلاند الجليدية، أن الطقس يتغير بشكل مثير ومفاجئ خلال فترة وجيزة من الزمن. فمنذ ١١٥٠٠ سنة تقريباً تبردت غرينلاند فجأة، وبعد ١٥٠٠ سنة تسخنت فجأة أيضاً. ولفهم هذا التغير علينا أن نعلم أن مجرد هبوط درجة حرارة الأرض خلال القرن الثالث عشر بمعدل ١ر١ درجة مئوية كان كفيلاً بالإيذان بابتداء «العصر الجليدي الأصغر»؛ ذلك الذي مسح مقاطعة الفايكنغ، غرينلاند، واستحث الجليد ليعمل على تحطيم قرى كاملة في أوربا، وأسهم في حدوث المجاعات المتكررة، والهجرات الجماعية. ويطلق العلماء على هذا التأرجح المناخي «ظاهرة المناخ المضطرب» ويقولون: إن هذه الظاهرة ستكون ذات أثر كارثي في عالم اليوم المزدحم لما تسببه من موجات قحط وجفاف وفيضانات وأوبئة وأمراض ستؤدي في النهاية إلى تحطيم مجتمعات بأكملها، فضلاً عما يحمله ارتفاع مستوى مياه المحيط من مفاجآت قد لا تنتهي عند إغراق المدن! ومن بين الاكتشافات التي توصل إليها العلماء في القارة الجنوبية، عروق وطبقات من الفحم الممتدة تحت السطح الجليدي.

ومن الواضح أن هذا الفحم قد نتج من تحلل الأشجار، وهذا ما جعل العلماء يعتقدون أن هذه القارة قد تعرضت في الماضي لمناخ أكثر دفئاً مما هي عليه الآن. ولكن هل يمكننا تفسير الظواهر المناخية التي تسود كرتنا والمستقبل الذي ينتظرها على ضوء الماضي؟

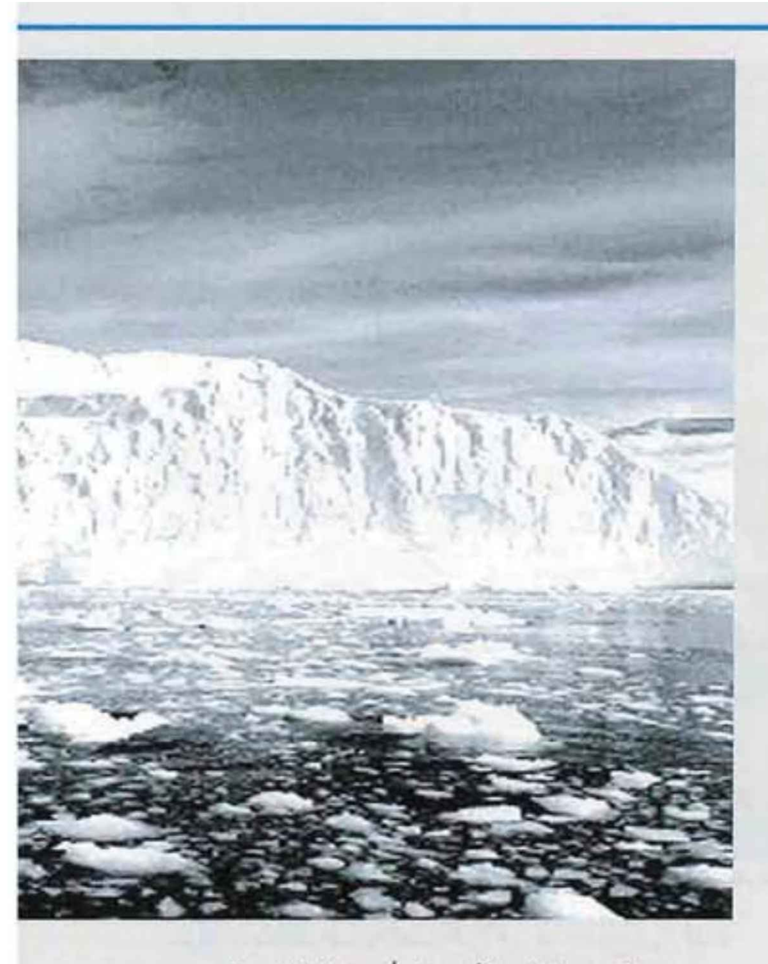
تاريخ المناخ ومدى صحة النظريات

لقد كان لخطر تسخين غازات الدفيئة على الكرة الأرضية فضل على السجلات الجيولوجية في نفض الغبار عنها ونقلها إلى مصاف المبيعات الأكثر رواجاً في الدوائر العلمية. وتقع المهمة الصعبة للتنبؤ بالمناخ المستقبلي على عاتق منمذجي المناخ الذين يدمجون آلافاً من المعادلات المختلفة ضمن إبداعات حواسيبهم الضخمة. ومع ذلك

تبقى أفضل نماذج المناخ ملأى بالشكوك، وكثيراً ما تتناقض النبوءات بعضها مع بعض. ولتطوير ما أمكن من المقلّدات «النماذج المقلّدة» التي يمكن الوثوق بها، التفت منمذجو المناخ إلى الماضي: إلى الغازات المحتجزة وحبيبات الطلع، والنظائر الموجودة داخل المستحاثات - إلى أي شيء يمكن أن يفيدهم في تعزيز أنظمتهم الحسابية أو إثباتها أو نقضها؟. ومع الرجوع إلى الماضي أضيف المزيد من الشكوك، فقد وُجد أنه من الصعب قراءة الخطوط الرئيسة للمناخات القديمة؛ لذلك كان على منمذجي المناخ الرجوع إلى السجلات والنماذج الجيولوجية، وعرض ما يتوصلون إليه من نتائج عليها، وإذا ما وجدوا تعارضاً، ترتبت عليهم المساءلة: أيهما على خطأ: النماذج أم السجلات؟ ومع ذلك لا يخلو الأمر من أمثلة تعرض لصادقة الماضي للأفكار المطروحة حول العمليات المناخية الحالية. مثال على ذلك التغيرات في الحلقات التي يشكلها مدار الأرض في أثناء توجهها ودورانها حول الشمس، والتي تعدّ دليلاً قياديّاً للتاريخ المناخي - وخاصة عبر الملايين القليلة الماضية من السنوات. هذه الحلقات معاً تدعى حلقات (ميلانكوفيتش) نسبة إلى الفلكي الذي قال بتأثيرها في المناخ الأرضي. تؤدي هذه التغيرات في مدار الأرض إلى تبدلات في شدة الفصول في كلٍّ من نصفي الكرة الأرضية. في أيامنا هذه يحمل المدار الأرضي الأرض إلى أقرب نقطة من الشمس في شهر كانون الثاني/يناير، وأبعد نقطة منها في شهر حزيران/يونيو. هذا النموذج الحقيقي يسبب في النصف الشمالي شتاءً أكثر سخونةً وصيفاً أكثر برودة مما كان عليه الوضع قبل

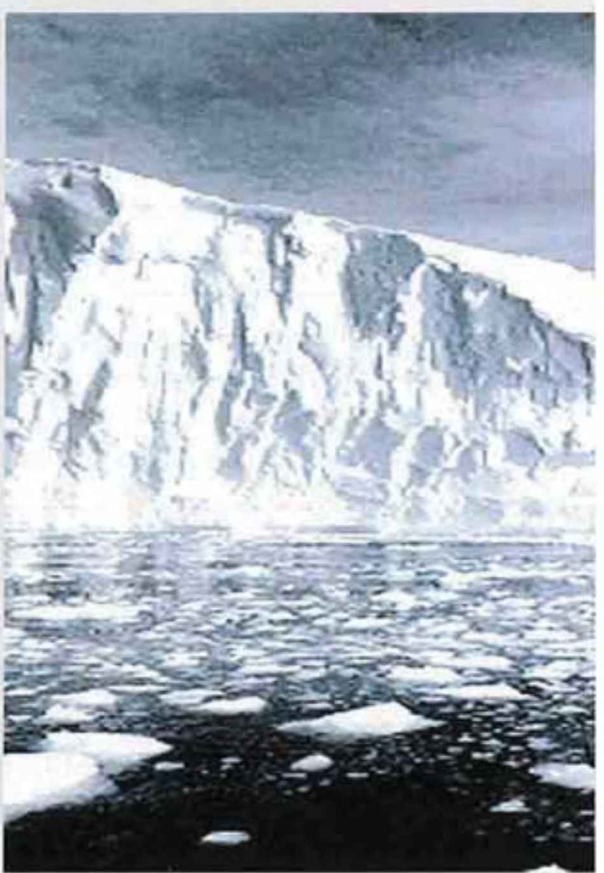


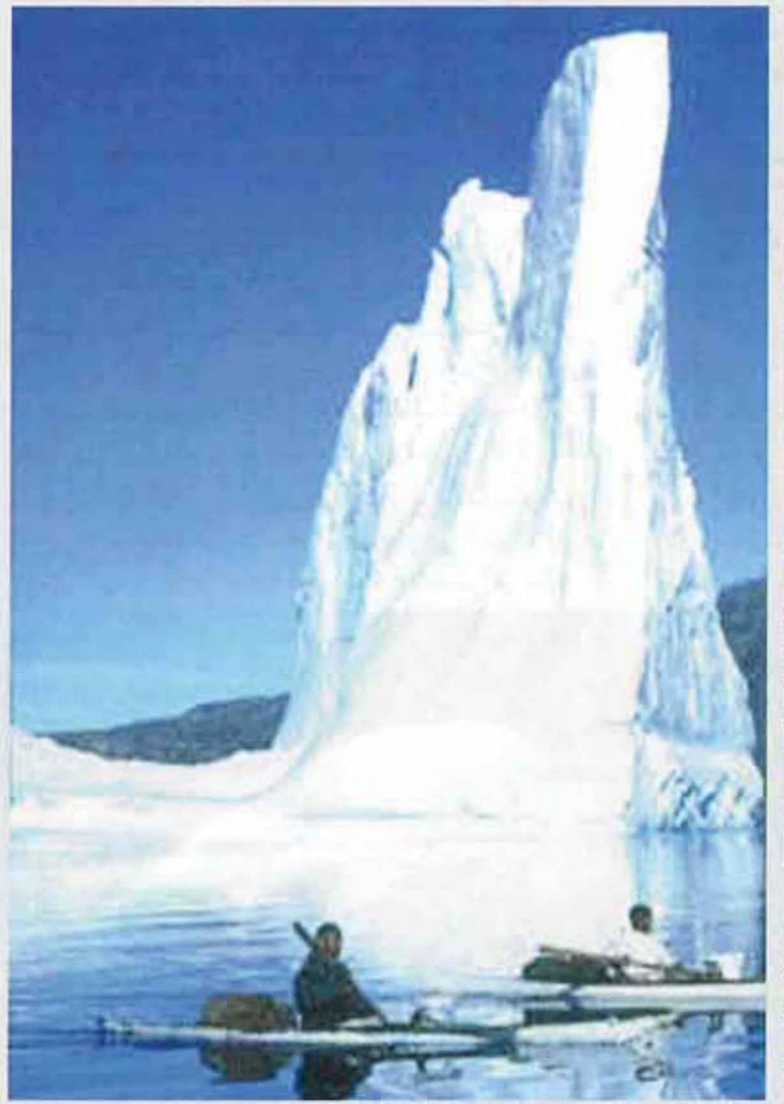
خريطة تبدو فيها غرينلاند في القطب الشمالي

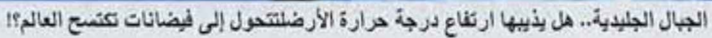


١١٠٠٠ سنة، عندما كانت الأرض في أبعد نقطة لها من الشمس في كانون الثاني.

وعندما قامت مجموعة البحث في المناخ القديم بفحص تلك الصورة عن طريق تغذية نماذج مناخية ببارامترات، أو متغيرات مدارية (تتعلق بالمدار الأرضي) لحقبة زمنية قديمة تقع بين ٦٠٠٠- ١٢٠٠٠ سنة، أظهرت النماذج فصول الشتاء الباردة المتوقعة في نصف الكرة الشمالي وفصول الصيف الأكثر دفئاً. وفي المناطق المدارية العليا من إفريقية وآسيا، تنبأت النماذج نفسها أن هذه الفصلية المعززة ستزيد من حدة التباين الحراري، بين الأرض والبحر، مما يؤدي إلى استثارة رياح موسمية صيفية أكثر قوة، وارتفاع زائد في منسوب البحيرات في المنطقة التي تعرف الآن بصحراء «صحارى» Sahara، الواقعة في شمال إفريقية. ويدعم وجود هذه المجموعة من التنبؤات، بما فيها ارتفاع منسوب البحيرات في منطقة صحارى، ظهورها في السجل الجيولوجي. إلا أن هذا الماضي لا يأتي دائماً متوافقاً مع النماذج الحديثة. فعلى سبيل المثال لا يعرف أحد حتى الآن كيف يكون التأثير الدوراني في تراجع الصفيحات






الجبال الجليدية.. هل يذيبها ارتفاع درجة حرارة الأرضلتتحول إلى فيضانات تكتسح العالم؟!

الجليدية، وقد أصبحت الصورة أكثر ضبابية عندما قدمت البيانات الحديثة اقتراحات تقول إن الدورات الجليدية قد لا تكون على تزامن دائم مع الدورات المدارية للأرض. وبهذا الصدد لم تكن مفاجأة أن نعلم أن الحظ لم يحالف علماء الطقس في الحصول على مناخاتهم الحاسوبية لمحاكاة الدورات الجليدية، على الرغم من النجاح الذي حققه أحد العلماء مع زميله في تنمية صفيحة جليدية في الحاسوب.

اضطراب في المناطق المدارية

يقدم الماضي في بعض الأحيان نقداً شديداً للنماذج المفترضة. ولنأخذ – على سبيل المثال – وضع المحيطات المدارية المحيّر. عندما قام علماء المناخ بعمل نموذج مناخي يحاكي المناخ القديم؛ وذلك بتغيير عامل من عوامل المناخ القمرية، مثل ثاني أكسيد الكربون، أو كمية الأشعة الشمسية التي ترتطم بالأرض، لم تتغير درجة الحرارة المتنبأ بها بشكل متساو في جنبات الكرة الأرضية. على سبيل المثال تسببت مضاعفة كمية ثاني أكسيد الكربون في مناخ النموذج في حدوث دفء زائد في القطبين أكثر من ذلك الذي يحدث في خط الاستواء بشكل عام، إلا أنها تدفع بكمية محددة من التسخين إلى البحار المدارية أيضاً. من جهة أخرى يسبب تخفيض مستوى ثاني أكسيد الكربون بشكل عام تبريد البحار المدارية، هذا في النموذج. إلا أن الوضع ليس كذلك في العالم الحقيقي، إذ تبقى درجات الحرارة السطحية لمياه البحار المدارية، سواء في المناخ البارد أو الدافئ، ثابتة ضمن الدرجات القليلة للقيمة الحالية.

في السبعينيات من القرن الماضي تشكلت بعثة من علماء المناخ أطلق عليها اسم Climap لرسم خريطة العصر الجليدي الأرضي. ولدهشة الكثيرين جاء تقرير أعضاء الفريق بأن درجة حرارة سطح

البحار المدارية كانت أبرد مما هي عليه اليوم بدرجتين مئويتين كحد أقصى، معتمدين في تقريرهم على تنوع أنواع كثيرة من «المنخربات» البحرية وغزارتها Foraminifera. واستمرت الاكتشافات في الثمانينيات بالاعتماد على النظائر ودراسات أخرى.

خلال فترات الدفء مثل الكريتاسي، ٦٥-١٤٠ مليون سنة، كانت الصورة مشابهة، فقد أفادت النظائر أن المحيطات المدارية كانت أكثر سخونة مما هي عليه اليوم أيضاً ببضع درجات فقط على أبعد تقدير، بينما تتنبأ النماذج المستقاة من CO2 بتسخين أكبر في المستقبل؛ إلا أن آخرين يرون أن هذا التنبؤ لم يخرج عن طور الاختبار، ويصرحون بأنه لن يكون بإمكانهم الحكم على هذه النتيجة بالخطأ قبل أن يتم عرضها على السجلات الجيولوجية.

ومع ذلك، يرى علماء آخرون أن هذه التناقضات تقود إلى تفسيرات مهمة للنظريات الحديثة المطروحة على أرض الواقع. فمثلاً، أدى التناقض في درجة حرارة السطح المحيطي إلى تفكير جديد بالكيفية التي يحمل فيها كل من الجو والمحيط الحرارة من خط الاستواء إلى القطب. درسٌ مشابهٌ يأتينا من الحقبة التي تعود إلى ١٠٠٠٠ سنة ماضية، بضعة آلاف من السنين بعد نهاية العصر الجليدي الأخير. في تلك الحقبة عادت درجة حرارة المحيط الأطلسي الشمالي والأراضي المجاورة له فجأة إلى المعدلات الجليدية عندما وصل مستوى التسخين إلى ما هو عليه اليوم تقريباً!

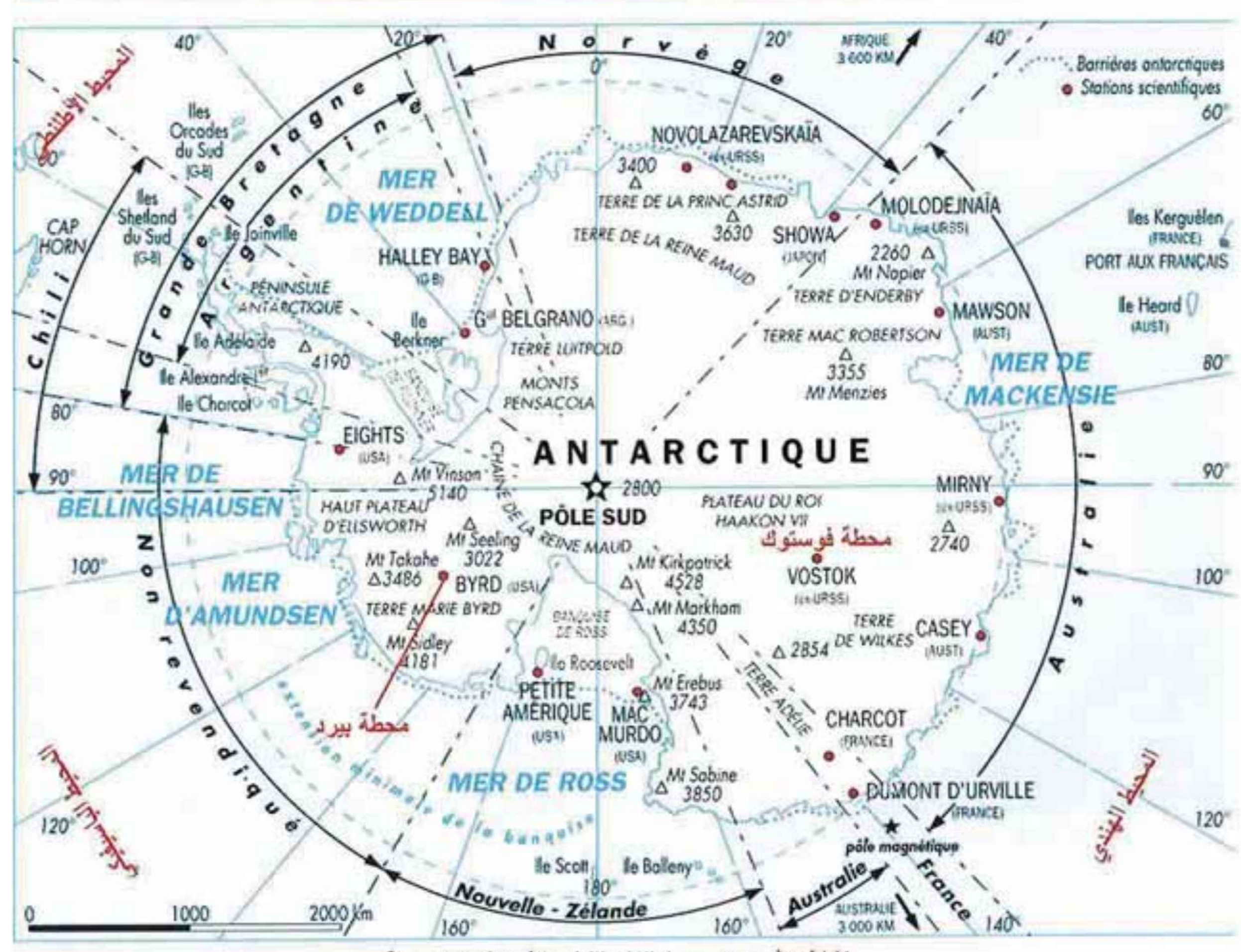
الدببة.. هل يؤدي بها تغير المناخ إلى الانقراض؟

قام بعض العلماء في التسعينيات بنوع جديد من الدراسة يعتمد على الماضي بشكل مباشر، فقد حاولوا استخدام بيانات المناخ القديم لمعرفة مدى حساسية الحرارة الأرضية للتغيرات التي تطرأ على غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي. ويتم تقويم هذه المتغيرات، والتي يطلق عليها عادة حساسية المناخ، بمضاعفة تركيزات ثاني أكسيد الكربون، ويعدها الجيولوجيون شيئاً مقدماً، فبحصولهم على هذه القيمة، قيمة حساسية الحرارة الأرضية، ستكون لديهم فرصة أفضل لحساب التسخين الكروي المستقبلي فقط عند رجوعهم إلى الزيادة المسجلة في غاز ثاني أكسيد الكربون.

وظهرت القيمة محيرة؛ فقد أظهرت النماذج مدى واسعاً من الاستجابات لمضاعفة ثاني أكسيد الكربون وراوحت القيمة بين (١٫٥- ٤٫٥) درجة مئوية. وبدا من الصعب تضييق المسافة بين الدرجتين، لأنه لا أحد يعرف تماماً كيف يمكن أن يكون تأثر السحب بناء على هذه التغيرات؟ هل ستضخم أم تقلل من تأثير غاز ثاني أكسيد الكربون؟ فإذا ما عرف العلماء قيمة التغير في ذروة ثاني أكسيد الكربون التي ساعدت على حدوث التغير المناخي في الماضي، وإذا ما توافرت لديهم معلومات عن كيفية استجابة الأرض لهذه التغيرات؟ فقد يكون بإمكانهم وضع تقويم لحساسية المناخ.

وفعلاً أجرى العلماء محاولة فعلية للحصول على تلك المعطيات، فقد استخدموا في دراسة استقرائية حقبتين مناخيتين من الماضي: إحداهما أكثر دفئاً من اليوم، والأخرى أكثر برودة. اختارا للحقبة الأكثر دفئاً منتصف العصر الكريتاسي، ١٠٠ مليون سنة ماضية، إذ يُعتقد أن نسبة ثاني أكسيد الكربون كانت أعلى مما هي عليه اليوم. وللحقبة الأكثر برودة، ذروة العصر الجليدي الأخير، منذ ١٨٠٠٠ سنة، عندما كانت نسبة CO2 أقل مما هي عليه اليوم بنسبة ٣٠٪. بالإضافة إلى مستويات CO2، كان تحليلهم بحاجة إلى مؤثرات مناخية أخرى، مثل قوة الإشعاعات الشمسية، والانعكاس الصادر عن الأرض، أو ما يسمى «البيدو» albido، وإلى بيانات عن درجة الحرارة لتوثيق الكيفية التي استجابت بها الأرض لهذه العوامل القسرية.

تبيّن أن كل الأرقام التي توصلوا إليها غير مؤكدة ماعدا مستويات ثاني أكسيد الكربون المسجلة في العصر الجليدي الأعظمي الأخير والتي أمكن قياسها من خلال فقاعات الهواء القديمة المحتجزة عميقاً في الغطاءين الجليديين القطبيين. فالتقويمات التي تخضع لها درجات الحرارة - على سبيل المثال - تعتمد على تصنيف المستحاثات الموجودة في رواسب البحار العميقة ونظائرها، وهذه بدورها مبعثرة في نقاط متباعدة من الكرة الأرضية. ولتحويلها إلى معدل حراري كروي استخدمت فرضية «التوازن الكوني» التي



نشاط بحثي محموم حول الجليد القطبي الذي تظهره الخريطة

تتناول الكيفية التي تتغير فيها درجة الحرارة مع خط العرض. في النهاية أفادت نتيجة هذا التحليل أن مقدار حساسية المناخ ٣ر٢ درجة مئوية زائد ناقص ٩ر. وهكذا تبدو هذه الدراسة برهاناً كبيراً على عدم وثوقية نتائج النماذج الفرضية، ويرى الناقدون أن نسبة الشك في البيانات كبيرة تماماً كما هو الحال مع النماذج.

من هنا نجد أن الدراسات المناخية والجيولوجية ستبقى بين أخذ ورد، وهذا ليس بالغريب، فالغيب لا يعلمه إلا الله تعالى: *وما أوتيتم من العلم إلا قليلا*. الإسراء:٨٥. ولا يزال علماء الجيولوجيا والكيماويون يتابعون محاولاتهم في تطوير وسائل ذكية جديدة لاستخراج معلومات حول درجات الحرارة، وغاز ثاني أكسيد الكربون، وعوامل مناخية أخرى من المستحاثات والصخور الصماء، مع احتفاظهم بالمبدأ القائل: إنّ الماضي هو المكان الوحيد الذي يمكن أن نتحرى فيه كيفية السلوك الحيوي خلال التغيرات المناخية.

بعض النظريات الحديثة في سبب حدوث العصور الجليدية

لا يحكم الفواصل الزمنية بين العصور المناخية التي سادت الأرض - الجليدية والبيجليدية وعصور الدفء - مقياسٌ ثابت، ولا يمكن تحديدها بشكل مطلق. فالزمن الذي يحدده العلماء لاستمرار عصر من تلك العصور اليوم قد يتغير غداً بناء على معطيات جديدة، وكذلك الحال بالنسبة إلى النظريات التي تبحث في أسباب حدوث العصور الجليدية وتتاليها على كوكبنا الحي. وقد توسع البحث العلمي في هذا المجال، ونتج منه عدد من النظريات التي تدور في فلك واحد، وهو العامل الأساسي المؤثر في المناخ الذي يؤدي إلى سيادة العصر الجليدي.

فيرى بعض العلماء أن التبدلات التي تطرأ على الجاذبية الأرضية تؤثر في الطقس من حيث تأثير قوة الجاذبية الأرضية واتجاهها في تحديد مقدار أشعة الشمس الذي يسمح الغلاف الجوي

بنفوذه إلى الأرض، وتوجد أدلة جيولوجية تشير إلى تبادل المواقع بين الأقطاب المغناطيسية للأرض أكثر من مئة وستين مرة خلال الحياة الكروية.

نظرية أخرى تقول بمسؤولية انزياح القارات عن حدوث العصور الجليدية. إذ تسبب حركة القارات اقتراب جزء من اليابسة من القطب مما يؤدي إلى دخولها تحت الغطاء القطبي، وهذا بدوره يسبب برودة في الماء والهواء المحيطين مما يسمح بتكون المزيد من الثلج، ومع مرور السنين تزداد الثلوج، وتتجمد الأنهار والبحيرات، وتدخل الأرض في عصر جليدي.

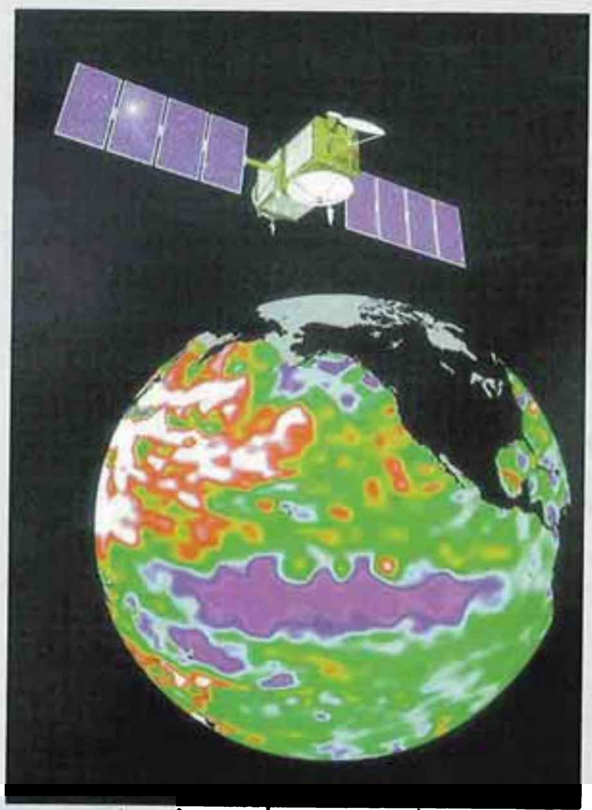
نظرية ثالثة تقول بتأثير البراكين في المناخ الكروي، والتسبب بإخضاع الأرض لظروف مناخية باردة. والآلية التي تفسر بها هذه النظرية هي أنه عندما يثور البركان، ويقذف بحممه إلى السماء، فإن الغبار الذي يثيره يبقى عالقاً في طبقات الجو، ويحول دون نفاذ أشعة الشمس إلى الأرض. ومن أهم نواتج البراكين غاز ثاني أكسيد الكبريت الذي يتحد مع الماء في طبقات الجو العليا مكوناً حامض الكبريتيك، وتظل قطرات حامض الكبريتيك عالقة في طبقات الجو العليا عدة سنوات، حيث تقلل من مقدار أشعة الشمس الواصلة إلى الأرض. ويسوق أصحاب هذه النظرية مثالاً: بركان كراكوتا الذي وقع في إندونيسيا عام ١٨٨٣م مسبباً انفجاراً هائلاً أدى إلى انخفاض درجة الحرارة في أنحاء العالم على مدار سنوات ثلاث.

وماذا عن عالمنا الحضاري؟

على أرض الواقع، نحن نعيش في عصر من عصور الدفء، أو حقبة ما بين العصور الجليدية و(البيجليدية)، ويبقى السؤال المفتوح هل نحن في نهاية عصر من العصور البيجليدية؟ وهل نحن مقبلون على عصر جليدي جديد؟ إلى أين ستقودنا التغيرات المناخية التي تلف كوكبنا؟

يزيد التسخين الكروي من انفصال الكتل الجليدية عن القطبين، فكلما ازدادت الأرض دفئاً، أخذ جليد القطبين بالانكماش مما يؤدي إلى انفصال كتل جديدة بشكل مستمر. وبالفعل يشهد كل عام المزيد من الجبال الجليدية العائمة المتناثرة في أرجاء المحيطات الشمالية، وهذا الذوبان بدوره سيؤدي إلى ارتفاع في مستوى المياه المحيطية ومن ثم إغراق المزيد من الأراضي المأهولة.

ويلخص الملف المختصر الذي عرضه برنامج البيئة الصادر عن الأمم المتحدة أن الطقس يتجه نحو المزيد من السخونة. ثمان من أسخن سني السجل العشر اتخذت مكاناً لها خلال العقد الماضي؛ وأصبحت الجليديات أصغر من أي وقت مضى، منذ ٥٠٠٠ سنة على الأقل، وفقد المحيط المتجمد الشمالي ٤٠٪ من غطائه الجليدي



تجرى الأبحاث حول مناخ الأرض على قدم وساق

خلال الثلاثين سنة الماضية، بينما تجاوزت الأضرار الاقتصادية الناتجة من الكوارث التي سببتها التقلبات الشديدة في الطقس التي حدثت عام ١٩٩٨م وحده ما حدث في عقد الثمانينيات كاملاً. وترى الهيئة القائمة على التغيرات المناخية أن الأنشطة الإنسانية تسهم بشكل كبير في عملية التسخين الكروي، إذ يتم إصدار غازات الدفيئة، مثل غاز ثاني أكسيد الكربون، من جهة، وتتهاوى الغابات من جهة أخرى. تبلغ مستويات ثاني أكسيد الكربون في الجو الآن نسبة قياسية. وتتنبأ الهيئة بازدياد درجات الحرارة الكروية بمعدل ٢ درجة مئوية في هذا القرن - وهو أكبر معدل تسخين منذ ١٠٠٠٠ سنة - بينما سيرتفع مستوى مياه المحيط بمعدل ٥٠ سم، وهو معدل يكفي للقضاء على الملايين من البشر الذين يشغلون الأراضي المنخفضة من دلتا الأنهار والمناطق الشاطئية، وإغراق أمم من الجزر تحت الأمواج الغاضبة. إنه القصور الذاتي الذي يعاني منه النظام العالمي، فما إن يبدأ التسخين الكروي، حتى يكون من الصعب جداً التوقف على أي مقياس من مقاييس الزمن.

الأوزون.. المظلة الواقية

عندما يسوقنا الحديث عن التسخين الكروي، والاضطرابات


الأوزون من ضحايا التلوث الكيماوي والتدمير البشري للبيئة

المناخية، ومستقبل الأرض الذي لا يعلمه إلا الله، لابد أن يكون للأوزون ركن أساسي في حديثنا. والأوزون O3 ضحية أخرى من ضحايا الملوثات الكيماوية، والدمار البشري للبيئة.

ومع بدء الألفية الجديدة عاد الحديث مجدداً عن الأوزون وثقبه المتسع باطراد، ليشغل حيزاً في المناقشات حول المناخ الكروي، وما ينتظره من كوارث. وغاز الأوزون O3 غاز أزرق غامق ينتشر في كل ناحية من الغلاف الجوي مشكلاً طبقة سميكة في بعض المناطق من طبقة الستراتوسفير، ورقيقة في أماكن أخرى. وعلى الرغم من أن الأوزون يشكل أقل من جزء واحد في المليون من غازات الجو، إلا أن وجوده يعد أساساً في الحياة الأرضية، فهو يمتص الأشعة فوق البنفسجية الصادرة عن الشمس، ويمنعها من الوصول إلى الأرض، ويمكن القول: إنه يشكل المظلة الطبيعية الوحيدة الواقية للأرض من هذه الأشعة. ولا تخفى علينا الأضرار التي تلحقها هذه الأشعة بالحياة الحيوية، فهي أشعة ذات طاقة عالية يمكنها زيادة الإصابة في سرطان الجلد، ونقص المناعة، ويمكنها إلحاق الأذى بالمحاصيل الزراعية، والنظام البيئي والمائي. وباختصار إن ضررها يصيب الإنسان والحيوان والنبات على حد سواء.

ويحكي لنا «جو فارمان» من برنامج الأمم المتحدة للبيئة كيف بدأ الاهتمام بقضية الأوزون منذ خمسة عشر عاما عندما كان يترقب نتائج قياس الأوزون التي كانت تجري في محطة البحث البريطانية في القارة القطبية. وأسفرت النتائج في حينها عن تغير مثير في طبقة الأوزون في القارة القطبية، ومنذ ذلك الوقت أصبح «ثقب الأوزون» حديث الساعة في أنحاء الكرة الأرضية كافة.

في عام ١٩٧٠م أصبح التأثير الإنساني في طبقة الأوزون الموضوع الشاغل دولياً. في البداية توجهت المخاوف نحو الأساطيل من الطائرات المخترقة للصوت التي كانت قيد التنفيذ، إلا أنه لم ينزل إلى الخدمة منها سوى طائرة الكونكورد.

في عام ١٩٧٤م تحول الاهتمام إلى مركبات كلورفلوريد الكربون CFCs فقد ارتفع إنتاج هذه الصناعة إلى أربعة أضعاف ما كان عليه عام ١٩٦٠م، وانتشر كلورفلوريد الكربون في أنحاء العالم كافة، واستمرت تركيزاته في الجو بالازدياد بنسبة ثابتة. هذه المركبات، التي تطلق بملايين الأطنان في البيئة المحيطة بنا، ستؤدي في النهاية، إذا استمر التغاضي عن استخداماتها، إلى تأكل الدرع الأوزوني وتحطيمه. وقد استخدمت هذه المركبات منذ اكتشافها عام ١٩٢٨م

لأغراض التكييف والتبريد وأغراض أخرى. وفي عام ١٩٧٤م أعلن أن هذا المركب يزداد في الغلاف الجوي باطراد. فالولايات المتحدة وحدها تنتج وتستهلك ٣٠٪ من المادة، والمجموعة الأوربية ٣٠٪ واليابان ١٥٪. واحتدم النقاش، إلا أنه لم يتم الاتفاق على إجراء معين؛ فرضت كل من كندا، والولايات المتحدة الأمريكية والدول الإسكندنافية حظراً على بعض استخدامات كلورفلوريد الكربون، بينما قررت مدن أوربية أخرى أنه لا حاجة إلى توسيع رقعة إنتاج المواد الكيماوية، إلا أنه في الوقت نفسه ليس من الضروري فرض قيود على استخدامها. وفي عام ١٩٧٨م حاول برنامج البيئة للأمم المتحدة من خلال لجنة تنسيق الحصول على تحرك دولي في هذه المشكلة، وعلى الرغم من أن التقدم كان بطيئاً جداً، إلا أنه في النهاية تم توقيع معاهدة فيينا في شهر آذار/ مارس من عام ١٩٨٥م، أقرت المعاهدة وجود مشكلة، ووافقت على إجراء دراسات مشتركة، إلا أنه تم تأجيل موضوع ضبط CFCs.



التفاعلات على سطح الشمس تؤثر بشكل مباشر في مناخنا الأرضي

في عام ١٩٨٧م تم إحراز تقدم في محاولة الحد من اتساع ثقب الأوزون. فعن طريق طرح عدد من المراجعات عام ١٩٩٠م، تم فرض المزيد من الضوابط من خلال اجتماعات عقدت في كل من لندن عام ١٩٩٠م، وكوبن هاغن ١٩٩٢م، وفيينا ١٩٩٥م، ومونتريال ١٩٩٧م، وبيجينغ ١٩٩٩م.

وعلى الرغم من كل ذلك بقيت احتمالات استرداد الأوزون ضعيفة. وعلى الرغم من وصول نسبة الكلور إلى ذروتها في الجو عام ١٩٩٤م وبداية انحدارها منذ ذلك الحين، إلا أن البروميد (الذي يستنفد الأوزون أيضاً) لا يزال في ازدياد؛ وتشير الدلائل التي قدمها جليد القارة القطبية إلى أن البروميد ازداد بسرعة خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات. علاوة على ذلك فاقمت الزيادات التي تشهدها الأرض من غازات الدفيئة في نضوب الأوزون بجعل طبقة الجو العليا، الستراتوسفير، أكثر برودة، عكس تأثيرها الساخن على سطح الأرض.

وماذا عن ساكن القطب؟

لا يخفى علينا ما تعانيه الكائنات القطبية من الأحوال المناخية التي تسود كرتنا الأرضية، وما يتهدد بعضها من إمكانية الانقراض، وقد يكون التعرض للدب القطبي مثالاً ملائماً.

تمكن الدب القطبي الذي تكيف بتفوق مع المناخ القطبي، من الحفاظ على وجوده على الرغم من التقلبات الكثيرة التي تعرض لها مناخ موطنه منذ تطوره عن سلالة الدب البني، كما يرى العلماء، أي منذ ٥٠٠٠٠٠ سنة. إلا أن الدراسات المناخية الحديثة في القطب تفيد أن موجة طويلة وقوية من التسخين الكروي التي تهدد الموطن الجليدي لهذا الحيوان قد تكون نذير شؤم عليه.

تتجول الدببة القطبية فوق مساحات كبيرة من الجليد لاصطياد الفقمة، فريستها المفضلة، وهي في عملها هذا تحتاج إلى الجليد لاستخدامه منصة تمارس عليها عملها الذي يضمن لها البقاء على قيد الحياة. تنتظر الدببة فريستها، الفقمة، عند الفتحات التي تحدث في الجليد حيث تخرج لتتنفس، أو لتأخذ قسطاً من الشمس. وبحلول فصل الربيع يحدث انكسار في منصات الجليد، منبر الصيد، وهكذا يغادر الدب المنطقة إلى الشاطئ ليرتاح، ويعلن الصوم عدة أسابيع، أو حتى أشهر، يكون غذاؤه خلالها ذاتياً معتمداً فيه على الدهون المحتجزة في جسمه. إلا أنه في القطب الأوراسي (الأوربي الآسيوي) وفي خليج هدسون الغربي تتسبب حرارة الهواء الربيعي المرتفعة في كسر الجليد قبل أسبوعين من الوقت الذي اعتاد أن ينكسر فيه منذ عقدين من الزمن «على الرغم من أن هذا لا يحدث في القطب الكندي الشرقي، وفي القسم الشمالي والشرقي من خليج هدسون».

راقب فريق من علماء الأحياء خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٨١و١٩٩٨م حالة الدببة القطبية اليافعة، ومستويات الإنجاب لديها، وعمر فطام الرضيع، فقد كان بإمكانهم تطويق بعض الأفراد

بعد تهدئتها، والقيام بوزنها، وتقويمها عند حضورها إلى الشاطئ خلال الصيف بعد ذوبان الجليد. وجدوا أن الظروف التي تأتي بالدببة إلى الشاطئ تسوء بشكل تصاعدي، وأن معدلات التوالد تتناقص بشكل مطرد منذ عقدين حتى الآن. كما لاحظوا أن الدببة الرضع تبقى مع أمهاتها فترة أطول قبل أن تصبح قادرة على الاعتماد على أنفسها. ودببة خليج هدسون هي الوحيدة التي يتمكن أفرادها من الرُضع الاعتماد على أنفسها عندما تبلغ سنة ونصف السنة من العمر، بينما العمر الطبيعي سنتان ونصف.

ومع سوء الحالة البيئية، وعلى امتداد خمسة عشر عاماً، انحدرت نسبة الأفراد التي تنضج باكراً، من ١٠٪ - ٤٠٪، ومن دون المنصة الجليدية يصبح لديها نقص في التراكم الدهني لعدم القدرة على تأمين الغذاء الكافي. وإذا ما استمرت موجة التسخين، فستختفي دببة خليج هدسون الغربي في آخر المطاف؛ إذ لا يمكنها الهجرة شمالاً؛ لأن المنطقة مشغولة أصلاً. ولكن ما مدى الأمن الذي ينعم فيه السكان الشماليون من الدببة في القطب الأوراسي، المكان الذي سجل فيه التغيير المناخي معدله الأعظم في وقتنا الحاضر؟

أسفرت بعض الدراسات عن نتائج مثيرة للقلق، تشير إحداها إلى أن الغطاء الجليدي الذي يحيط بالقطب الشمالي يتناقص بنسبة ٣٪ كل عشر سنوات، بينما تضع دراسة أخرى نسبة أكثر إثارة، وهي ١٤٪ كل عشر سنوات، هذا عدا عن الحقيقة الملموسة من التناقص في معدل ثخانة الجليد فوق المحيط المتجمد الشمالي بنسبة ٤٫٣ قدم منذ عام ١٩٧٦م.

دورة طبيعية أم تأثير إنساني؟

ويستمر العلماء في محاولاتهم لإيجاد جواب عن تساؤل مطروح: هل يقوم البشر باستثارة الوضع حقاً بما ينتجونه من غازات الدفيئة، أم إن الموجة الحالية التي يتعرض لها الجليد من انزياح جديد ومبكر هي ببساطة جزء من دورة طبيعية؟

قد تأتي النوى المستخرجة من صفيحة غرينلاند الجليدية بجزء من الجواب. فقد أظهرت تلك النوى الجليدية انحرافات مهمة في مناخ العصور القديمة، فقد أسفرت الحفريات عن اكتشاف جمجمة لدب قطبي تعود إلى ١١٠٠٠ سنة في كيوغاردنر بالقرب من لندن، بينما توجد الدببة القطبية اليوم في القطب الشمالي وما حوله. وباكتشافات مماثلة، تشير سجلات الصيد والسماكة في غرينلاند، التي تعود إلى قرنين ماضيين، إلى تغيرات ملحوظة في توزع الحيوانات ووفرتها القطبية كل خمسين سنة أو ما يقرب من ذلك. من الواضح أن السبب في ذلك يعود إلى التذبذب في كمية الجليد البحري، أضف إلى ذلك أن التراوحات المناخية من عقد إلى آخر أمر طبيعي؛ وبذلك يكون احتمال تلاشي الجليد في خليج هدسون أمراً طبيعياً محتملاً.

إلا أن مجموعة من العلماء قدموا مؤخراً استنتاجاً يعتمد على نمذجة المناخ عن طريق الحاسوب يقولون فيه: إن نسبة كون التغيرات الملحوظة في الجليد البحري عبر القطب الشمالي قد نتجت من أسباب طبيعية فقط لا تتعدى ٢٪.

كلمة ليست أخيرة

ونتساءل في نهاية المطاف متى يمكن أن تترجم المعاهدات والوعود التي تطرح من أجل بيئة أفضل إلى أعمال؟ هل سيكون ذلك قبل أن نصبح هولندا بلداً تحت بحري أم بعد ذلك، وكذلك بنغلاديش؟ وهل سنشهد أوربا وهي تغرق في برد كندي، وأراضي ميدل ويست الأمريكية الخصبة وهي تتحول إلى صحراء؟

إنها مهارتنا الصناعية التي تمكنا بفضلها، خلال عقد أو عقدين فقط، أن نطبع العالم بأقسى المؤثرات وأشرسها، تلك التي تحتاج إلى قرن من الزمن للتخلص منها. وإذا لم تأت النتائج بالأسوأ، فعلينا أن نعزو ذلك إلى القدرة الإلهية التي جنبتنا تلك الأسوأ، وليس للمحاكمة البشرية الصائبة، فمتى نتعظ؟ وتبقى قدرة الله هي الغالبة دائماً فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ويبقى الإنسان مسؤولاً، والأمانة كبيرة. *إنّا عرضنا الأمانةَ على السموات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أن يحملْنَها وأشفقْنَ منها وحملها الإنسانُ إنّه كان ظلوماً جهولاً*. الأحزاب: ٧٢.

وأنا أقول: أخي الإنسان، لا تقتل نفسك بما تظنه «رفاهية».

مراجع وهوامش

1-SCIENCE. VOL 259. 12 February 1993.
2- Natural History March 2000. Vol 109. No.2.
3- Our Planet - Unep - Vol 10. No4. 1999.
4- Our Planet - Unep - Vol 11. No1. 2000.
5- Time - May, 12 -1997.

- سلسلة ملامح العلوم / مراجعة الدكتور محمد هيثم الخياط ط. ثانية ١٩٨٥م.
- جغرافية القارة القطبية / د. علي موسى - أ. عبد الهادي سعيد.
- الجغرافية القرآنية / فوزي حميد- دار الصفدي ١٩٩٣.

• البيدو : Albedo قياس قدرة السطح على عكس النور.
• المنخربات : حيوانات بحرية دنيا مثقبة الأصداف.

الزنجبيل

اعتراف من العلم الحديث بفوائده!

درويش مصطفى الشافعي
إربد - الأردن



كانت التوابل في الماضي سلعة ثمينة نافست بعض أصنافها الذهب والمعادن النادرة، كما كانت ضمن هدايا الملوك والأثرياء، ويحكى أن بلقيس ملكة سبأ قد أهدت إلى سليمان عليه السلام أصنافًا مختلفة من التوابل. وبهدي من الله استطاعت الشعوب اكتشاف فوائد التوابل واستعمالاتها في صناعة العطور والبخور والأدوية، وفي التحنيط، وفي إضفاء الرائحة والنكهة الطيبة على المأكولات. وقد برع العرب والرومان والإغريق في وصف التوابل واستعمالاتها الكثيرة.

وكان الزنجبيل من بين التوابل التي حظيت باهتمام الشعوب والباحثين سنين كثيرة، وقد ثبتت فوائده الطبية، وسُجِّل في قائمة الأدوية الدستورية.

فما الزنجبيل؟
وما استعمالاته وفوائده الطبية؟

الزنجبيل Ginger نبات معمر من الفصيلة الزنجبيلية Zingiberaceae. وللزنجبيل ريزومات ضخمة Rhi-zomes تتفرع منها عدة سويقات هوائية يصل طولها إلى مئة سم، وأوراق الزنجبيل رمحية، وأزهاره صفراء، لها شفاه أرجوانية. وتستعمل الريزومات وحدها للأغراض الطبية، ولتطييب رائحة الأطعمة ونكهتها.

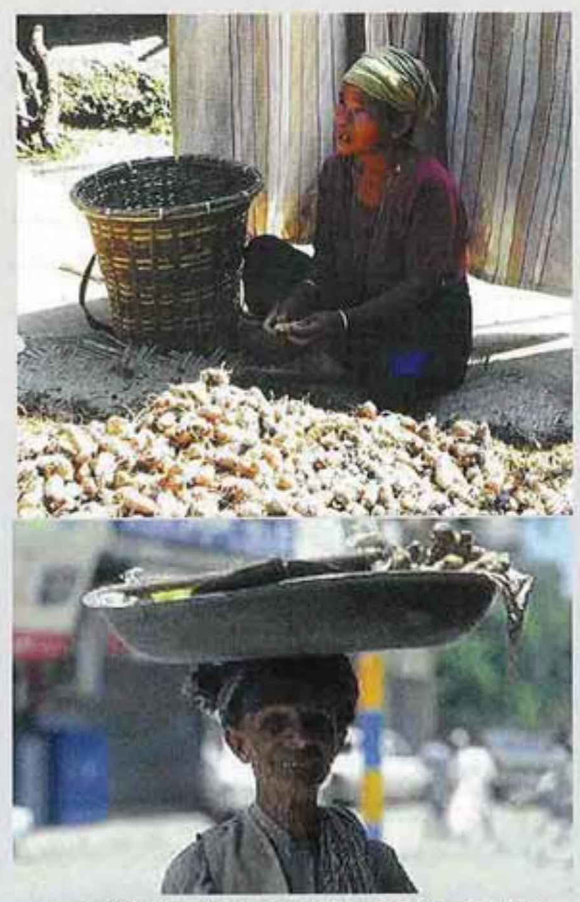
ينمو الزنجبيل بصورة برية في عدد من بلدان آسيا والهند وسيلان والمكسيك والصين، وتُوجد منه عدة أصناف تختلف فيما بينها من حيث طريقة إعدادها وتجهيزها ومصدرها، ويُعد الزنجبيل الهندي المسمى بالكفوف الأكثر شيوعًا واستعمالاً.

المواد الفاعلة

تحتوي ريزومات الزنجبيل على عدة مواد ومركبات طبية فاعلة من أهمها: الجنجرول Gingerol، وهو زيت طيار تفوح منه رائحة الزنجبيل المميزة، ومركب الأوليوريزين Oleoresin وهو أصماغ طرية وزيت طيار، وإليه يعود مذاق الزنجبيل اللاذع، كما يحتوي على السينول، والسترول، واللينالول Linalol، والفيلاندرين، ومواد غروية، وأخرى مرة المذاق تسمى أسارين Asarin، وحمض الخل والزنجرون وغيرها.

تاريخ النبات

عرف الصينيون الزنجبيل وفوائده الطبية منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، واستعملوه لمعالجة الدسنتاريا، والحمّى، والكزاز، والجذام، والروماتزم، ودوار البحر، والغثيان. كما تناولوه مع الأغذية البحرية خصوصًا المحار، وذلك لإبطال مفعول سمومها، كما عالجوا به حالات التسمم الناتجة من تناول الأصناف السامة من عش الغراب، واعتادت النساء في الصين تناوله لتنظيم الدورة الشهرية وتخفيف آلامها. وفي الهند كان الزنجبيل يُستعمل في حالات سوء الهضم، وتنظيف الجسم من السموم. وقد



عرف الصينيون الزنجبيل وفوائده الطبية منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد

برع العرب في وصف الزنجبيل واستعمالاته، فكانوا يمزجونه مع الأشربة لتحسين نكهتها ورائحتها، كما عرفوا فعاليته في تحليل الرياح الباطنية، وفتح الأسداد العارضة في الكبد، وإخراج فضلات الجسم، وتليين الأمعاء، وتقوية عضلات المثانة، وإدرار البول، وتهييج الباءة، ومعالجة لسعة الهوام، وتأخير ظهور أعراض الشيخوخة، وغيرها.

الزنجبيل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

تناول القرآن الكريم عدداً من الثمار والنباتات للفت النظر إلى أهميتها وفوائدها، ومن بينها الزنجبيل الذي جاء ذكره في سورة الإنسان، قال الله تعالى: «*وَيُسْقَوْنَ فيها كأسًا كان مزاجُها زَنْجَبِيلا. عينًا فيها تسمى سلسبيلاً*». **الإنسان:** ١٧و١٨.

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

ملك الروم أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة زنجبيل، فأطعم كل إنسان قطعة، وأطعمني قطعة.

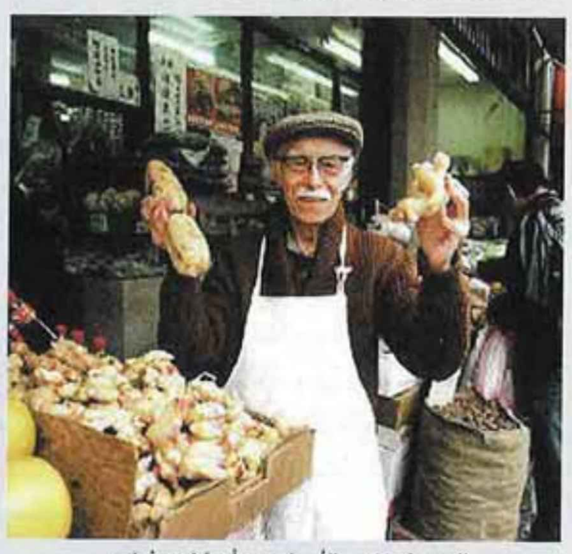
الزنجبيل في الشعر العربي

تناول الشعراء العرب الزنجبيل وفوائده الطبية، فجاء شعرهم معبراً عن أهميته ودوره في حفظ الصحة ومقاومة الأمراض. ومما قاله ابن الأزرق في ذلك:

ومن يشتكي البرد القديم بصلبه
وأوجاعه في كل وقت وساعة
عليه بمثقالين من بعد صحنه
يضاف إليه يا فتى شهد نحلة
كذلك للملسوع يمضغ ناعماً
ويطلى مكان السم يطلى بلطخة
يرى عجباً من سره وفعاله
للدغة ملسوع وإحراق لدغة
ويصرف أرياحاً وقولنج عاجلاً
ويأتي بتفريج وإصلاح معدة
ومن كان من أهل البلادة قلبه
بطيئاً لحفظ الذكر حياً كميت

وهناك أبيات شعرية أخرى كثيرة قالها ابن الأزرق تبين معظم ميزات الزنجبيل وفوائده ولكن لا يتسع المجال لذكرها.

أما عبدالقادر بن شقرون فقد قال:



الزنجبيل يكتسح الأسواق بعد أن شاعت فوائده

اليبس في الفلفل والحرارهْ
في أكله أدوية مختارهْ
تقوية الشهوة للطعام
وقوة الأعصاب في الأجسام
والزنجبيل مثله في طبعه
بل فاقه عند ازدياد نفعه
في خصله الحفظ وبعث الباه
من أجل ذا سُمّيْ عظيم الجاه

يتبين مما سبق أن العرب قد عرفوا فعلاً بهدي من الله ثم بخبرتهم وتجاربهم معظم ميزات الزنجبيل العلاجية وخصائصه.

الفوائد الطبية للزنجبيل

كان الزنجبيل ومازال موضوع بحث ودراسة سنوات كثيرة أكد العلم الحديث صحة ما عرفه القدماء عن فوائد الزنجبيل الطبية، وهنا لابد من ذكر بعض خبرات اليابانيين في التداوي بالزنجبيل ومعارفهم.

اعتاد اليابانيون منذ زمن بعيد تناول المأكولات المحتوية على الثوم والزنجبيل، وشرب الحليب مع الزنجبيل، وقد بينت الأبحاث أن لهاتين العادتين فوائد صحية كبيرة، فالحليب مع الزنجبيل يُلين البطن بلطف، ويقاوم الإمساك، ويقوي جدران الأوردة ويمنع ارتخاءها وتمددها مما يُقلل أخطار الإصابة بالبواسير وتشكل دوالي الساقين Varicose Vein، كما يقلل حموضة المعدة، ويساعد على جلب النوم الهادئ.

أما تناول الثوم والزنجبيل في الأطعمة فإنه يزيد كفاءة الغدة الكظرية ويحفزها إلى إفراز الكورتيزون، وهذا الهرمون يؤدي دوراً في عملية التحول الغذائي، وتنظيم عمل جهاز المناعة المتخصص بمقاومة الخلايا السرطانية والفيروسات. ولعل من أهم الأمراض التي يعالجها الزنجبيل أو يقي منها ما يأتي:

الغثيان ودوار البحر Nausia

يعاني كثير من الناس بدرجات مختلفة من الغثيان ودوار البحر ودوار السفر أو دوار الحركة، وتتمثل أعراض هذا المرض بإفراز اللعاب، وتسارع دقات القلب، والتقيؤ، ويرتبط هذا المرض بمراكز عصبية


الزنجبيل البري

دماغية تسمى مراكز التقيؤ، وتقاسي السيدات بشدة وخاصة في وقت الحمل من الغثيان إلى درجة تهدد حياة أجنتهن، وقد وجد أطباء في أستراليا والدانمارك أن إعطاء المسافرين والحوامل حبوباً تحتوي على ٢٥٠ ملغ من فيتامين B6، وكبسولات تحتوي على ١٦٠ملغ من الزنجبيل، بواقع ثلاث مرات يومياً يقضي تماماً على هذه الأعراض المزعجة دون أن يحدث ذلك أعراضاً جانبية للأم أو الجنين.

أمراض الجهاز الهضمي واضطراباته

يُفيد تناول منقوع الزنجبيل في معالجة انتفاخ المعدة والأمعاء المتسبب عن البرد أو تناول الأطعمة الدسمة، ويعود السبب في ذلك إلى أن الزنجبيل يُحفز الغدد الهضمية في المعدة والأمعاء إلى إفراز الأنزيمات الضرورية لعملية الهضم، كما يدر إفراز الصفراء المسؤولة عن هضم المواد الدهنية، وقد تبين أن المواظبة على تناول منقوع الزنجبيل يقي من الإصابة بالتهاب الكبد الوبائي، ويفتح السدد في أوردة الكبد وشرايينه، ويسكن ألم القولون العصبي والتقرحي.

وبينت دراسة حديثة أن تناول الزنجبيل مع شراب عرق السوس Licorice يعالج قرحة المعدة وقرحة الاثني عشر، فالزنجبيل يقوي الغشاء المبطن للمعدة، ويثبط نمو الجراثيم المسماة H.Pylori التي تسبب التهاب القرحة، وتمنع التئامها.

أما السوس فيعمل على تقليل إفرازات المعدة الحمضية، ويشجع على تكاثر الخلايا حول القرحة.

أمراض الجهاز الدوري

اتضح من تجارب الطب الشعبي والأبحاث العلمية أن الزنجبيل يقلل من مستوى كولسترول الدم، ويذيب المترسب منه على جدران الأوعية الدموية، ويحول دون تجمُع الصفائح الدموية، وتشكُل الخثرات أو الجلطات، ونتيجة لذلك تظل الأوعية الدموية مرنة وسالكة لتأمين وصول الأوكسجين والغذاء إلى عضلات الجسم المختلفة، خصوصاً عضلة القلب.


الزنجبيل وفوائد طبية لا تحصى

أمراض الجهاز التنفسي

يفيد شرب منقوع الزنجبيل الساخن في طرد البلغم من المسالك التنفسية، وتخفيف حدة السعال، وتثبيط نمو الجراثيم المسببة للالتهابات، وإضافة إلى ذلك ينشط الزنجبيل إفراز اللعاب، ويخفف آلام الحلق؛ ولهذا فقد

جرى تركيب أدوية مضادة للسعال والالتهابات الصدرية تعتمد أساساً على الزنجبيل.

أمراض الجهاز العصبي

يخفف الزنجبيل آثار الضغط النفسي على الجهاز العصبي، ويزيد في قدرته على تحمل الصدمات والإجهاد الذهني؛ وذلك لأن الزنجبيل يحُث على إفراز هرمون الأندروفين Endrophins والسروتنين Serotonin وغيرهما، وهي تعطي شعوراً بالراحة النفسية، والاطمئنان.

أمراض الجهاز التناسلي والبولي

تلجأ السيدات في الصين واليابان إلى شرب منقوع الزنجبيل قبيل موعد الدورة الشهرية وخلالها؛ وذلك لتخفيف الآلام الناتجة منها، وتنظيم مواعيده، ويُعتقد أن بعض مركبات الزنجبيل تعمل على تنشيط إفراز المبيضين لهرمون الأستروجين والبروجسترون وتحقيق التوازن بينهما.

وقد وجد الباحثون أن الزنجبيل يزيل جميع الأعراض المزعجة الناتجة من انقطاع الدورة الشهرية Meno-pause.

ويعد الزنجبيل مدراً خفيفاً للبول، ومذيباً للحصوات، ومنشطاً لإفراز الهرمونات الذكرية. وجديرٌ بالذكر أن عدداً من مصانع الأدوية قد قامت بتعبئة مسحوق الزنجبيل في كبسولات سعة ٦٠٠ ملغ لتسهيل تناوله واستعماله من قبل السيدات.

القيمة الغذائية للزنجبيل

تحتوي ريزومات الزنجبيل على مقادير كبيرة من فيتامين (ج) المضاد للأكسدة Antioxi-dant ومرض الحفر، كما يحتوي على كميات متوسطة من البروتين والعناصر المعدنية، مثل الفوسفور، والكالسيوم، والحديد، والبوتاسيوم، والمغنيزيوم.



كبسولات الزنجبيل

طرائق استعمال الزنجبيل

يتوافر الزنجبيل في الأسواق بثلاثة أشكال هي الريزومات الغضة، والريزومات الجافة المطحونة، والريزومات الجافة الكاملة التي تستعمل على نطاق ضيق. أما الزنجبيل الغض والزنجبيل المطحون فيدخلان في تحضير كثير من الأطباق والأشربة لإكسابها رائحة زكية ومذاقاً طيباً. ولكن عند استعمال الزنجبيل للأغراض العلاجية تُقطع خمسة غرامات من ريزومات الزنجبيل، وتُنقع في ربع لتر من الماء بدرجة الغليان مدة ربع ساعة. وفي حالة استعمال الريزومات المطحونة تنقع ملعقتان من الزنجبيل المطحون في ربع لتر من الماء بدرجة الغليان مدة خمس دقائق. يؤخذ من المنقوع من ٢ ـ ٣ كؤوس يومياً.

ومما يستحق التنويه هنا ضرورة حفظ مسحوق الزنجبيل في وعاء محكم الإغلاق لحفظ زيوته الطيارة وقيمته الطبيّة التي تضعف عادة بعد مرور عامين.

بقي القول: إن الإنسان من أهل هذا العصر أحوج إلى الصحة التامة من أي وقت مضى، إذ عليه أن يتحمَّل ويقاوم أمراض هذا العصر وضغوطه، ولن يتحقق له ما يريد إلا بالعودة إلى ينابيع الصحة والشباب التي اكتشفها أجدادنا، ونهلوا منها، فعاشوا سني شبابهم وشيخوختهم وهم يتمتعون بالصحة.

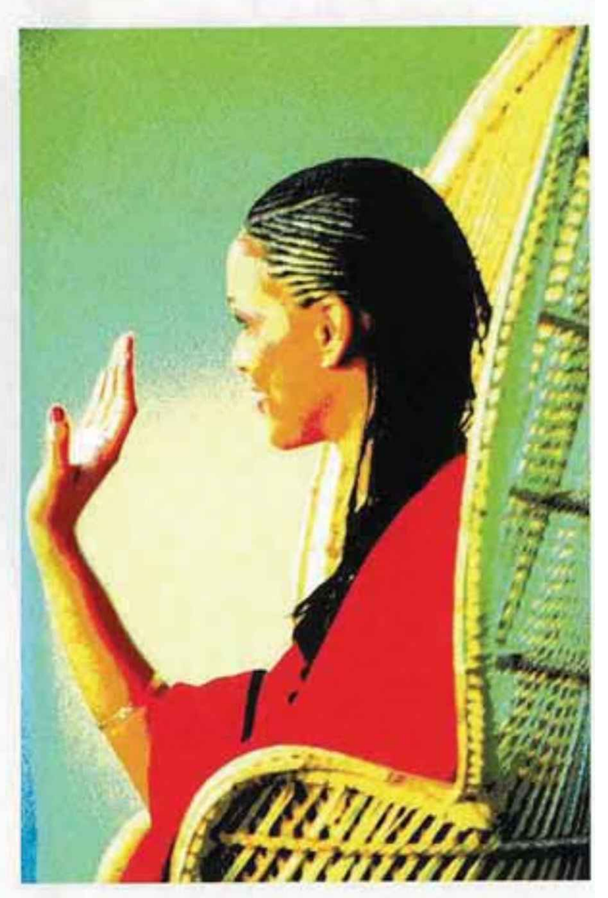
المراجع

١. أعمدة الصحة السبعة ـ كيف تقوي جهازك المناعي. د. أيمن الحسيني ١٩٩٨م. مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.
٢. الطب النبوي ـ ابن قيِّم الجوزية. إعداد المكتب العالمي للبحوث ١٩٨٨م. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت ـ لبنان.
3-A modern Herbal. MRS. M. Grieve. 1982 Dover Publications, Inc. New york.
4- Global Herb Manual. Zeke Fortisevn 1990 Global Health Ltd. Canada.
5- Internet Sites.



حورية

يوسف وغليسي بن سعيد
قسنطينة - الجزائر



حـــوريةٌ.. في جنان الخُلْد مـــوطـنُهـــا
هرَّبتُـهـا، ناسـخًـا في فـيـضـهـا وطني
حـوريـةٌ.. في خـريف الحبِّ أَلْمـحُـهـا
عــصـــفــورةً للمنى غنَّت على فَنَني
لكنهـا أشْـعلت في الروح فِـتْنَتَـهـا
وســـافـرتْ حُلُمًــا في منتـــهى الزمن
«منْ علَّمَ الخَوْدَ ضَـرْبًا» بالعـيـون ومن
يُعلِّمُ القلبَ صــدَّ الضـــربِ والوسَنِ؟!
حـملتُـهـــا في دمي ســرًا وهَسـهـسـةً
ياما حـملتُ.. وكان الوَجْد يفضـحني!!
أهديتُـــهـــا مُـــهَـجَ العـــشّـاق كلِّهمِ
وقلّدتني وســـامَ «العـــاشق اللَّدُنـي»!
يا أنت! أنت الهوى و«الطُّورُ» في سفري
ليت الهـوى كـــان.. أو يا ليت لم أكنِ!..

مرايا الكائنات

أحمد الخطيب
إربد - الأردن

شَبَهٌ للناس

في رحلةِ إمكانٍ
كنتُ أنزِلُ مائدتي
وأقوّسُ شمسَ الكلماتِ
لأنزلَ من عَصَبِ الشعرِ
أساقطُ من يَحْمومٍ نُزُلاً
يتراءى كالكوكبِ حين أنامُ

طفحتْ مرآةُ الشعرِ بمائي
حين تعدّى قرنُ الشمسِ
بيوتًا لم تسكنْ من قبلُ، ولكن
شُبِّهَ للناسِ
بأني كنتُ هناك.

نصوص منتخبة

أسابيعَ كنتُ أنقّبُ عن ثوبها المرمريِّ الجميلْ
أسابيعَ كنتُ أرى كلَّ شيءٍ هنا واضحًا بالدليلْ
وكنتُ أرسمُ نفسي على سيفها
ثم أشطبُ ما قد يُعطّلُ هذا الصليلْ
أسابيعَ لا فضّةٌ في مرايا نهاري
ولا غايةٌ في منامي القليلْ
سوى أن أراها بأوضحِ ثوبٍ
وأبيضَ شفَّ عن السلسبيلْ.

مسرح

المسرحُ مُعتِمٌ
وتُضاءُ جوانبُهُ بالشعرْ
وحياديًا كان الرائي
حين أتى قرويٌّ في ثوبِ قصيدتِهِ
وأقامَ النصَّ.

زيارة

وذهبتُ بعيدًا
ألعبُ
لا حجلاً
أو قبرًا يتهجّى زائرتي
حين أصوغُ على مَهَلٍ موتي
مبتعدًا عن باديةِ الريحِ
لا أرضًا لأرى
جسدًا
تتعقّبُهُ الروحُ.

مختلف جداً

المقنع الكندي*

يُعاتِبُني في الدَّيْنِ قومي، وإنما
دُيوني في أشياءَ تُكسِبُهم حَمْدا

أسُدُّ به ما قد أخلُّوا وضيَّعوا
ثُغورَ حقوقٍ ما أطاقوا لها سَدّا(١)

وفي جَفْنَةٍ ما يُغْلَقُ البابُ دونها
مُكَلَّلَةٍ لحماً مُدَفَّقَةٍ ثَرْدا(٢)

وفي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتيقٍ جعلتُه
حِجاباً لبيتي ثم أخْدَمْتُه عَبْدا(٣)

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمّي لَمُختلِفٌ جِدّا(٤):

فإن أكلوا لحمي وفَرْتُ لحومَهمْ
وإن هدموا مجدي بَنَيْتُ لهم مَجْدا(٥)

وإن ضيَّعوا غَيْبي حَفِظْتُ غُيوبَهم،
وإن هُمْ هَوَوْا غَيّي هَوِيتُ لهم رُشْدا(٦).

وإن زَجَروا طيراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بي
زَجَرْتُ لهم طيراً تَمُرُّ بهم سَعْدا(٧).

ولا أحمِلُ الحِقْدَ القديمَ عليهمُ
وليس رئيسُ القوم مَنْ يحملُ الحِقْدا.

لهم جُلُّ مالي إنْ تتابعَ لي غِنًى
وإن قلَّ مالي لم أكلِّفْهُمْ رِفْدا(٨).

وإني لعبدُ الضيفِ ما دام نازلاً،
وما شيمةٌ لي غيرَها تُشْبِهُ العَبْدا.



الهوامش

* هو محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر من بني كندة من عرب الجنوب. ولُقب «المقنّع»، لأنه كان طوال الدهر مقنّعاً (البهان والتبيين) فكان إذا سفر (كشف عن وجهه) لُقع - أي أصابته أعين الناس - فيمرض ويلحقه عنتٌ (أذىً وضررٌ)، فكان لا يمشي إلا مقنّعاً.

نشأ المقنع الكندي في بيت وجاهة وسيادة، ولكنه كان (كثير السخاء)، سمح اليد بماله لا يردّ سائلاً عن شيء، حتى أتلف كلّ ما خلّفه أبوه من مال، فاستعلاه بنو عمه بأموالهم وجاههم. ثم إن المقنّع أحبّ ابنة عمه (بنت عمرو بن أبي شمر) فخطبها من إخوتها فرفضوا أن يزوجوه إياها وعيّروه بفقره وإسرافه وبالديون التي كانت عليه.

لا نعلم من زمن المقنع الكندي إلا أنه كان من شعراء الدولة الأموية، وأنه كان ينظم الشعر قبل أيام عبدالملك بن مروان، ولعله أدرك عهد الملك.

وهو شاعر مقلّ محسن مجيد فصيح اللفظ متين السبك. فنونه الحماسة والفخر والغزل والحكمة.

١. أخلّ بمكانه من الثغر: ترك أو أهمل الدفاع عن الموقع الحربي الذي عُهِد (بضم العين وكسر الهاء) به إليه.

ضيّع الثغر: انهزم منه فاستولى عليه العدو. ضيّع بعض قومي ببخلهم أو بفقرهم عدداً من حقوق القبيلة، أو أوشكوا أن يضيّعوها، فاضطررت أنا إلى أن أستدين (راجع البيت السابق) حتى أحافظ عليها. ما أطاقوا لها سدّاً: ما استطاعوا هم أن يحافظوا عليها.

٢. (واستدنت المال أيضاً) حتى أطبخ في جفنة (وعاء واسع) تملأ البيت حتى لا تستطيع إغلاق بابه، وحتى أملأ هذه الجفنة باللحم والثرد (الخبز).

٣. نهد: عالٍ. عتيق: أصيل كريم جيد. جعلته حجاباً لبيتي: اتخذته في سبيل الدفاع عن بيتي (بيت قومي، قبيلتي).

٤. ولكن معاملتي لبني أبي (إخوتي) وبني عمي مختلفة جداً عن معاملتهم لي.

٥. أكلوا لحمي: اغتابوني وقالوا عليّ سوءاً قبيحاً.

٦. ضيّعوا غيبي: ذمّوني وأنا غير حاضر، أو سمعوا أحداً يذكرني بسوء فلم يدافعوا عني. هوِي (بفتح الهاء وكسر الواو) يهوَى (بفتح الياء والواو): أحبّ. الغيّ: الضلال والخسران والضرر. الرشد: الهداية والنجاح والنفع.

٧. زجروا طيراً بنحس تمر بي: تمنّوا (بفتح النون المشددة) لي الشر.

٨. ما دمت غنياً فأنا أعطيهم من مالي، وإن افتقرت يوماً لم أطلب منهم رفداً (عطاء ومالاً).

مفتاح واحد فقط

محمد صلاح العزب
القاهرة - مصر

لبيتنا بوابة حديدية كبيرة سوداء.. معلق بها من أعلى جنزير صدئ غليظ.. في طرفه قفل نحاسي ضخم جداً.

أبي يقول: إنه يكره هذا القفل لأنه لا يمكن كسره.

أتعجب.. هل يريد أبي ذلك حقًا؟

لو وضع جدي يده على كتفك بحنان، مكلمًا إياك بصوت ودود لضربتك الزلازل من داخلك.

كلنا نخافه.. ربما يزعق في مرة فينهار البيت على رؤوسنا.

البيت يتكون من طابقين.. في الأرضي يسكن جدي بمفرده.. في العلوي نقطن نحن.

أبي يضرب من لا يمشي على الأرض هونًا، فربما ضايقت الخطوات الثقيلة النائم، وأحدٌ لا يعلم ماذا يمكن أن يحدث عندها؟.

مفتاح واحد فقط لبوابة البيت يعلّقه جدي بحبل رفيع في رقبته.

تلحّ أمي دائمًا على أبي في أن يطلب منه نسخة من المفتاح.. لا تكف إلا عندما يقول لها..

- إن جرؤت فاطلبيه أنت.

في المرات القليلة التي سرت فيها معه يقبض جدي على يدي المرتعشة بقوة.. كلما مررنا على قوم يرفع يده.. أجدهم ينتفضون مهرولين لتحيته.. أنكمش داخل نفسي.

مباشرة بعد صلاة العشاء ينام وقد أغلق البوابة.

يفاخر بأن لصًا لم يقرب البيت أبدًا حتى قبل تركيب البوابة.

(حتى اللصوص يخافون؟).

كأنما يقرأ رأسي، يردف مضيّقًا إحدى عينيه.. ضاغطًا على الحروف.. أنه مع ذلك فالبوابة تعني الكثير من الأشياء التي لم يذكر أيًا منها ولم أجرؤ - بالطبع - على سؤاله عنها.

قبل الجميع يستيقظ.. فأنت تصحو في أي وقت وتنزل لتجده قد فتح البوابة.

حكايات رهيبة يرويها أبي عنه.. أمام المرآة أتساءل عن سر الشعيرات البيضاء في رأسي.

كم تمنيت لو أستطيع التأخر بالخارج كبقية أصدقائي..

أبي لا يمانع لكنها البوابة. نقوش صغيرة على البوابة بهيئة وجوه يبالغ جدي في تلميعها.. كلما رآها أخي الأصغر بكى.

زارني أصدقائي من الكلية.. أعجبهم شكل البوابة لكنهم تألموا بشدة لواحد قد ارتطم رأسه بها.

مهرولاً يأتي أبي من المسجد بعد العشاء حتى يلحق بجدي قبل أن ينام وإلا اضطر للبقاء في الشارع حتى الصباح كما يردد دائماً.

باختناق تبكي أمي.. تجاوزنا منتصف الليل.. أبي يدّعي النوم.. أيقظته.

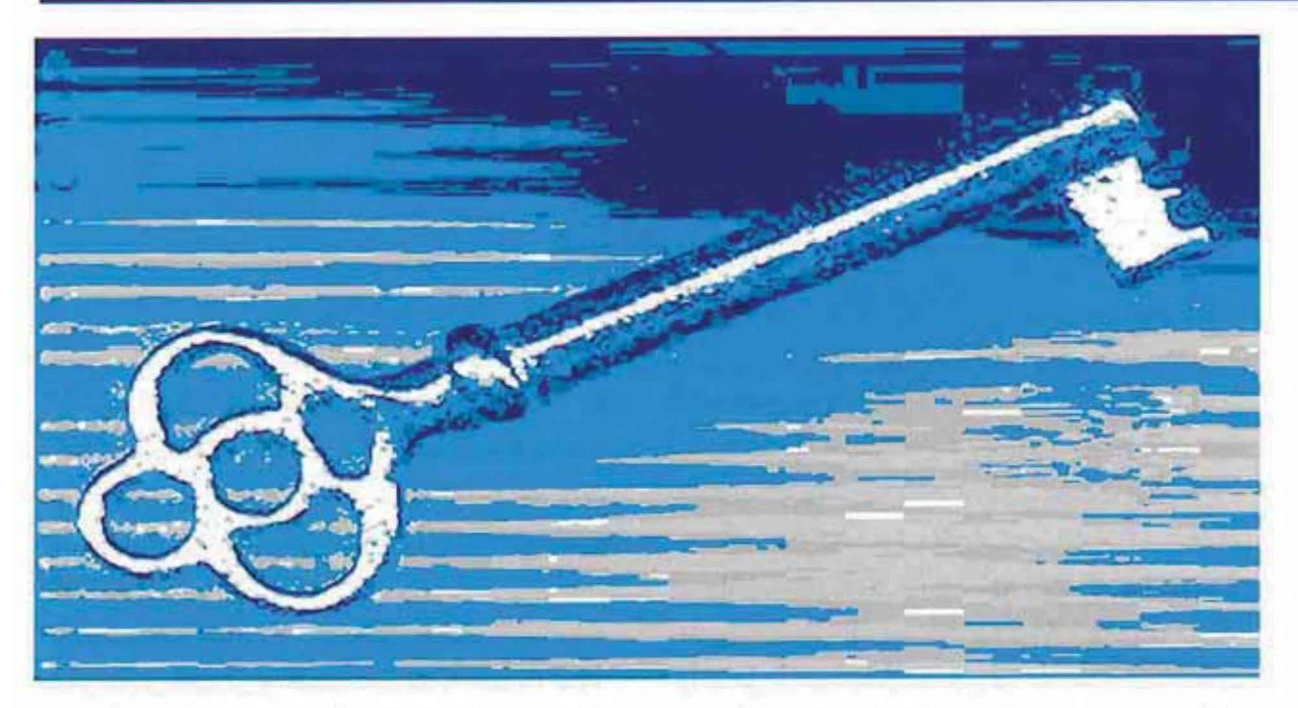
حينما وضع ظهر يده على جبهة أخي الأصغر المشتعلة كاد يبكي.

في توتر.. لحظناه جميعًا يذرع الشقة من أولها إلى آخرها.. أخي الأوسط مع أمي يتوسلان إليه.. كأنما يحاول زحزحة جبل يصرخ..

- لا أقدر.. لا أستطيع إيقاظه.. لا أقدر.

كمن أخذ قرارًا أو عثر على شيء وقف فجأة..

- بالضبط.. ندلي السلم الخشبي من الخارج وننزل عليه.



وأسرع بإحضار السلم الخشبي الذي لم يصل إلى نصف المسافة.

أكثر من مرض أخي.. بكاء أمي.. آلمني موقف أبي.

في حزم قلت لهم..

- سأنزل وأطلب منه المفتاح.

خرجت من باب شقتنا.. الجو بارد.. مظلم.. يحمل رائحة الرهبة.. نزلت درجتين..

(هل أعود؟.. سأنتظر حتى الصباح.. لن يحدث شيء لو انتظرنا).

يلسعني وجه أخي المشتعل.. أنفض رأسي بقوة.. لم أشعر إلا وقد نزلت الدرج كله.

باب شقة جدي مغلق.. أمامه وقفت طويلاً.. من خلال بئر السلم.. أبي.. أمي..

أخي الأوسط ينظرون في صمت.. أمي باكية لا تزال.. أطرافي باردة..

(كيف سأواجهه؟.. ماذا لو...؟.. لا أستطيع.. سأرجع).

دمعة من عين أمي سقطت داخل عيني المتطلعة إلى أعلى.

مددت يدي.. بخوف أطرق الباب.. لا رد.. بحسم أطرق.. بقوة أطرق.. بتمرد أطرق.

كلما طرقت يتحطم الخوف.. الرهبة.. التردد.. القيد.

نسيت مرض أخي.. بكاء أمي.. البوابة.. جدي.

فقط أطرق فأشعر أنني.. أكبر.. أتمدد. أصير عملاقًا.. ماردًا.

أحالت طرقاتي الليل الساكن نهارًا.

من أعلى بدؤوا يشجعونني.. نزلوا عدة درجات.. درجات أخرى.. كلهم إلى جواري.. كلنا نطرق.. جدي لا يفتح.. لا يفتح.

مشيت نحو البوابة.. الجنزير معلق بالقفل في جانب واحد منها.

- هل انكمش هذا القفل؟

قالها أبي.

مددت يدي نحو البوابة.. أجذبها.. مطيعة.. صاغرة.. ذليلة.. مسرعة انفتحت.. ذهلنا.. تعجبنا.. مشدوهين تبادلنا النظرات.

في ريبة تساءل أخي..

- هل نسيها جدي؟.. أم كانت مفتوحة دومًا؟!!

أشباح من القمر

شمة الكواري
قطر - الدوحة

الساعة العاشرة مساءً، فراش الطفل حمدان:
تقلب حمدان مراراً وتكراراً، ثم نطق وسط ظلمة حجرته:
- هل يجب أن أذهب إلى المدرسة غداً؟ ربما من الأفضل أن أسأل أمي.
كانت والدته جالسة خلف طاولة الطعام، أمامها مجموعة من الأوراق والكتب، شعرت به، نظرت نحوه من بين أصابع كفها التي تغطي عينيها، لا بد سيسأل السؤال ذاته للمرة المئة.
افترب ببطء، وهو يهمس بلهجة طفولية: ماما....
كان والده يقلب القنوات، حيث يجلس أمام التلفاز، وحينما سمع صوت ابنه التفت نحوه وابتسم لحظة، فابتسمت هي ابتسامة عريضة، ورفعت يدها عن وجهها لتشجعه على السؤال المئة.
- نعم يا حبيبي.
- هل.. هل يجب أن أذهب إلى المدرسة غداً؟.
تطلعت نحو السقف ثم لملمت أوراقها وكتبها، تظاهرت بالتفكير لحظة، ثم قررت:
- أظن نعم، يجب أن تذهب.
سأل بسرعة وبلا تردد بلهجته الطفولية:
أذهب معك!
- سأذهب معك.
- ولكنك أخبرتني أنك أنهيت المدرسة، وصرت تعملين دكتورة في الجامعة...
- لقد أخذت إجازة من الجامعة لأذهب معك، وأتعرف إلى مدرساتك..
- ولماذا لا يأخذ أبي أيضاً إجازة ونذهب كلنا معاً، مثلما نذهب للحديقة والملاهي أو البرّ.
- كتم الوالد ضحكته، وكذا الأم، وتصنعت الهدوء، ثم قالت ببطء:
- إنها فكرة ممتازة.. لكن مدرستك نموذجية، أي معلماتك نساء، فلا يستطيع أبوك أن يذهب، ثم إن المدرسة للعلم والدراسة، وليست للنزهة، كالحديقة والملاهي أو البر، والآن عد إلى فراشك فقد تأخرت كثيراً.
- وأنت يا ماما؟
- سأذهب معك.
- تطوع الأب واقفاً، بعد أن أغلق التلفاز.
- أكملي شغلك، سآخذ أنا حمدان إلى فراشه، وسنتحدث معاً عن المدرسة.
- حمل ابنه محتضناً إياه، ثم اختفيا في الممر.

سنة أقبلت .... سنة أدبرت
صباح أهلّ .... ليلٌ ولّى
أول يوم مدرسي لحمدان

ارتدى حمدان الثوب الجديد، وانتعل نعليه، وغطى رأسه بجحفية مزركشة جميلة، ووضع حقيبته خلف ظهره.
كان يرجع دائماً بنظره نحو أمه، وهو يتطلع ببراءة نحو الطلاب الجدد والقدامى، والمدرسات، والمديرة، والجدران الجميلة، واللافتات الكثيرة، وصور الرسوم المتحركة المعلقة في كل مكان. بدا كل شيء جميلاً، المهم أن أمه بقربه، وابتسامتها لا تفارقها.
تعرّف إلى فصله، نظر نحو من يجلس بجانبه، تغيرت ملامحه قليلاً، واتجه نحو أمه مصراً على أن تجلس هي بقربه، فقامت والدته بعد الاستئذان من المعلمة، ونقلت كرسيها إلى جواره من الخلف، حيث مجموعة من

الأمهات جالسات، فسرت الطمأنينة إليه.

أسبوع آخر مضى، تحملت أمه خلاله الكثير حتى اعتاد الذهاب إلى المدرسة، بل أحب ذلك، فأصبح يستيقظ بنفسه، ويسرع للإفطار ثم الباص، فسعدت لحاله. ومضى فصل دراسي، وجاء آخر.

تغير حال حمدان، ما عاد يريد النوم، فبعد الليل صباح، وفي الصباح مدرسة، وفي المدرسة معلمة جديدة تضربه كثيراً، اسمها أبلة سهام.

حدثت أم حمدان نفسها:

- لربما هو ضـــعـــيـف، ومن الواجب أن أهتم برفع مستواه.

ازداد حال حمدان سوءاً، فاتجهت والدته لتحدث المعلمة، وبعدها سكت حمدان، ما عاد يشتكي، سكوته لا يرافقه إلا البكاء، ونظرات خائفة متربصة، تحذر أشياء مرعبة، ونفس ترتجف لأدنى صوت.

همست في أذن زوجها ذات مساء:

- لا أدري ما الذي يجري مع حمدان؟ إنه لا يشتكي، لكنه دائماً خائف.. خائف كثيراً.. صار لا يأكل جيداً.. يخاف من كلّ شيء، وأيّ شيء، حتى القمر يظن أن فيه أشباحاً، وأن الشمس هي الجحيم..

لم تكمل حتى فتح باب الصالة فجأة وركض حمدان نحوهما صارخاً:

- لا أستطيع النوم في حجرتي.. هناك أشباح.. أشباح كثيرة.

احتضنه والده ليطمئنه، وأخذ يهدّئ من روعه، حتى توقف عن البكاء، واستسلم للنوم على صدر والده:

- لقد حدث شيء مع حمدان، ولن يخبرنا به إلا إذا شعر بالطمأنينة.

بعد ثلاثة أيام:

حديقة الحيوان، حمدان يلعب وبقية الأطفال على المراجيح، بينما جلس والداه يتطلعان نحوه ويتحدثان:

- لا أصدق!

- لقد هدّدته إذا اشتكى عليها مرة أخرى أن تبعث له الأشباح من القمر لتأكله، وأن تلقيه في جحيم الشمس.

- لذلك كان خائفاً، ورفض أن يقول أي شيء.. يجب أن أجد حلاً.

- سننقل حمدان إلى مدرسة جديدة.

- يجب أن أجد حلاً جذرياً لهذه المسألة.

المدرسة، حجرة المعلمات.

رفعت إحدى المعلمات الصحيفة.

- مسكينة سهام وقعت تحت نيران أم مثقفة، من يصدق دكتورة جامعية في الطب النفسي، تقول:

واجهت وقتاً عصيباً حتى جعلت ولدي يحب المدرسة، ثم ترعبه المعلمة خريجة المعهد التربوي بالخرافات، اقرؤوا فقط العنوان الرئيسي: أشباح القمر والرسالة التربوية.

معلمة ثانية:

- لا أعتقد أن سهام مسكينة، بل مخطئة، وكان من الواجب أن تحسن معاملة الطلاب، خاصة في تلك السن الصغيرة.. ست سنوات، فهم غير قادرين على التمييز بين الحقيقة والخيال المرعب.

قالت معلمة ثالثة:

- لقد واجهت وقتاً صعباً مع ابنتي لتذهب إلى المدرسة؛ لأن معلمتها كانت تضربها لأتفه الأسباب، فكيف هي إذن.. بصراحة لا ألومها.

ردت المعلمة الأولى:

- ولكن ألا تعتقدين أنه كان من الأفضل أن تحل المسألة بينها وبين سهام، بدلاً من أن تقدم شكوى إلى الوزارة حتى يعملوا لجنة تحقيق، ثم تكتب مقالات، وتقيم ندوات حول الموضوع.

فقالت المعلمة الثالثة بحزم ووضوح:

- لقد كتبت تقول: إنها مسألة تربوية بحتة، وليست شخصية، وبصراحة أنا معها في كل ما تفعله، أبناؤنا ليسوا تجارب للتخويف والإرهاب.

عادت المعلمة الأولى إلى الصحيفة مرة أخرى، وصارت تقرأ بعض الفقرات بصوت عال.

همست الثانية للثالثة:

- ربما لو كانت أماً لفهمت أكثر!

حكاية الكلب

جيوفاني جواريشي

ترجمة: محمد الصالح عزيز

الساحلين - تونس

انتشرت حكاية الكلب بين قرى أعالي النهر انتشار النّار في الهشيم، وصارت حديث المجالس والنوادي، يروونها وفرائصهم ترتعد من الخوف، وصار الكلب بطل أحلام الصغار والكبار.. ابتدأت الحكاية أول الأمر في قرية «ستوبي» حيث بدأ الناس يحكون لمدة أشهر أن كلباً يرسل عند بداية كل مساء نباحاً كأنه عواء ذئب.. إلاّ أن أحداً لم يتوصّل إلى رؤيته، حتى حسبها بعضهم محض تخيلات لرجل لعبت برأسه الخمر.. ثم تحوّل الخبر إلى أسفل الوادي، وأخذ الناس هناك يحكون أنّ كلباً يعوي الليل كله على حافة السدّ الذي يُطلّ على «بروتشياتا»، وصار الأمر جدّياً، ولم يعد تخيلات سكارى.. ثمّ انتقل بعدها إلى قرية «روكا»، حتى إذا وصلتها أوّل صيحة، قفز القرويون من أسرّتهم يبلل العرق البارد أجسامهم وترتعد فرائصهم.. عاد صياح الكلب في الليلة التالية، وصار هذه المرّة يشبه نواح إنسان فَقَدَ عزيزاً عليه.. عاد القرويون إلى أسرّتهم وقلوبهم ترتجف، يحاولون النوم فلا يسعفهم، واستمرت الحال أياماً، وبدا أنها لن تنتهي، فقرر الأهالي الخروج للبحث عن الكلب الذي نشر الرعب بينهم وأقضّ مضاجعهم.. أخذ الرّجال بنادقهم، وراحوا يبحثون حول ضفاف السدّ، يطلقون النار على كل شيء يتحرك أمام أعينهم، وعلى كل الأحراج التي يخشون الاقتراب منها، ولكنهم لم يعثروا على شيء.. عاد العويل في الليلة ذاتها، ولم تُجد المحاولة الثانية والثالثة شيئاً، لأن الرعب سيطر على قلوب الجميع حتى أثناء النهار.. ذهبت النساء إلى دون كاميلو خوري القرية يتوسّلن إليه أن يبارك ماء النهر فرفض، لأن الأمر يُعالج بالبحث عن الكلب لا بمباركة الماء.. علّقت البنت كارولينا خطيبة سميلزا:

- ككلكم تخافون في الفاتيكان كما في خارجه!!

أخذ الخوري عصا غليظة من حديقته، واتجه صوب السدّ تتبعه النسوة على بعد مسافة قصيرة.. فتّش ضفاف السد كلها، ضرب بعصاه يمنة ويسرة.. غمغم:

- لا شيء هناك.. اسمعوا!! إذا كان نباح الكلب يقلقكم، فما عليكم إلا أن تسدّوا آذانكم بقليل من القطن لكي تنعموا بالليل مثلي.. النوم يحتاج إلى ضمائر مطمئنة، ولكن المصيبة أن قليلاً منكم يملكون ضمائر مطمئنة.. تعالوا باستمرار إلى الكنيسة وستشفون من خوفكم!!.

أرادت البنت كارولينا أن تحتجّ، ولكن صوتها ضاع وسط الصياح عندما رمى «دون كاميلو» رأسها بعصاه..

جاء الليل وتجدّد العواء.. دون كاميلو سمعه هو أيضاً فلم يستطع النوم على الرغم من أن ضميره مطمئن.. قال له بيبون رئيس البلدية وزعيم الشيوعيين:

- علمتُ أنك ذهبت إلى ضفاف السدّ تبحث عن الكلب.. ذهبتُ أنا أيضاً، ولكن لم ألاحظ شيئاً..

قال دون كاميلو:

- إذا كان الكلب يعوي بالليل قرب السدّ، فمعنى ذلك أنّ هناك كلباً في مكان ما قرب السدّ..

- ما العمل إذن؟

- من يرد العثور على الكلب، فعليه أن يبحث عنه بالليل لا بالنهار..

- ومن سيذهب بالليل؟ الكلّ خائفون كأن الشيطان حلّ فيهم..

- حتى أنت يا بيبون!!

تردّد بيبون قبل أن يردّ عليه:

- وأنت يا دون كاميلو؟

مشيا معاً خطوات. توقف دون كاميلو

ـ لو وجدت أحداً يتطوع للذهاب معي لفعلت.
ـ أنا أيضاً.. أنا أيضاً سأذهب لو رافقني أحدهم.. ولكن من الصعب أن أجد هذا الرفيق.
ـ أجل! أجل!
مرّت لحظات من الارتباك، ثم رفع بيبون يديه عازماً:
ـ إذن نلتقي هذا المساء بعد الساعة التاسعة!!
التقى الاثنان بعد التاسعة، وشقّا طريقهما وسط أشجار العنب، وقلبُ كل منهما يخفق بعنف.. تمركزا عند أحد الأدغال، وجهّز كل منهما بندقيته.. ساد الغابة



صمت عميق، ثم بان القمر من تحت السحب وأضاء المكان المخيف.. فجأة انطلق عُواء طويل جمّد قلبي الرجلين.
إنّه قادم من النهر.. غادر بيبون والخوري مكانهما بحذر وحيطة كبيرين، وتمركزا وراء خندق.. تجدّد النواح، وكان واضحاً أنه قادم من أكمة قصب تمتد تحت الماء، بانت تحت ضوء القمر بقعة سوداء.. حدّقا ببصرهما فرأيا ظلا يتحرك.. صوّب كل منهما بندقيته، وحالما تجدّد العويل أطلقا النّار فتوقف العويل، وتبعه أنين متقطّع.. زال الخوف عن الرجلين.. ققزا من مخبئهما..
خلع دون كاميلو ثوبه الكهنوتي ودخل الماء مصحوباً برفيقه بيبون، وجدا وسط أكمة القصب كلباً أسود مجروحاً.. أشعل بيبون قنديله، فبصبص الكلب بذيله وأخذ يلحس يده.. أنزل بيبون بندقيته بعد أن كان عازماً على ضرب رأسه..
ـ لقد أصبته في رجله يا دون كاميلو!!
ـ لقد أصبناه معاً إن كان هذا لا يقلقك!!
أمسك بيبون بالكلب من قلادة في عنقه، وجذبه إلى حافة النهر، فأبصر تحته كيساً كالذي نراه عند الجنود، منعته أعواد القصب من المرور مع الماء.. فتح بيبون الكيس ونظر إلى ما فيه، فامتقع لونه ونظر إلى رفيقه..
ـ حكاية مثل غيرها من الحكايات يا صديقي بيبون.. قتل أحدهم صاحبه، ثم رمى به في النهر بعد أن وضعه في الكيس.. وكان مع المقتول كلب، ارتمى معه في الماء وأخذ يتبع الكيس الذي كان الماء يحمله إلى مهبط النهر.. توقف الكيس مدة بين أعواد القصب أمام «ستوبي» يختبئ الكلب في أثناء النهار أو يبحث عن طعامه، ويعود في الليل إلى جانب سيّده.. الله وحده أعلم منذُ كم يومٍ وهو يعوي، ولكن لا يُسمع عواؤه إلا إذا توقف قرب القرية.
طأطأ بيبون رأسه:
ـ ولكن، لماذا لا يعوي إلاّ بالليل؟ ولماذا يعوي بهذا الشكل؟
ـ حتى يوقظ الضمائر النائمة، فأصوات الكلاب لا تسمع إلا بالليل.. رفع الكلب رأسه.. قال الخوري بصوت مرتفع:
ـ إنّه الضمير!!
فأجابه الكلب بأنّة عميقة..
لا أحد عرف من يكون الرجل المقتول؛ لأنّ الزمن والماء شوّها ملامحه، ولكن ها هو ذا أخيراً يحلّ بأرض مباركة بعد رحلة طويلة..
مات الكلب، فدفنه دون كاميلو وبيبون في حفر ة عميقة ليستريح في أمن وسلام.. ولكن أهل القرى والبلدان المجاورة للنهر مازالوا يسمعون نواح الكلب، وسيسمعونه طوال حياتهم ما لم تستيقظ ضمائرهم.

الدكتور إبراهيم السعافين:

وضع النقد في مواجهة الإبداع ظلم لهما

حوار: نايف الظيط
قسم التحرير


إبراهيم السعافين

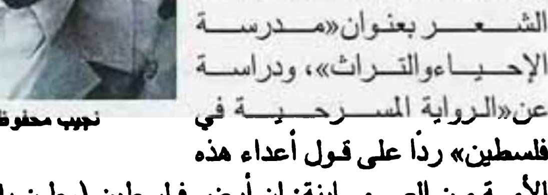
أصبح لفن الرواية اليوم موقعه البارز في الخارطة الإبداعية، واستطاع المبدعون العرب في هذا الميدان أن يحققوا نجاحاً واضحاً، حتى استحق أحدهم وهو الروائي نجيب محفوظ أن ينال جائزة نوبل العالمية للأدب في عام ١٩٨٨م، وتواكب مع تطور فن الرواية تطورٌ مماثل في النقد المصاحب له، مما ساهم في إغناء هذا الفن، وكان نيل الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب ١٤٢١هـ مناصفة مع الأستاذ الدكتور منصور الحازمي اعترافًا بما للنقد من أثر في تطور الحركة الأدبية، وفي هذا الحوار نقف على كثير من آراء الناقد الدكتور السعافين حول الرواية والنقد والثقافة بشكل عام.

ـ ما البعد الذي تضيفه الجائزة إلى المبدع؟ وما أثر الجوائز في الحركة الثقافية؟

* أعتقد أن الجوائز قد تضيف وقد لا تضيف، فالقضية فردية تتعلق بالمبدع نفسه، أما فيما يتصل بي شخصياً، فإنني أراها تقديراً وتكريماً لجهود الإنسان، وأفترض أن فوزي بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب سوف يحفزني إلى بذل المزيد، وتلقي الجائزة عليّ مسؤوليات كبيرة، وحين أكتب وأفكر في مشروع فلا بد أن أطور نفسي، ولا أكتفي بما هو يسير، فالجائزة تجعل الإنسان يستشعر تبعات كبيرة، لذلك عليّ أن أراجع كل كلمة أقولها، وفي تصوري أن الجوائز مهمة للحركة الثقافية والإبداعية والعلمية، فهي تشير إلى أن هناك من يهتم ويقدر هذا الإنسان المبدع الذي يحتاج في الغالب إلى من يقدره ويعترف بجهوده، فالجائزة تمثل فئة محدودة، وهذه الفئة تمثل الأمة، وما دامت هذه الهيئات تتوجه إليك بالتكريم، فعليك أن تقوم باستجابة مماثلة، وتقول لهؤلاء الناس: شكراً، وشكرك لهم هو أن تضاعف الجهد، وتخلص النية لتقديم ما هو أفضل.

ـ ما سبب اتجاهك إلى نقد الرواية بالذات؟

• أستطيع أن أقول: إنني كتبت في دروب الأدب العربي والثقافة العربية بشكل عام، وركزت في الرواية، فأول كتاب كتبته كان عن الشعر بعنوان «مدرسة الإحياء والتراث»، ودراسة عن «الرواية المسرحية في فلسطين» رداً على قول أعداء هذه الأمة من الصهاينة: إن أرض فلسطين (وطن بلا شعب)، والكتاب الثالث كان يتجه اتجاهاً آخر، فهو يتحدث عن «عناصر سردية أثرت في مقامات البديع»، وكتبت عن «المسرحية العربية الحديثة والتراث»، ثم «الأقنعة والمرايا»، و«الرواية العربية وتحولات السرد في الرسائل»، فليس هناك تفسير محدد لهذا الاتجاه سوى أن الرواية يدور حولها جدل شديد، واختلافات بين الدارسين الذين يتجهون اتجاهاً غالباً يقول: إنها مستنبتة، ولا علاقة لها بالتراث السردي، ولاننسى أن الرواية تجمع الفنون جميعها مثل الرسم، والسينما، والموسيقى، فهي تتحدث في مجالات لا يتحدث عنها الشعر، مثل القضايا السياسية والفكرية والاجتماعية.



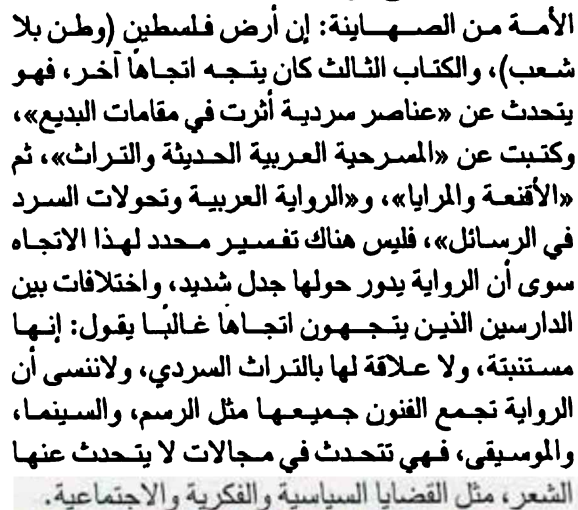
نجيب محفوظ



إدوارد سعيد

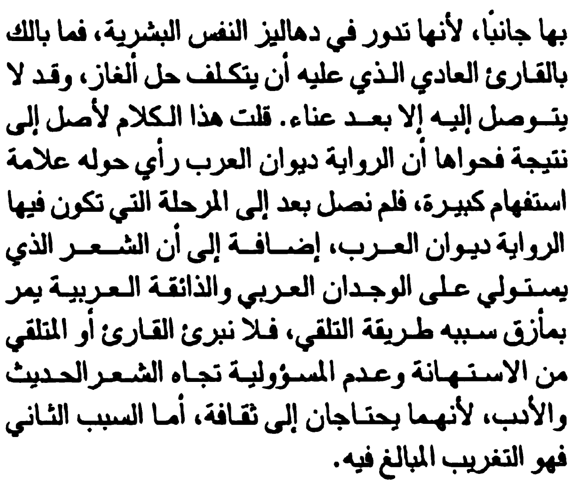
أمين معلوف

ـ هل يعني ذلك أن الرواية أصبحت ديوان العرب؟ ولماذا تراجع دور الشعر أمام الرواية؟



• لا أستطيع أن أؤكد هذه المقولة التي أطلقها أحد النقاد العرب، فهذا الكلام يحتاج إلى دراسة وعمليات إحصائية تأخذ عينات من الناس وتسألهم: هل الرواية ديوان العرب؟، وفي ظني أن هذه المقولة ليست دقيقة، فإذا سألت الطلاب في الجامعة هل تقرؤون الرواية؟ فيجيب بعضهم بأنه لم يقرأ رواية واحدة في حياته، وبعض الروائيين العرب قد لا يبيع من رواياته طوال خمس سنوات أكثر من خمسمئة نسخة، وعلى العكس نجد بعض الشعراء المشاهير يعيش من سن قلمه، وهناك قضية مهمة في هذا المجال هي ما يقدمه المبدع للقارئ؛ فكثير من الأعمال التي تنتج صعب أن يفهمها القارئ، وقد سمعت أشخاصاً متقدمين في مجال النقد يقولون: إنهم يقرؤون الصفحات العشر الأولى من الرواية ويلقون بها جانباً، لأنها تدور في دهاليز النفس البشرية، فما بالك بالقارئ العادي الذي عليه أن يتكلف حل ألغاز، وقد لا يتوصل إليه إلا بعد عناء. قلت هذا الكلام لأصل إلى نتيجة فحواها أن الرواية ديوان العرب رأي حوله علامة استفهام كبيرة، فلم نصل بعد إلى المرحلة التي تكون فيها الرواية ديوان العرب، إضافة إلى أن الشعر الذي يستولي على الوجدان العربي والذائقة العربية يمر بمأزق سببه طريقة التلقي، فلا نبرئ القارئ أو المتلقي من الاستهانة وعدم المسؤولية تجاه الشعر الحديث والأدب، لأنهما يحتاجان إلى ثقافة، أما السبب الثاني فهو التغريب المبالغ فيه.

ـ توظيف التراث متى يكون إبداعاً، ومتى يكون سرقة أدبية؟



• مفهوم السرقة الأدبية حوله خلاف بين النقاد العرب القدامى، فبعضهم رفض مفهوم السرقة، مثل عبدالقاهر الجرجاني، لكن إذا كان هدف الكاتب أن يخفي ما يأتي به من التراث، بمعنى أنه يظن أنه نص لا يعرفه القارئ، ويقدمه له على هذا الأساس، فهذه سرقة أدبية، لكن إذا قدم الكاتب النص بصورة من الصور، وفي نيته أن هذا النص يعرفه القارئ، فهذه ليست سرقة، فيمكن التفريق بين تعاملين مع التراث : إحياء التراث بمعنى إعادة إنتاجه، مع إضافة بعض مايراه الكاتب مناسباً فمثلاً: ما فعله أبو خليل القباني في قصة «الأمير غانم بن أيوب والجارية قوت القلوب»، فالكاتب لم يغير شيئاً، فالحبكة والفكرة لا جديد فيهما، أما فاروق خورشيد في مسرحية «على جناح التبريز وتابعه قفة» فقد أخذ بعض الحكايات، وحاول استنطاق مفهوم جديد، وهو ما لم تقله

القصة الحقيقية الموجودة في «ألف ليلة وليلة»، كذلك الأمر عند نجيب محفوظ الذي تعامل مع قصة «ألف ليلة وليلة» في روايته «ليالي الألف ليلة» اعتمد على الحكايات الموجودة في القصة الأصلية، لكنه وظفها توظيفاً جديداً إضافة إلى بنائها، وكذلك جمال الغيطاني في روايته «زيني بركات» التي اعتمد فيها على مقاطع كثيرة من تاريخ بني ياس، ولكن الفكرة التي انطلق منها الغيطاني هي تصوير المجتمع المصري المعاصر مقارناً بمجتمع بني ياس، ولم يكن هدفه أن يصور لنا حياة بني ياس في عصر المماليك بقدر ما أراد أن يلقي الضوء على الحياة المعاصرة، من غير أن يتعسف في قراءة الماضي، فهناك عناصر مشتركة بين الماضي والحاضر، فما على الأديب إلا أن يتأمل علاقات الناس الاجتماعية في الماضي، ويجد المشترك مع الحاضر، وهذا الكلام ينطبق على أعمال سعدالله ونوس في



عبدالله الغذامي

مسرحية «منمنمات تاريخية»، حيث قرأ تاريخ المماليك في فترة غزو التتار، واستند إلى الحقيقة التاريخية، ولم يقف عندها طويلاً، إنما أراد أن يقرأ التاريخ قراءة جديدة، ولم يقف عند بعض الأحداث، لكن مخيلة الروائي استطاعت أن تبني عالماً جديداً، حتى شخصية المفكر ابن خلدون رآها ونوس من خلال زاوية أخرى ليست الصورة التي نعرفها عن ابن خلدون، وإنما قرأها قراءة خاصة به، إذاً هذه الأعمال توظف التراث توظيفاً خلاقاً، والصور التي ذكرتها سابقاً هي أن تأتي بحكايات، وتقدم لها تفسيراً جديداً، وهذا يقع فيما: سمي بـ«التناص»، بمعنى أن هذا النص الجديد يستدعي نصاً قديماً، ويخرجه من سياقه إلى سياق آخر متجدد، ويطلقه في فضاء النص الجديد، مما يساعد على فتح قنوات وفضاءات جديدة .

ـ تحويل العمل الروائي إلى فيلم سينمائي هل هو في مصلحة الرواية المكتوبة؟

* يعتمد هذا على طبيعة العمل، لكن من خلال الواقع، نجد كثيراً من الروائيين يشكّون في أن الفيلم أو المسلسل يبتعد بدرجة أو بأخرى عن طبيعة العمل المكتوب، لماذا؟ لأن الفيلم قراءة جديدة للعمل الروائي، فالمخرج قارئ، والنص هو أحد عناصر الفيلم، وغالباً ما تطغى العناصر الأخرى على المادة المكتوبة، وقد نجد مخرجاً يهتم بالصورة، ويجعل الكلام محدوداً، وقد يهتم بالموسيقى، وقد يهتم بعنصر التمثيل، حتى وصفُ المكان يفقد الكلمة جزءاً من بريقها، فكيف يكون الأمر إذا قدمنا بديلاً لتحليل الشخصية والحوار المعمق؟ فهذه القضية تختلف من مخرج إلى آخر، فبعضهم لا يتمتع بالذكاء العميق لفهم الأعمال الروائية، وبعضهم يكون أقرب إلى فهم العمل، وبعضهم قد يتشاور مع الكاتب، لكن في مجمل الأمر ثمة خسارة ليست بالقليلة تقع على الرواية المكتوبة.

ـ العجز عن الإبداع يقود إلى ممارسة النقد (مقولة تتردد) .ما رأيكم فيها؟ وما دور النقد في إغناء الإبداع؟

* تذكرني هذه المقولة بمقولة: «الناقد مبدع فاشل»، وبعض المبدعين العرب يقولونها علناً مثل حنا مينه يقول: «مع الأسف إن النقد لم يضف إليّ شيئاً»، وهذا كلام فيه مبالغة، فلولا أن النقد شحذ همته لما استطاع حنا مينه ولا نجيب محفوظ أن يصبحا بهذه المكانة، وأذكر أن نجيب محفوظ قال: «لم يلتفت إلى أعمالي في البدايه إلا شخصان هما: سيد قطب، وأنور المعداوي». وهذا الاهتمام يجعل الناقد واسطة بين القارئ وأعمال الروائي، فالناقد الحقيقي في رأيي ليس بعيداً عن دائرة الإبداع، فهو يحتاج إلى عدة كبيرة، ليست سهلة، وثقافة عالية، وأن يكون محترقاً بجمرة الإبداع، فليس كل من أمسك بالقلم أصبح ناقداً، ولا كل من أمسك بالقلم أصبح روائياً، فوضع النقد في مواجهة الإبداع ظلم لهما معاً .

فمن أهم الروائيين الإنجليز إي.إم فورستر، وهو من أهم الذين كتبوا في نقد الرواية، وكذلك الشاعر الكبير إليوت كان ناقداً، وكولريدج من أهم شعراء الرومانسية الإنجليز، ومن أهم من كتب في الخيال.

فالناقد يجب أن يكون في خدمة الإبداع، ولا يوجه نقده لهدم المبدعين، أوتهشيم الأعمال الروائية، فهو في النهاية مفسر ومحلل ومستشرف، ويستطيع أن ينظر نظرة شمولية، ويربطها بالماضي ثم يستشرف المستقبل، وينبه إلى خطورة مايجري، كما ينبه القارئ تحليلُ الأعمال الإبداعية وتفسيرها.

- قال الغذامي: إن النقد الأدبي غير ذي جدوى. ومن ثم كان انتقاله إلى النقد الثقافي. إلى أي حد توافقه في الرأي؟ وما الفارق بين هذين النوعين من النقد؟

• في رأيي الشخصي لا يوجد فرق بين هذين النوعين، فالنقد الثقافي جزء من النقد الأدبي واتجاه جديد، ويبدو أن الغذامي يغير أدواته النقدية فهذا من حقه، فهو حين كتب كتابه «الخطيئة والتكفير..من البنيوية إلى التشريحية»، حاول أن يطبق نصوص البنيوية والتفكيكية على نصوص الشاعر حمزة شحاته، التي قد لا تستجيب لمثل هذا التطبيق، فالغذامي من الذين أغنوا الساحة النقدية في العالم العربي، وله رؤيته الذكية، وفي انتقاله إلى النقد الثقافي متابعة للآخرين، فالنقد الثقافي جزء من تفسير النص الأدبي في ضوء حركتنا الأدبية، فهو حوار مع من سبق، وليس إحياءً للنقد السياقي، وجاء ليعيد الاعتبار إلى النقد السياقي لكن دون التخلي عن النص، وهذا إنجاز بحد ذاته، وما ينادي به الغذامي نادى به النقاد الغربيون أمثال ريموند وليمز، وإدوارد سعيد، وميشيل فوكو، وأنا أميل إلى النقد الثقافي الآن؛ لأنه الأفضل، فهو يضع الأمور في سياقها الأقرب إلى واقعنا العربي، فنحن بحاجة إلى رسالة، وألا نحصر أنفسنا في (شفرة) غير قابلة للحل.

- يزداد الحديث عن العولمة وتأثيراتها، كيف ترون هذه التأثيرات في العمل الإبداعي؟

• أنا أرى أن العولمة جزءٌ في سياق من الانبهار بما هو متشكل في العالم الآخر، وكأن الأشياء تولد فجأة، ولا بد أن يتبناها الناس بشكل سريع؛ إذا كان المقصود بالعولمة التأثر بالآخر؛ فهذا موجود منذ أن وجدت الحضارة الإنسانية، لكن مفهوم العولمة الحالي ليس ثقافياً بالدرجة الأولى، قد يكون مفهوماً سياسياً في المقام الأول، واقتصادياً بالدرجة الثانية. فالولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كانا يمثلان مرحلة استقطاب سياسي واقتصادي، وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي أصبحت أمريكا هي القطب الأوحد، وهي التي طرحت فكرة العولمة بوصف العالم قرية صغيرة، ولم يعد هناك فوارق، حتى إن المحللين تنبؤوا بضعف الحكومات المركزية، بمعنى أن وسائل الاتصال الجديدة تؤثر في الإنسان في كل مكان في العالم، فتصبح هذه العوامل مشتركة لصياغة وجدان الناس، لكن في الناحية الفعلية يشكو العالم كله من انفراد قطب «واحد» أصبح هو المرسل، أما المتلقي فالعالم كله، وأصبح التنميط في العالم كله حتى في المأكل والملبس .

فالعولمة لا تعني أنه قد اختفى التمايز بين الناس والمعتقدات، فالتعصب لايزال موجوداً وكذلك الحروب والتآمر، والفقير يزداد فقراً والغني يزداد غنى، فالعولمة تقتضي أن يسعى الناس جميعاً إلى حل مشكلاتهم




حنا مينه

القائمة في سبيل وحدة إنسانية تعترف بالتنوع في إطار الوحدة، ولا تؤمن بالمراكز التي هي أمريكا وأوربا، وماعداهما أطراف وهوامش، فاليونيسكو تكافح منذ فترة للاعتراف بالثقافات المهمشة، فثقافة الزنوج ليست أقل من ثقافة الأنجلوسكسون .

فالعولمة لها بعدٌ هو الإقصاء بدلاً من التوّحد والاحترام، وفي هذا الإطار نتصور أن العولمة لها مخاطر وتحديات؛ لكن لانستطيع أن نقول: «أوسعتُهم سبّاً وأوْدوا بالإبل»، فهجاء العولمة لا يجدي شيئاً، إنما علينا أن نعد العدة اللازمة لمواجهة هذا التحدي، وننتبه إلى أن هناك هجمة ثقافية وحضارية، ونحن نمتلك عناصر القوة، فعندنا رصيد وافر لكنه مدفون في الرمال؛ وأقصد بذلك رصيدنا الثقافي، وهو مهم كي نتحاور مع القادم من الشمال ،

فالتحدي مفروض علينا، ويجب أن نقبله ليس بدفن رؤوسنا في الرمال، ولابتجاهله وشتمه .

- هل يصنف الإنتاج الأدبي للروائيين العرب بلغات أجنبية ضمن الموروث الثقافي العربي أم إنه ينتمي إلى اللغة التي كتب بها؟ وهل يحقق هذا الإبداع باللغات الأجنبية انتشار الفكر العربي وتقديم الثقافة العربية ؟

• من الصعب أن ننسبه بشكل جازم إلى إحدى الثقافتين، لا شك أن بعض الكتاب يكتبون من خلال واقع، وهم يذوبون في الواقع الحضاري للأمة التي يعيشون فيها. وهناك كتاب عرب يكتبون بالفرنسية، ويصعب أن نضعهم ضمن دائرة الثقافة العربية، كما أن هناك كتاباً يكتبون باللغات الأجنبية، ولكن كتاباتهم تظل ضمن سياق حضارة أمتهم، فمثلاً: أمين معلوف، نجد أعماله الروائية تطرح قضايا أساسية تتعلق بأمته، فهو مهموم بهمومها، كذلك الباكستاني طارق علي الذي يكتب من منطلق حضاري، فروايته «بلاد الرمان» التي ترجمتها، والتي يصور فيها مأزق الحضارة الإسلامية في الأندلس، وسقوط غرناطة من خلال تركيزه في الضحك، توضح رؤيته للعلاقة بين الغرب والمسلمين في الماضي،وهو يتأمل الواقع الحضاري للأمة، فالكتاب العرب أوالمسلمون يختلفون باختلاف انتماءاتهم ومدى ذوبانهم، ولكن كثيرين لا يزالون يحتفظون بروح حضارتهم الأساسية وهمومها .

- هل بالإمكان شرح أبرز الاتجاهات الروائية العالمية المعاصرة، أوتعريفها؟ومن هم أبرز قادة هذه التيارات أوالاتجاهات؟

• يمكن أن نضع الاتجاهات الروائية العالمية في اتجاهين :

اتجاه الرواية التقليدية، ومنها الرواية الواقعية التي سادت وشكلت وجدان الروائيين في العالم كله، وهناك مجموعة من الواقعيات مثل الواقعية الطبيعية، والواقعية النقدية، والواقعية الاشتراكية، وهذه الأعمال تتجه نحو قراءة الواقع، وفي الغالب كل الروائيين يتناولون شخصيات من الواقع والحياة، ويتصورون أن هناك فكرة وثوقية يقينية يجب تحقيقها أمثال: تشارلز ديكنز، وبلزاك في أوربا، أما الواقعية الاشتراكية فيمثلها دستويفسكي، وتولستوي، وتشيخوف، وشولخوف، ومكسيم غوركي، وفي أمريكا أمثال: همنغواي، وهيرمان مليفيل، وفي أمريكا الجنوبية نجد الواقعية السحرية عند ماركيز الذي وظف الرواية توظيفاً فنياً، بحسبان أن في الواقع ما قد يكون أغرب مما نجده في الغريب العجيب .


سعدالله ونوس

فيما بعد جاءت حركات حداثية تجريبية امتدت حتى الآن، اتجهت إلى التحليل النفسي أمثال: جويس ، وفوكنر، وفرجينيا وولف، ثم جاءت اتجاهات أخرى في الرواية الجديدة أمثال: نتاليا ساروت، وجالييه.

إذاً، الرواية مرت بمراحل بدءاً بالواقعية، ثم امتدت للاهتمام بعالم النفس الداخلي والأشياء الأخرى، ومازال التجريب قائماً، كذلك الرواية العربية مرت بالمراحل نفسها التي مرت بها الرواية الغربية .

- هل التيار التقليدي يعيش أزمة أوحرباً مع المصطلح الجديد أياً كان نوعه مثل وقوفه ضد (الرمزية، البنيوية، الحداثة) بغض النظر عن مدى فهمه الدقيق للتيارات التي تقف خلف هذه المصطلحات، بمعنى أنه في حالة حرب مع عنوان النص دون مرجعية نقدية تسوغ ذلك؟

• أتفق معك على هذا المفهوم، فحقيقة هناك ناس يعادون مصطلحات واتجاهات دون أن يعرفوا ماهيتها وحقيقتها، ولا يعني ذلك أن ما يأتي في هذه الاتجاهات يمكن الاتفاق على ما فيها. وليست الحداثة وجهاً واحداً، ونستطيع أن نقول: إن الحداثة حداثات، وهي ملك للجميع، ويستطيع أي أنسان أن يجد له حداثة.

فالحداثة عملية شائكة ومعقدة، ولابد أن نعرف ثلاثة مصطلحات أساسية لكي نفهم الحداثة: - الحداثة التاريخية وهي التي جاءت أواخر القرن التاسع عشرلتشكل عدم مسايرة التقاليد الواقعية في الإبداع، ومنظروها هم : في العلوم الطبيعية (نيوتن)، وفي العلوم الحيوية البيولوجية (داروين)، وفرويد في علم التحليل النفسي واكتشاف عالم الوعي الذي كان له تأثير هائل في الأدب، ومن بعده تلامذته ومنهم يونج، وأدلر اللذان اكتشفا عالم اللاوعي الذي يرى أن المعرفة الإنسانية ليست معرفة العقل الظاهر فقط، إنما هناك معرفة للعقل الباطن.

السعافين في سطور

- ولد في الفالوجة بفلسطين سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.
- نال الدكتوراه في الأدب الحديث، جامعة القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- عمل أستاذًا للأدب العربي في كثير من الجامعات منها : جامعة اليرموك بالأردن، وجامعة تنسي بالولايات المتحدة الأمريكية، والجامعة الأردنية. ويعمل حاليًا في جامعة الشارقة.
- أشرف على عدد من أطروحات الماجستير والدكتوراه.
- له كثير من المؤلفات منها: «مدرسة الإحياء والتراث»، و«تطورات الرواية العربية في بلاد الشام ١٨٧٠-١٩٦٧م»، و«نشأة الرواية والمسرحية في فلسطين حتى عام ١٩٤٨م»، و«جمال الغيطاني والتراث، وأصول المقامات، والرواية في الأردن»، و«الأقنعة والمرايا»، و«في محراب المعرفة».
- نال درع مهرجان جرش للثقافة والفنون (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي لعام ١٤٢١هـ؛ وذلك مناصفة مع الدكتور منصور الحازمي، وكان موضوع الجائزة (الدراسات التي تناولت فنون النثر الأدبي الحديث).
- عضو رابطة الكتاب الأردنيين، وعضو مؤسس في الهيئة التأسيسة للاتحاد العربي لباحثي الأدب الشعبي في بغداد، وعضو الرابطة العربية للأدب المقارن، وعضو مراسل للأكاديمية الهندية للعلوم، ورئيس جمعية النقاد الأردنيين.

- حداثة MODERNY: ففي كل زمان تكون هناك عناصر حداثية، ونستطيع أن نقول عن أبي تمام: إنه يمثل حداثة بالنسبة إلى عصره وهكذا فالحداثة نسبية، وكل إنسان يمكن أن يعيش حداثته من خلال مقاييس وعناصر قد لا يتفق عليها الجميع .

- حداثة تعنى بتحديث المجتمع من جميع النواحي، مثل مجتمع يقوم على الرعي والفلاحة البسيطة، ووسائل إنتاج غير معقدة، ثم يأتي مجتمع يقوم على التصنيع. إذًا الحداثة لها أشكال مختلفة، ولها مفاهيم مختلفة وأيضاً نسبية.

أما بالنسبة إلى إشكالية المصطلح فهناك أشخاص يعادون مصطلحاً معيناً لتوهمهم أن له مدلولاً معيناً، فالرمزية قد تستخدمها جميع الاتجاهات وكل الأفكار، فعلينا دائما ألا ننتقد أونهاجم، بل ينبغي أن نعرف، وبعد ذلك يحق للإنسان أن يتخذ الموقف الذي يراه مناسبًا، لكن على بصيرة ! .

- كيف تصبح الثقافة العربية ثقافة عالمية ؟

* في ظني أن الثقافة العربية ثقافة عالمية، فمنذ القدم والثقافة العربية فاعلة في حياة الناس، ولها عناصرها الجوهرية والإنسانية، ومازالت فيها كل العناصر القابلة للامتداد والحياة والتأثير في الآخر، فما كتبه الجاحظ، وأبوحيان التوحيدي، وأشعار أبي الطيب المتنبي، وإنجازات المفكرين والبلاغيين والفلاسفة والأدباء دليل على أن الثقافة العربية أثرت في الثقافة العالمية، وعلى سبيل المثال: قصة الإسراء والمعراج أثرت تأثيراً كبيراً في علم من أعلام الثقافة الغربية، وهو (دانتي)، وكذلك السير الشعبية والمقامات وقصص«ألف ليلة وليلة»، و«كليلة ودمنة» أثرت بشكل واضح في الشاعر الفرنسي (لافونتين). ولا أستطيع أن أقول: متى تصبح الثقافة العربية ثقافة عالمية؟ لكن القضية كيف يمكن أن نجعل الآخرين يعيدون اكتشاف الثقافة العربية؟ فهذه مهمة المسؤولين عن الثقافة العربية، وخاصة وزارات الثقافة؛ فالدول العربية تنفق على أشياء استهلاكية وقشرية أضعاف أضعاف ما تنفقه على الثقافة، مع أن فائدتها أهم بكثير وأجدى من أشياء تضيع هباء، وبعض الوزارات تخصص النزر اليسير للثقافة بينما تصرف الكثير على الأشياء الهامشية، بل إن بعضهم يتندر على الثقافة والمثقفين.

ميخائيل ليرمنتوف وروايته «بطل عصرنا»

هاشم حمادي
دمشق - سورية

ثمة كثير من القواسم المشتركة التي تجمع بين مؤسسَي الأدب الروسي الجديد ألكسندر بوشكين، وميخائيل ليرمنتوف، فكلاهما عاش وأبدع في النصف الأول من القرن التاسع عشر (قرن الوفرة) في ميدان الأدب والفن، وكلاهما تعرض للاضطهاد والنفي، ثم اغتيل في مبارزة مُبَيَّتة، كان للبلاط القيصري يدٌ فيها، وكلاهما عاش حياة قصيرة، لكنها غنيةٌ بالأحداث الجسام على المستوى الشخصي وعلى المستوى الوطني على السواء، وكلاهما رَفَدَ الأدب، على الرغم من قِصَرِ حياته، بكمٍ كبير من الأعمال الشعرية والنثرية، في شتى ضروب الأدب: من القصيدة الرومانسية، والقصة الشعرية إلى المسرحية والرواية، وكلاهما نشأ وترعرع في أحضان المذهب الرومانسي، ثم انتقل إلى التصوير الواقعي للحياة، وهذا ما يتجلى بكل وضوح في رواية الأول الشعرية «يفجيني أونيفن»، والثاني «بطل عصرنا»، وعن هذه الرواية وكاتبها يأتي هذا المقال.

ذكاء وتحرر

ولد ميخائيل ليرمنتوف في موسكو عام ١٨١٤م، وبعد وفاة أمه، ولما يبلغ الثالثة من العمر، وجد نفسه يعيش في كنف جدته لأمه، التي أوصت له بثروة طائلة، على ألا يتدخل والده في تربيته. وهكذا عاش ليرمنتوف محروماً من حنان الأم ورعاية الأب. ولقد حاولت جدته التي كانت تحبه على طريقتها الخاصة، أن توفر له التربية الأرستقراطية، والتعليم الرفيع، وقد ساعدها على ذلك موهبة الشاعر الكبيرة وذكاؤه، فقد أتقن الفرنسية والإنجليزية والألمانية، وتعمق في دراسة التاريخ والفلسفة والأدب والفن، وخلال دراسته في البانسيون والجامعة كتب زهاء ٣٠٠ قصيدة وملحمة وعمل درامي.

لكن أفكار الشاعر التحررية جَرَّتْ عليه كثيراً من المشكلات، فقد نُقل من جامعة موسكو إلى جامعة بطرسبورج، فوجد نفسه طالباً في الكلية الحربية، فضابطاً في فوج الهوسار، في ضواحي العاصمة، غير أنه لم يمكث هنا طويلاً. فبعد قصيدته المعروفة «موت

الشاعر»، التي كتبها في رثاء بوشكين، والتي أثارت عليه نقمة القيصر ورجالات البلاط، صدرت الأوامر بنقله إلى القوقاز، أو بالأحرى بنفيه إلى هناك.

وفي الجنوب، بين أحضان الطبيعة العذراء، حيث البراءة والبساطة، ولدت أشهر أعمال الشاعر، بما فيها روايته «بطل عصرنا».

لَكَمْ حاول الشاعر جاهداً التخلص من الزي العسكري والانصراف إلى الكتابة، لكن هذا الحلم لم يتحقق، ففي ٢٧ يوليو/تموز ١٨٤١م قضى الشاعر نحبه في مبارزة غير عادلة، عند سفح جبل «ماشوك»، غير بعيد عن منتجع «بياتيجورسك» (التلال الخمس)، ولعله من سخرية الأقدار أن هذا الجبل، وهذا المنتجع، هما المكانان اللذان يدور فيهما القسم الأكبر من أحداث رواية «بطل العصر».

شاعر القصيدة العاطفية

تعدّ قصائد ليرمنتوف المبكرة نوعاً من الاعترافات الوجدانية، والحديث الصريح مع الذات. أما موضوعات هذه القصائد فمتنوعة تنوع موضوعات الحياة نفسها؛ فتارة ترصد الأحداث السياسية المهمة، وأخرى تتحدث عن مغزى الحياة، وعن معنى الصداقة والحب ورسالة الشاعر والشعر. وثالثةً تتحدث عن حياة الشعب المغلوب على أمره، وتشكو من الوحدة والملل، وتتألم من حياة العبودية والقهر. ونذكر هنا، على سبيل المثال لا الحصر، عدداً من أشهر قصائده، التي نقرأ من عناوينها مدى بؤس حياة الشاعر وعتمتها: «شكاوى تركي»، و«الشراع»، و«السجين»، و«إنه الملل، إنه السأم...»، و«أنْظُرُ إلى المستقبل بوَجَل»، و«موت الشاعر»، و«تأملات»، و«أحب وطني» و«الخنجر»، و«النبي»، و«الوطن»، بالإضافة إلى عدد من الملاحم والمسرحيات الشعرية، ومن أشهرها «الحفلة التنكرية».

بطل عصرنا

بدأ ليرمنتوف كتابة هذه الرواية عام ١٨٣٨م، وقد صدرت قبل وفاته بعام واحد، وحظيت برواج ملحوظ، فقد كان الجميع يود معرفة بطل العصر، وياله من بطل!

تتمحور الرواية، على الرغم من تعدد القضايا التي تطرحها وتشعّبها، حول مسألة أساسية: لماذا لا يستطيع الأذكياء والمتحمسون استخدام قُدراتهم الهائلة في مجالات نافعة، فتراهم يذبلون في ربيع حياتهم، قبل أن يتسنى لهم إنجاز ما يصبون إليه؟

يجيب الكاتب عن هذا التساؤل من خلال قصة حياة بيتشورين، أحد ممثلي جيل الثلاثينيات، ومن خلال الكشف الشامل والعميق عن شخصيته، ورسم صورة واقعية للجو الذي أنجبه، والتربة الاجتماعية التي ترعرع فيها.

تتألف الرواية من خمس قصص هي على







ليرمنتوف

غلاف «بطل عصرنا»

التوالي: «بيْلاّ»، «مكسيم مكسيمتش»، «تامان»، «الأميرة ماري»، و«القَدَري». وعلى الرغم من أن كلاً منها عملٌ مستقل، فإن كل قصة جزء أساسي من الرواية، إذ تجمع بينها شخصية بيتشورين، الذي يحتل مركز الصدارة.

غير أن الترتيب الآنف الذكر لا يتفق مع الترتيب الزمني لأحداث الرواية، الذي يأخذ الشكل الآتي: في طريقه إلى فوجه في القوقاز يتوقف بيتشورين في مدينة تامان (قصة تامان)، بيتشورين يصطاف في بياتيجورسك، ويتعرف إلى الأميرة ماري. ويتبارز مع زميله (الأميرة ماري)، بعد هذه المبارزة ينقل بيتشورين للخدمة في إحدى القلاع، فيلتقي الضابط

مكسيم مكسيمتش (بيلاّ)، ثم تأتي قصة «القدري» تليها «مكسيم مكسيميتش» - القصة الخامسة والأخيرة.

تجري أحداث الرواية في القوقاز، حيث كان ينفى الناقمون على الحكم، وكان بيتشورين أحد هؤلا الذين شقَوا عصا الطاعة. وهنا، في المنفى تتكشف طبيعة البطل، وترتسم معالم روحه المتناهية في التعقيد والتناقض، وتتحدد ملامح شخصيته من خلال البحث عن المغامرات، وركوب المخاطر، ومعاشرة المهربين وأبناء الأقوام الأخرى، وأصحاب المهن والصناعات والثقافات المختلفة.

إذا ما تتبعنا سيرة حياة بيتشورين وجدنا أنه حيثما حل يقوم بدور الجلاد؛ فهو يجر المصائب والأرزاء على كل من يحتك به، وعلى كل من يحبه، ويخلص له في الحب. فبسببه تقضي الفتاة الجبلية بيلا، وبسببه تدب الفوضى في عالم المهربين، وعلى يديه يقتل زميله، وتتحطم حياة الأميرة ماري، حتى الضابط العجوز - رئيسه - الطيب القلب، لا ينجو من شره، فكم أساء إليه، وأحزنه!

إن بطل هذا العصر - بيتشورين - يعاني من الازدواجية، من التناقض، من الفصام، من الأنانية والتقوقع حول الذات، من السأم والملل، ومن الخمول الروحي، ومن السادية، ومن خيبة الأمل المبكرة بالحياة!

لكن من أين له هذا كله؟ من المذنب في ذلك؟ إنه المجتمع، الظروف المحيطة بالبطل هي المسؤولة عن تشوهه الأخلاقي، وإلى هذا يشير بيتشورين نفسه: «مرَّتْ فتوتي، التي لا لون لها، في الصراع مع الذات، ومع المجتمع. وخوفًا من التهكم والسخرية دفنت أفضل مشاعري في أعماق روحي، حيث وئدت هناك... لم تكن حياتي إلا نسيجًا من التناقضات الحزينة البائسة بين عقلي وقلبي. فما إن أرى شخصًا متحمسًا حتى يصبح باردًا كالثلج..».

تعدّ قصائد ليرمنتوف المبكرة نوعًا من الاعترافات الوجدانية، والحديث الصريح مع الذات، أما موضوعات هذه القصائد فمتنوعة


دستويفسكي

الرواية والنقد

أثارت هذه الرواية، منذ ظهورها، موجة عارمة من الجدل، وانقسم النقاد إزاءها بين معجب وناقم، بين مؤيد ومعارض. وراح الناقمون يكيلون التهم للكاتب وروايته، مؤكدين أنه كتبها تحت تأثير الروايات الأجنبية غير الأخلاقية، وأن المجتمع الروسي خالٍ من بيتشورين وأمثاله.

لكن الأدباء والنقاد التقدميين وقفوا إلى جانب الكاتب وروايته، يقول نيقولاي جوجول: «لم يسبق أن كتب أحد لدينا مثل هذا النثر الصادق، الرائع والعاطر، ففيه يغوص الكاتب عميقًا في واقع الحياة». أما الناقد المعروف بيلنسكي فيؤكد أن إبداع ليرمنتوف مستقًى من الواقع الروسي، ولا يمكن فصله عن التربية الروسية.

وعن بطل روايته يقول ليرمنتوف: «... إنه صورة مكونة من عيوب جيلنا بكامله... انظروا إلى أبطال عصرنا تجدوا أنهم لم يعودوا قادرين على التضحية، واجتراح المآثر، ليس للصالح العام فقط، بل حتى لمصلحتهم الشخصية».

أخيرًا لا بد من الإشارة إلى أن ليرمنتوف كان رائد المدرسة المعروفة بـ «أسلوب الكشف عن دياليكتيك الروح»، هذا الأسلوب، الذي تلمذ له، فيما بعد، كبار الكتّاب الروس، أمثال تورجنيف وتولستوي ودستويفسكي، حتى إن تولستوي كتب يقول: «لو أن ليرمنتوف مازال حيًا إذن لما كان ثمة حاجة إلي، ولا إلى دستويفسكي».



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٩٦)

صفر ١٤٢٢هـ ـ أبريل/مايو ٢٠٠١م

الفائز الأول: **رشيد الصَّكلبي ـ المنستير ـ خنيس ـ تونس.**

الفائز الثاني: **زينات زكي الدين السيد ـ محافظة الغربية ـ مصر.**

الفائز الثالث: **سناء أحمد درويش أحمد ـ المنيا ـ مصر.**

الفائز الرابع: **م. شيرين نمر أحمد ـ البقعة ـ الأردن.**

الفائز الخامس: **محمد جمال نمر أبو نمرة ـ الزرقاء ـ الأردن.**

الفائز السادس: **إبراهيم علي الحسني ـ صنعاء ـ اليمن.**

الفائز السابع: **مصطفى إبراهيم صالح أبو ذياب ـ الزرقاء ـ الأردن.**

الفائز الثامن: **علي كامل عبدالله ـ صنعاء ـ اليمن.**

حل مسابقة العدد (٢٩٦)

١ـ خورخي لويس بورخيس: **أرجنتيني، يعد من أشهر كتاب القصة المعاصرين.**

٢ـ ميثاق جنيف: **اتفاقية دولية خاصة بمعاملة الأسرى أو الجرحى في الحرب.**

٣ـ الزِّيليم: **الجزء الخشبي من النبات.**

٤ـ الباشتو: **لغة إيرانية ينطق بها في أفغانستان وبلوخستان وجزء من باكستان.**

٥ـ وإن سُؤتني يوماً صفحتُ إلى غد
ليُعْقِبَ يوماً منكَ آخَرُ مُقْبِلُ

قائل البيت: **معن بن أوس.**

أسئلة مسابقة العدد ٢٩٩

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) ابن النديم:
- ☐ ورّاق عربي. أشهر آثاره كتاب «الفهرست»
- ☐ مؤرخ عربي. صاحب كتاب «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان».

(٢) من قائل هذا البيت:

قد يُدرِكُ المتأني بعضَ حاجتِهِ وقد يكونُ مَعَ المستعجِلِ الزَّلَلُ

- ☐ القَطاميّ التَغْلَبي
- ☐ متمّم بن نويرة.

(٣) الديوبتومتر:
- ☐ أداة لقياس الكربون في المادة العضوية
- ☐ مقياس الانكسار العينيّ.

(٤) المندولين:
- ☐ شجر استوائي تنبثق من أغصانه جذور جديدة
- ☐ آلة موسيقية شبيهة بالعود.

(٥) أعمدة الرجاجيل:
- ☐ آثار شهيرة في محافظة الجوف شمال السعودية
- ☐ جبال شديدة الارتفاع في صحراء الربع الخالي.

الاسم: ______ **المدينة:** ______ **ص.ب:** ______ **هاتف:** ______

العنوان: ______ **الدولة:** ______ **الرمز البريدي:** ______ **ناسوخ:** ______



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دوماً، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

العرب في القدس



قرأت في العدد ٢٩١ من الفيصل مقالاً بعنوان «القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث» تأليف كارين أرمسترونج، ومراجعة الأستاذ محمد منصور، وقد ذكر المراجع أن المؤلفة ذكرت أنه في عام ١٩١٧م كان العرب يكونون ٩٠٪ من تعداد السكان الكلي لفلسطين وأقل من ٥٠٪ من تعداد القدس، وذكر أن المترجمين ينوهان بضرورة التحقق من النسب التي وردت لاحتمال اعتماد المؤلفة على مصادر تنقصها الموضوعية، وأيضاً بالإمكان إرجاع سبب تراجع نسبة السكان العرب في القدس إلى نشاط الهجرة الصهيونية الذي كان قد بدأ في منتصف القرن التاسع عشر.

ولو قدمنا عرضاً تاريخياً لمدينة القدس لوجدنا أن سكانها طوال قرون مضت كانوا عرباً لساناً وحضارة، قلباً ومشاعر، ولم تكن اليهودية أكثرية فيها أبداً، وأما الإحصاء عن عدد السكان من واقع الوثائق الرسمية فيخبرنا أن عدد العرب في القدس القديمة سنة ١٩٤٧م هو ٣٣٫٦٠٠ نسمة، وكان عدد اليهود ٢٫٤٠٠ نسمة فقط «المفصل في تاريخ القدس ص ٤٣٠ نقلاً عن تقرير جون مارتن» القدس عربية.....

بداية القول: إن القدس كنعانية - عربية - أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها بأكثر من ألفي سنة، ومن اسمها الكنعاني العربي اشتق اسمها العبري، واسمها الغربي، وما يحتج به بنو إسرائيل من قدسية وتاريخ وذكريات يحتج بمثله العرب، ويزيدون بما لا يملك الإسرائيليون، إذ إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) وموسى عليهم السلام لم يملكوها، ولو كان وعد الله لهم حقا. حتى إن إبراهيم - عليه السلام - لم يجز لنفسه أن يملك مقدار قبر يدفن فيه زوجه سارة، فالتجأ إلى (بنوحث) أصحاب الأرض، وقال لهم «أنا غريب» ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي» فقبل (بنو حث) طلبه؛ لأنه رئيس من الله بينهم، ولكن إبراهيم عرض ثمناً لمغارة كان يملكها عفرون بن صوحر ليتخذها مقبرة، فرفض عفرون الثمن، وعرض المغارة هبة ولكن إبراهيم أصر على الشراء، ودفع الثمن نقداً» [سفر التكوين ٢٣/٣-١٦].

أصول عربية

وهناك الكثير من الشواهد والثوابت التاريخية التي تدل على أن القدس عربية منذ التاريخ القديم، منها أن أهل فلسطين ينتمون إلى أصل عربي فهم من نسل كنعان، وهو فرع من فروع العرب، ولهذا فإن أهل فلسطين وقت الفتح العربي ومن قبله بعصور مديدة كانوا عرباً، ولم يكونوا يهوداً، وكانوا يتكلمون اللغة العربية، والتي جعلتهم يشعرون بأن هؤلاء الوافدين عليهم من الجزيرة العربية ليسوا غزاة مثلما كانوا يشعرون تجاه حكامهم الرومان. يقول فيليب حتي في كتابه «تاريخ العرب»: «كان السوريون والمصريون يعتبرون العرب الفاتحين قوماً من بني جنسهم يربطهم بهم ما لا يربطهم بأولئك الحكام السابقين الذين كانوا من الأجانب الغاصبين».

فقد ذاق أهل فلسطين على يد الرومان كل صنوف الاضطهاد والتعذيب عندما كان الرومان وثنيين، بينما اعتنق أهل فلسطين الديانة المسيحية فلما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية، وتحول الرومان إلى المسيحية لم يخف عن الفلسطينيين المسيحيين بطش الرومان وقسوتهم وجبروتهم؛ فلم يكونوا يسمحون للفلسطينيين ولا للمصريين المسيحيين بأن يبنوا كنيسة يصلون فيها. والتاريخ المصري يثبت أن أول كنيسة قبطية لم تبن في عهد الرومان المسيحيين، وإنما بنيت في عهد الحكم الإسلامي، فأول كنيسة قبطية مصرية هي كنيسة «أبي سرجة» وقد بنيت بعد الفتح الإسلامي بثلاث وأربعين سنة، أي بعد أن استقر المسلمون في حكم مصر، تطبيقاً لمبادئ الإسلام في احترام حقوق الذميين في إقامة كنائسهم ومعابدهم وصلواتهم، وكذلك كان الأمر في فلسطين، فإن الرومان لم يسمحوا للفلسطينيين المسيحيين أن يقيموا كنيسة لأنفسهم، ولا كانوا يسمحون لهم بممارسة الشعائر المسيحية علناً، فضلاً عن هذا، فقد كانوا ينزلون بهم كل ضروب الاضطهاد والإذلال؛ لذا وقف أهل فلسطين موقف المشاهد المتفرج على ما وقع بين الحكام الرومان والمسلمين الفاتحين من حروب دون أن تحركهم حماسة للروم، وهذا ما دعا عمرو بن العاص إلى كسب أهل فلسطين إلى جانب المسلمين صلحاً بعدما أبدى البطريرك - صفرونيوس - زعيم المسيحيين الفلسطينيين ترحيبه بعقد الصلح.

لا معبد ولا هيكل

ومن الشواهد أيضاً على عروبة القدس، أنه لو كان في القدس عندما دخلها المسلمون في السنة الخامسة عشرة من الهجرة، معبد أو

هيكل يهودي لأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالإبقاء عليه، بل لأمر بصيانته ورعايته، ولأمر بالمحافظة على نقوشه ومحتوياته مثلما أمر بالمحافظة على كنائس المسيحيين ومزاراتهم، وما فيها من صور وصلبان وتماثيل.

بل لو كان في مدينة القدس وقت الفتح الإسلامي معابد أو هياكل أو آثار يهودية لما كان هناك ما يدعو جنرالات إسرائيل أمثال - موشي ديان - ويادين - ووايزمان. وهرتزوج إلى أن يتحولوا إلى علماء آثار وهواة حفريات ينقبون تحت الأرض في القدس وما حولها يفتشون عن معابد يهودية قديمة أو هياكل يهودية بائدة، دون أن يجدوا شيئًا.

ومن الشواهد أيضًا، أن المسجد الأقصى، كمكان لعبادة الله تعالى وحده، قد أسسه وبناه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام قبل ميلاد موسى عليه السلام بأكثر من خمسة قرون، وقبل ميلاد سليمان عليه السلام بأكثر من ألف سنة، وسليمان عليه السلام ينتهي نسبه إلى هؤلاء الأنبياء الكرام؛ وجميع الأنبياء الذين جاؤوا بعد يعقوب عليه السلام، ومنهم سليمان عليه السلام، قد احترموا المسجد الأقصى، ولعلهم قد أضافوا إليه ما يزيده هيبة وجلالاً؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُصلحون ولا يفسدون. وإن هيكل سليمان عليه السلام ليس من المعقول دينيًا أو عقليًا أن يكون تحت المسجد الأقصى كما يزعم اليهود لعدة أسباب، منها أن كلمة هيكل لا تعني بالضرورة أنها مكان للعبادة، ولكنها تطلق على الشيء الضخم أيًا كانت صفته. ولقد ثبت بالدليل القاطع بعد التنقيب الذي قام به اليهود تحت المسجد الأقصى عقب احتلالهم للقدس الشرقية عام ١٩٦٧م أنه لا وجود لهيكل سليمان عليه السلام تحت المسجد الأقصى لأن المسجد الأقصى أسس على تقوى من الله ورضوان، أسسه يعقوب قبل مجيء سليمان بعدة قرون، ومن المستحيل أن يوجد من تحته بناء بناه نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

ومن الثوابت التاريخية المهمة التي تؤكد أن القدس عربية بشقيها الإسلامي والمسيحي، أن أبواب كنيسة القيامة أكبر كنيسة في القدس يتناوب حراسة أبوابها وحمل مفاتيحها عائلتان إسلاميتان هما آل جودة وآل نسيبة، فيحتفظ آل جودة بمفاتيح أبواب الكنيسة، بينما يتولى آل نسيبة فتح الأبواب في مواعيدها المقررة بعد استلام المفاتيح من آل جودة، ثم إعادتها إليهم.

يقول آل نسيبة: هذه الوظيفة منذ زمن عمر بن الخطاب عام ٦٣٦ ميلادية، وأول من تسلم المفاتيح هو جدهم عبدالله، وكان ابن امرأة من الخزرج تدعى نسيبة، وعندما تم للمسلمين فتح القدس ودخلها عمر بن الخطاب سلمه البطريك صفرونيوس مفاتيح كنيسة القيامة، فناولها عمر إلى عبدالله بن نسيبة مؤتمنًا إياه لزهده وتقواه. وتوارث آل نسيبة هذه المهمة منذ ذلك الحين. في العهد الصليبي اضطر آل نسيبة للرحيل عن القدس مع من رحلوا عنها من المسلمين والمسيحيين الشرقيين بعد مطاردة الصليبيين لهم، ونزلوا قرب بورين في نابلس، وسكنوا فيها، وبعد تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي أمر بتسليم المفاتيح إلى آل عضيه وهم أجداد آل جودة.

ولما عاد آل نسيبة إلى القدس طالبوا بحقهم في المفاتيح، وحلاً لهذه المشكلة قرر قاضي القدس أن تبقى المفاتيح بحوزة آل عضيه على أن يتولى آل نسيبه فتح الأبواب، ورضي بحكمه الطرفان، واستمر العمل بهذا الاتفاق حتى اليوم.

وبعد فإن مدينة القدس عربية منذ عرفت التاريخ إلى أن غزاها الإسرائيليون حديثًا، وجثموا على صدرها، وأهلها جميعًا من العرب: مسلمين ومسيحيين، في المشارق والمغارب.

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي
دمشيت - ٣١٧٣١
طنطا - مصر

تعقيبات حديثية

المسجد النبوي عبر العصور

في أثناء مطالعتي للعدد (٢٩٢) لمجلة «الفيصل» الغراء، الصادر في شوال سنة ١٤٢١هـ بدت لي بعض «الملاحظات الحديثية» حول الكتاب المعروض «المسجد النبوي عبر العصور» للدكتور أحمد رجب والذي قام بمراجعته الأستاذ أحمد كمال زكي، والملاحظات هي:

- ذكر المؤلف الكريم ما ورد من النهي عن تسمية المدينة

بـ «يثرب» فقال نقلاً عن السمهودي: «... ويذكر أيضاً بعض الأحاديث بهذا الشأن منها، ما ذكره البخاري: «من قال: يثرب فليقل المدينة عشراً».

قلت: من المعروف عند أهل الاختصاص أنه إذا قيل عن حديث ما: رواه البخاري، أو ذكره البخاري - هكذا دون إشارة إلى كتاب معين للبخاري - فإنه ينصرف إلى الجامع الصحيح للإمام البخاري الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل. ومن المعلوم - أيضاً - أن البخاري لم يلتزم الصحة إلا في هذا الكتاب - الجامع الصحيح.

ولما لم يبين المؤلف الكتاب الذي ذكر فيه البخاري هذا الحديث فإنه - وبناء على هذا العرف - ينصرف ذهن القارئ إلى أن الحديث في الجامع الصحيح، ومن ثم فهو حديث صحيح، فهل الأمر كذلك؟ لا، الحديث ليس في الجامع الصحيح كما أنه ليس صحيحاً، بل هو في التاريخ الكبير للبخاري(١) فقد ذكره تعليقاً في ترجمة عثمان بن حفص الزرقي، ثم قال: «ولا يتابع عليه، فلا أدري هذا هو الأول - يعني عثمان بن حفص الزرقي - أو هو عثمان بن عبدالرحمن الوقاصي»، وذكر ابن أبي حاتم مثل هذا القول عن أبيه في «الجرح والتعديل»(٢).

والحديث رواه - أيضاً - العقيلي في الضعفاء(٣) من طريق أحمد بن حفص السلمي عن أبيه قال: حدثنا إبراهيم ابن طهمان به عن سعد بن أبي وقاص فذكره موقوفاً على سعد - رضي الله عنه - ولكنه مرفوع عند البخاري في تاريخه - كما تقدم - ولكنه ضعيف الإسناد، لأن عثمان بن حفص لم يتبين من هو - كما تقدم -.

- قال المؤلف: «ومنها: ما ذكره أحمد عن أبي يعلي: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله وهي طيبة»».

قلت: الصحيح: ما ذكره أحمد وأبو يعلي - وليس عن أبي يعلى - فالحديث رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما(٤). وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله ثقات(٥). ورواه - أيضاً - ابن عدي في الكامل، وابن الجوزي في الموضوعات(٦) كلهم من طريق صالح بن عمر الواسطي عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن البراء به، ولفظه عند أحمد: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل: هي طابة، هي طابة»، والحديث ضعفه أبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم لأنه تفرد به صالح بن عمر وهو ضعيف، وكذا يزيد بن أبي زياد ضعيف عندهم، ولكنه لا يصل إلى حد الحكم عليه بالوضع - كما قال ابن الجوزي - ولهذا دافع عنه الحافظ ابن حجر في «القول المسدد» قائلاً: «... فإن يزيد. وإن ضعفه بعضهم من قبل حفظه، وبكونه كان يلقن فيتلقن في آخر عمره، فلا يلزم من شيء من ذلك أن يكون كل ما يحدث به موضوعاً»، ويشهد له حديث البخاري ومسلم(٧) «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة....».

ثم إن صالح بن عمر لم ينفرد به بل رواه عبدالرزاق(٨) عن ابن عيينة أيضاً.

- ذكر الكاتب حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي حرم وحرمي المدينة»، وقال في الهامش: «أحمد بن حنبل، المسند، شرحه أحمد محمد شاكر».

قلت: الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - حقق المسند وعلق عليه، أما الذي شرحه فهو: المحدث أبو الحسن نور الدين محمد بن عبدالهادي السندي المتوفى سنة ١١٣٩هـ. كما شرحه مختصراً الشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي المتوفى سنة ١٣٧١هـ.

والحديث رواه أحمد - كما ذكر - وله شاهد يرتقي به إلى درجة الحسن من حديث علي - رضي الله عنه - عند الطبراني(٩).

وختاماً أرجو من الكتاب كافة - وكتاب «الفيصل» بخاصة التأكد والتحقق من صحة مايوردونه من أحاديث نبوية شريفة، كما أرجو أن يتأكدوا من صحة العزو إلى كتب الحديث، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

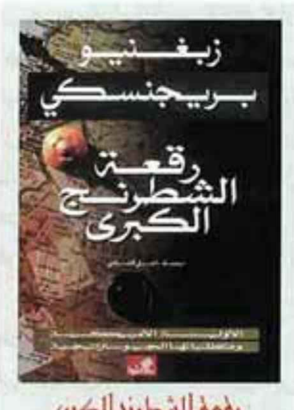
د. محمد طاهر حكيم
الأستاذ في القسم الجامعي في موريتانيا
فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
ص.ب ٤٨٨ - نواكشوط - موريتانيا

الهوامش

١. التاريخ الكبير للبخاري ٦/٢١٧.
٢. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/١٤٨.
٣. الضعفاء للعقيلي ٣/١٩٨.
٤. مسند أحمد ٤/٢٨٥، ومسند أبي يعلي ٣/٢٤٧.
٥. مجمع الزوائد للهيثمي ٣/٣٠٠.
٦. الكامل في الضعفاء ٧/٢٧٣٠، والموضوعات لابن الجوزي ٢/٢٢٠.
٧. صحيح البخاري ٤/٨٧ (مع الفتح) وصحيح مسلم ٩/١٥٤ (مع شرح النووي).
٨. المصنف ٩/٢٦٧.
٩. كما في مجمع الزوائد ٣/٣٠١.

رقعة الشطرنج الكبرى

الجيوستراتيجية الأمريكية في عالم ما بعد الحرب الباردة



رقعة الشطرنج الكبرى
زبغنيو بريجنسكي
ترجمة: أمل الشرقي
عمان: الأهلية للنشر والتوزيع،
ط١، ١٩٩٩م

مراجعة: محمد سيف حيدر النقيد
صنعاء - اليمن

يقول زبغنيو بريجينسكي Zbigniew Brzezinski المفكر الإستراتيجي الأمريكي، ذو الأصل البولندي البارز الذي عمل مستشارًا للأمن القومي لإدارة جيمي كارتر بين عامي ١٩٧٧و١٩٨١م: إن الغرض من كتابه هذا المعنون في أصله الإنجليزي بـ The Grand Chess Board: American Primacy and its Geostrategic Imperatives هو: «صياغة جيوستراتيجية أوراسية شاملة ومتكاملة».

والحقيقة أن استخدام بريجينسكي تعبير «أوراسيا» - والذي يشير إلى أوربا وآسيا اللتين تقوم أطروحاته على أنهما قارة واحدة - يعود في جذوره اللغوية والجيوبوليتيكية إلى مطلع القرن العشرين. ففي عام ١٩١٩م وضع المحلل الجيوبوليتيكي الإنجليزي المعروف هارولد ماكيندر نظريته الشهيرة عن «قلب الأرض» Heart Land، وكان المحور الرئيس لهذه النظرية أن تاريخ العالم مرتبط بجهود التحكم في قلب الأرض، وهي لديه تلك الأقاليم الممتدة بين الفولجا واليانج تسي، ومن المحيط القطبي إلى الهملايا، أي قلب أوراسيا الكبرى التي كان يسميها جزيرة العالم، كما كان هناك جانب آخر في نظريته هو مفهوم أراضي الحافة Rim Land، ويشمل شبه الجزر في الشرق الأوسط والهند وأوربا، وقد صاغ ماكيندر مفهومه عن «منطقة القلب» في سياق اشتهر على النحو الآتي: «من يحكم أوربا الشرقية يسيطر على قلب الأرض، ومن يحكم منطقة قلب الأرض يسيطر على جزيرة العالم، ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم كله».

وتطبيقًا لهذه الفروض راح ماكيندر ينبّه على أن سيطرة روسيا على العالم لم يعد ينقصها - آنذاك - إلا أن تمتد إلى المناطق الحدّية في آسيا (الصين والهند)، أو أن تمتلك قوة بحرية كافية. ولقد لقي حديث ماكيندر عن «منطقة القلب»، فيما بعد، موضع هوى عند عدد من كبار الجغرافيين السياسيين الألمان فلجؤوا إلى استخدام الجيوبوليتيكا في تسويغ



مبدأ بلادهم في «الضغط باتجاه الشرق».

وقد كانت أبرز تلك المحاولات محاولة كارل هاوزهومن في تكييف مفهوم ماكيندر للاحتياجات الإستراتيجية الألمانية، وترددت أصداء ذلك في الطرح المبتذل الذي تكرر في تشديد أدولف هتلر على حاجة الشعب الألماني إلى «المجال الحيوي»(١). وإذا كانت الجيوبوليتيكا فيما مضى - وعلى الرغم من الحديث النظري عن القيمة الحيوية لمداها العالمي - لم تتجاوز البعد الإقليمي، إلاّ أن بريجينسكي يشير اليوم إلى أنها قد انتقلت من ذلك البعد المحدود إلى بُعد أوسع - حقيقي هذه المرة - وهو البعد العالمي «حيث السيطرة على كامل القارة الأوراسية توفر القاعدة المركزية للسيادة العالمية»، وهو ما تتمتع به الولايات المتحدة حالياً وبصورة تكاد تكون مطلقة..

دولة فوق عظمى

كثيراً ما أثارت القوة الأمريكية المفرطة (والممزوجة حقيقة بقدر كبير من جوانب الضعف) الغرور في نفوس عدد من المفكرين الأمريكيين، ولقد أدى مثل هذا الوضع إلى تأطير ذلك الغرور بسياج تسويغي، أكاديمي واسع انعكس في كتاباتهم التي ناقشت (أو تناقش) الوضع الكوني لأمريكا ما بعد الحرب الباردة. ويعدّ بريجينسكي واحداً من هؤلاء.

لقد تحدث بريجينسكي في «رقعة الشطرنج الكبرى» عن وضع أمريكا «الفريد» وكونها أصبحت القوة العالمية الأولى و«الوحيدة» و«ربما الأخيرة»(!!)، وفي سبيل تأكيد هذه الرؤية المكابرة حاول بريجينسكي وضع إستراتيجية شبه شاملة لبلاده بحيث تستطيع التعامل بها مع أوراسيا وفقاً لرؤيته لها، لكونها المسرح الرئيس الذي تتصارع عليه القوى من أجل القوة والنفوذ، مستبعداً بذلك كل قارات ومناطق العالم الأخرى. ولقد دفع ذلك الغرور الصاخب الذي صاحب الكلام عن النجاح الأمريكي المطلق، دفع هوبرت فدرين، وزير خارجية فرنسا، إلى ابتكار لفظ جديد، فكلمة دولة عظمى لم تعد كافية، فقد أصبحت الولايات المتحدة من الآن فصاعداً دولة فوق عظمى Hyper Puissance. إلاّ أن هذا الأمر ينبغي ألا يربكنا أو يضعنا في موضع الرفض العفوي التام الذي يفتقد - حتماً - إلى

البراهين المنطقية. ومن هذه الزاوية يقدم لنا عدداً من الرؤى والتحليلات الأمريكية الأخرى، في المقابل، ما ينقض ذلك الحديث عن «الأحادية القطبية المطلقة»، فإذا كان بريجينسكي يؤكد التفرد الأمريكي سواء من الناحية العسكرية أو من النواحي الأخرى (الاقتصادية والثقافية و... إلخ) غير أن مفكرين آخرين يرفضون هذه النظرة الضيقة، فـ «لستر ثارو» - مثلاً - يؤكدها عسكرياً، وينفيها بشكل شبه تام في المجال الاقتصادي(٢)، بينما يقدم صامويل هنتنجتون رؤية تناقض مفهوم «الأحادية القطبية»، فهو يشدد على أن تلك اللحظة، التي كانت فيها الولايات المتحدة قادرة على إملاء إرادتها على الدول الأخرى، «قد فاتت»(٣).

تعزز هذه النظرة ما يذهب إليه هنتنجتون نفسه في أطروحته عن «صدام الحضارات» التي تؤكد سذاجة القول الذي يذهب إلى تأكيد أن النظام الدولي الراهن أحادي القطبية، وتذهب إلى القول بأن بنية النظام (العالمي) الجديد تتسم بالتعددية القطبية والحضارية(٤).

بعث ماكيندر

إن النظرة المتفحصة لمحتويات هذا الكتاب يمكنها أن تستخلص عدة أمور أو ملاحظات، إضافة إلى ما أشرنا إليه آنفاً، فالكتاب - بصورة أو بأخرى - يمثل بعثاً قوياً لنظرية ماكيندر عن «منطقة القلب»، فبريجينسكي يكاد يحصر الحديث عنها دون سواها، متمثلاً إياها بـ «رقعة شطرنج كبرى تمتد من لشبونة إلى فلاديفوستوك»، هذه الرقعة يجب أن تخضع لجميع أشكال التكيف الجيوستراتيجي الأمريكي، عاداً إياها في الوقت نفسه ساحة الصراع المقبل من أجل الهيمنة والسيادة العالمية. إضافة إلى ذلك فإن الكتاب يمثل دليلاً إستراتيجياً جيداً على أهداف الولايات المتحدة في تلك المنطقة، ويزيد من أهمية هذا الدليل توضيحه بلغة سهلة، وبأسلوب تحليلي ممتاز للكيفية التي ستتعامل بها أمريكا مع كل الاحتمالات المستقبلية، والتي قد «تكدّر» صفو مصالحها هناك. الجدير بالذكر أن هذا الكتاب يحتوي على ستة فصول رئيسة، يضاف إليها مقدمة وخاتمة قصيرة، ويمكننا استعراض أهم محتوياته:

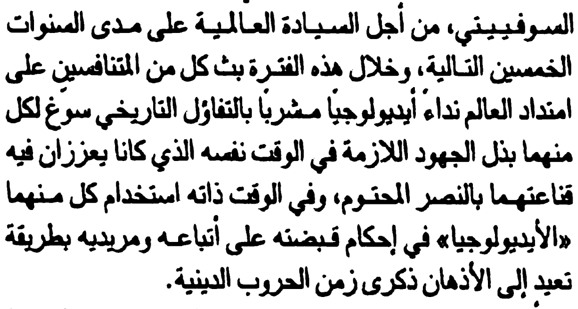
هيمنة من نوع جديد

تحت هذا العنوان وبمنهجية وصفية تحليلية - يتخللها عدد من الخرائط ذات الدلالة - يؤرخ زبغنيو بريجينسكي في الفصل الأول لسيادة أمريكا العالمية الراهنة متتبعاً إياها من الجذور، راصداً تحولاتها المختلفة عبر قرن أو يزيد من الزمان، وبالتحديد منذ عام ١٨٩٨م، الذي شهد اندلاع الحرب الإسبانية الأمريكية التي كانت أول حرب توسعية تخوضها أمريكا عبر البحار. لقد دفعت تلك الحرب بالنفوذ الأمريكي بعيداً في منطقة المحيط الهادي إلى ما وراء هاواي وحتى الفلبين، ومنذ ذلك الوقت شرعت أمريكا في فرض وجودها بوصفها قوة إقليمية وعالمية فاعلة. ولقد كانت الحرب العالمية الأولى بمنزلة أول فرصة حقيقية لكي تثبّت الولايات المتحدة قدمها على الساحة الدولية، فقد قدمت تلك الحرب المناسبة الأولى للتدفق الضخم للقوة العسكرية الأمريكية في أوربا؛ وبهذا أفلتت أمريكا من حالة العزلة النسبية التي كانت تعاني منها، وعلى المستوى نفسه من الأهمية، استحثت الحرب أول مجهود دبلوماسي أمريكي كبير باتجاه تطبيق المبادئ الأمريكية في البحث عن حل لمشكلات أوربا الدولية، وقد مثلت نقاط ودرو ويلسون الأربع عشرة الشهيرة دخول المثالية الأمريكية إلى الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيكا) الأوربية معززة بالقدرة الأمريكية!



بريجينسكي

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، بانتحار هتلر، واستسلام ألمانيا النازية، وبروز الاتحاد السوفييتي بصفته قوة تنافس على الهيمنة، سيطر التنافس الثنائي القطبين: أمريكا والاتحاد السوفييتي، من أجل السيادة العالمية على مدى السنوات الخمسين التالية، وخلال هذه الفترة بث كل من المتنافسين على امتداد العالم نداءً أيديولوجياً مشرباً بالتفاؤل التاريخي سوّغ لكل منهما بذل الجهود اللازمة في الوقت نفسه الذي كانا يعززان فيه قناعتهما بالنصر المحتوم، وفي الوقت ذاته استخدام كل منهما «الأيديولوجيا» في إحكام قبضته على أتباعه ومريديه بطريقة تعيد إلى الأذهان ذكرى زمن الحروب الدينية.



أضفى التقاء المدى الجيوبوليتيكي العالمي والكونية المنسوبة إلى المذهبين المتنافسين ضراوة لا مثيل لها على عملية التنافس، لكنّ عاملاً إضافياً آخر هو الذي جعل التنافس فريداً حقاً. أشار ظهور الأسلحة النووية إلى أن وقوع حرب من النوع الكلاسيكي بين المتنافسين الرئيسين لن يعني دمارهما المشترك فحسب، بل إن من شأنه أن ينزل عواقب مميتة بجزء كبير من

الإنسانية، وهكذا أُخضعت ضراوة المنافسة في الوقت ذاته إلى انضباط ذاتي خارق من الجانبين، ومع بقاء المتنافسين ممتنعين حتى النهاية عن أي تصادم عسكري مباشر خوفاً من الحرب النووية أصبحت الحيوية السياسية، والمرونة الأيديولوجية، والدينامية الاقتصادية، والجاذبية الثقافية (هي) الأبعاد الحاسمة. وبتوافر هذه السمات فيه، برهن الجانب الأمريكي على كونه الجانب الأقوى، فهو أكثر دينامية على المستويين الاقتصادي والتقاني (التكنولوجي)، بينما انتقل الاتحاد السوفييتي تدريجياً إلى وضع الركود، ولم يعد قادراً على المنافسة المؤثرة لا في النمو الاقتصادي ولا في التكنولوجيا العسكرية، ثم أفرخ التعفن الاقتصادي تفسُّخاً عقدياً (أيديولوجياً). وهكذا وكما كان الحال عليه بالنسبة إلى كثير من الإمبراطوريات التي سبقته، فإن الاتحاد السوفييتي انتهى إلى الانفجار والتشظي، ولم يكن ضحية هزيمة عسكرية مباشرة بقدر ما كان ضحية التآكل الذي عجلت به الضغوط الاقتصادية والاجتماعية.

وقد جاء مصيره مؤكداً الملاحظة الأكاديمية الجديدة التي تقول: «الإمبراطوريات غير مستقرة سياسياً بحكم التكوين؛ لأن وحداتها المحكومة تفضل بشكل يكاد يكون دائماً قسطاً أكبر من الاستقلال الذاتي، وتسعى الزعامات المضادة في تلك الوحدات إلى الحصول على ذلك القسط الأكبر من الاستقلال كلما سنحت لها الفرصة الملائمة. فالإمبراطوريات، بهذا المعنى، لا تسقط، بل تتساقط، ويتم ذلك عادة بشكل بطيء جداً، وقد يحدث أحياناً بسرعة ملحوظة».

لقد أدى انهيار الاتحاد السوفييتي المنافس، وربما الوحيد، للولايات المتحدة إلى وضع هذه الأخيرة في «موضع فريد»، فقد أصبحت في وقت واحد القوة العالمية الأولى والوحيدة معاً. ومع ذلك، فإن سيادة أمريكا العالمية تذكّر في بعض الوجوه، كما يشير بريجينسكي، بالإمبراطوريات السابقة بغض النظر عن المدى الإقليمي الضيّق لتلك الإمبراطوريات. أسست تلك الإمبراطوريات نفوذها على هرم من التوابع، والوكلاء، والمحميات، والمستعمرات، وكانت تنظر إلى من هم خارج حدودها بصفتهم برابرة. ولا يبدو هذا المصطلح المنطوي على المفارقة التاريخية بعيداً تماماً عن وضع الدول الدائرة حالياً في الفلك الأمريكي. فكما كان الحال عليه في الماضي، تنبثق ممارسة النفوذ «الأمبريالي» الأمريكي، إلى حد كبير، من تنظيم أعلى، ومن القدرة على تجنيد الموارد الاقتصادية والتقنية الواسعة للأغراض العسكرية، ومن الجاذبية الحضارية الغامضة والشديدة معاً لطريقة الحياة الأمريكية، ومن الدينامية المجردة والتنافسية المتأصلة لدى الزعامات السياسية والاجتماعية الأمريكية.

ويشدد بريجينسكي على أن الإمبراطوريات السابقة، هي الأخرى، اشتركت في هذه السمات، فقد بسطت روما نفوذها معتمدة، بشكل رئيس، على تنظيم عسكري متفوق، وجاذبية حضارية؛ بينما اعتمدت الصين بشدة على بيروقراطية كفؤة



النفوذ الأمريكي يبدو فريداً في نوعه، والتفوق العسكري ليس إلا عنصراً من عناصره

كانت تحكم إمبراطورية تستند إلى هوية عرقية مشتركة، وتعزز سيطرتها عبر إحساس عالٍ بالتفوق الحضاري. أما الحضارة المنغولية فقد جمعت بين الأساليب العسكرية المتقدمة في مجال الفتح، والميل نحو الاندماج بالشعوب لتكوين قاعدة للحكم. ولم يختلف الوضع كثيراً مع البريطانيين (ومثلهم الإسبان، والهولنديون، والفرنسيون)، إذ نال هؤلاء السيادة عندما تبعت أعلامهم سفنهم التجارية، وتعزز نفوذهم، أيضاً، بالتنظيم العسكري المتفوق، والحضور الثقافي. إلا أن بريجينسكي يعود مجدداً فيؤكد أن أياً من هذه الإمبراطوريات لم تكن عالمية بالمعنى الصحيح، حتى بريطانيا العظمى لم تكن قوة عالمية حقاً(!) فهي لم تخضع أوربا بل اكتفت بموازنتها. كانت أوربا،

المستقرة ضرورية لسيادة بريطانيا الدولية، وحين مارست أوربا التدمير الذاتي حلّت النهاية المحتومة بالسيادة البريطانية.

في مقابل ذلك، يبدو مدى النفوذ العالمي الأمريكي وانتشاره اليوم فريداً في نوعه، فالولايات المتحدة تقف شامخة في مجالات أربعة حاسمة النفوذ العالمي فهي، عسكرياً، تمتلك قدرة عالمية لا نظير لها، واقتصادياً تظل المتقدمة في النمو العالمي - حتى لو واجهت التحدي في بعض المجالات من ألمانيا واليابان اللتين لا تتمتعان ببقية ما تتمتع به من مزايا القدرة العالمية - مع تكنولوجيا تحتفظ بالتقدم الشامل في جميع مجالات الابتكار الحاسمة، وحضارياً، تتمتع - على الرغم من بعض المبالغة - بجاذبية لا يزاحمها أحد فيها، خصوصاً لدى شباب العالم. هذه العوامل مجتمعة تمنح الولايات المتحدة - خلاف أي إمبراطورية سابقة - قدرة سياسية لا تقاربها أي دولة أخرى. وبسبب اجتماع هذه العوامل الأربعة تصبح أمريكا القوة العالمية العظمى الوحيدة و«الشاملة»(!!).

وفي ختام الفصل، يحدد بريجينسكي طبيعة النظام العالمي في إطاره الأمريكي، إذ يراه مجرد أداة يمارس النفوذ العالمي الأمريكي من خلالها «نظام عالمي مصمم أمريكياً ليعكس التجربة المحلية الأمريكية. في القلب من تلك التجربة تقف الطبيعة التعددية لكل من المجتمع الأمريكي ونظامه السياسي». ثم يحدد بريجينسكي السّمات العامة لهذا النظام: فهو يؤكد (أي النظام الأمريكي العالمي) أسلوب الاختيار الذاتي إلى حد يفوق بكثير ما عرفته الأنظمة الإمبراطورية السابقة. كما أنه يعتمد كثيراً على ممارسة التأثير غير المباشر في الزعامات الأجنبية غير المستقلة في الوقت الذي يستمد فيه الكثير من المنافع من جاذبية مبادئه ومؤسساته الديمقراطية. يدعم كل ما تقدم الأثر الكبير للسيطرة الأمريكية في الاتصالات العالمية، ووسائل التسلية الشعبية، والثقافة الجماهيرية، والإنجاز الأمريكي في المجالين التكنولوجي والعسكري.

أما أهم سمات «النظام الأمريكي العالمي» - كما يرصدها بريجينيسكي - فتتمثل في قدرة السيادة الأمريكية على إنتاج نظام دولي جديد لا يكتفي بإنتاج نماذج مكررة في الخارج عن الكثير من ملامح النظام الأمريكي نفسه، بل يسعى إلى ترسيخ تلك الملامح هناك. تشتمل المعالم الأساسية لهذا النظام على:

- نظام أمن جماعي بما في ذلك القيادة المؤتلفة (الناتو، ومعاهدة الأمن الأمريكية اليابانية، وسواهما).
- التعاون الاقتصادي الإقليمي (منتدى التعاون الاقتصادي الأمريكي - الباسيفيكي APEC ،اتفاقية شمال أمريكا للتجارة الحرة NAFTA) والمؤسسات التعاونية العالمية المتخصصة (البنك الدولي، صندوق النقد الدولي IMF، ومنظمة التجارة العالمية WTO).
- الإجراءات التي تؤكد الإجماع في اتخاذ القرار، حتى إن كانت خاضعة لسيطرة الولايات المتحدة.
- ترجيح الانتساب الديمقراطي ضمن تحالفات رئيسة.
- بنية ابتدائية تشريعية وقضائية عالمية (تراوح بين المحكمة العالمية ومحكمة خاصة للنظر في جرائم الحرب البوسنية).

لقد نشأت معظم جوانب ذلك النظام في أثناء الحرب الباردة كجزء من جهود أمريكا الرامية إلى احتواء منافسها العالمي، الاتحاد السوفييتي. وأصبحت جاهزة للاستخدام العالمي بمجرد أن تداعى المنافس، وبرزت أمريكا قوة عالمية أولى ووحيدة.

الحرب الإسبانية الأمريكية هي أول حرب توسعية تخوضها أمريكا عبر البحار، وكانت الحرب العالمية الأولى أول فرصة حقيقية لكي تثبّت قدمها على الساحة الدولية

رقعة الشطرنج الأوراسية

في الفصل الثاني يعالج بريجينسكي التصور الأمريكي لأوراسيا بكونها «الجائزة الجيوبوليتيكية الرئيسة» للولايات المتحدة، ورقعة الشطرنج التي تواصل فوقها الصراع من أجل السيادة العالمية. فأوراسيا تحفل بالإغراءات، فهي القارة الأكبر في العالم، وهي المحور في مجال الجيوبوليتيكا، بحيث إن من يتحكم فيها يسيطر - فعلياً - على اثنتين من مناطق العالم الثلاث الأكثر تقدماً، والأوفر في مجال الإنتاجية الاقتصادية. كما أن ٧٥٪ من شعوب العالم يعيش في أوراسيا، وفيها أيضاً معظم ثروات العالم (المخبوءة والظاهرة) وتمثل أوراسيا نحو ٦٠٪ من إجمالي الناتج القومي العالمي، وبها يوجد نحو ثلاثة أرباع مصادر الطاقة المعروفة عالمياً. يضاف إلى هذا كله أن أوراسيا موطن أكثر دول العالم قدرة من الناحية السياسية، وأكثرها ديناميكية، وأضخمها اقتصادياً وإنفاقاً على الأسلحة. وفي أوراسيا أيضاً توجد جميع الدول النووية المعلنة في العالم عدا واحدة، كما توجد فيها أيضاً جميع الدول النووية السرية باستثناء واحدة.

وإليها تنتسب الدولتان الأكثر سكاناً في العالم، والدولتان

الأكثر تطلعاً إلى الهيمنة والنفوذ العالمي. كما أن جميع الأطراف التي يمكن أن تشكل تحدياً سياسياً أو اقتصادياً لسيادة أمريكا أوراسية، ولو جمعت معاً، فإن قوة أوراسيا ستفوق بشكل كاسح قوة أمريكا. لكن من حسن حظ أمريكا أن أوراسيا أوسع من أن تتوحد سياسياً.

يعتقد بريجينيسكي أن عمق أمريكا - على الرغم من اتساع مدى الهيمنة العالمية لها - ضحل تحدُّ منه مقيدات داخلية وخارجية، وهو ما يزيد من حجم التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة، ومن هذا المنطلق يساهم حجم أوراسيا وتنوعها - إلى جانب قوة بعض دولها - في الحد من عمق التأثير الأمريكي وحجم السيطرة على مجرى الأحداث فيها.



موقف أغلب الأوربيين لا يبدو واضحاً تجاه مسألة تحويل أوربا إلى قوة كبرى!

فالحجم الكبير، والكثافة السكانية، والتنوع الحضاري لهذه القارة العظمى، إضافة إلى تكونها من عدد كبير من الدول الطموحة تاريخياً، والنشيطة سياسياً، يجعلها غير قابلة للإذعان حتى للقوة العالمية الأبرز سياسياً، والأكفأ اقتصادياً.

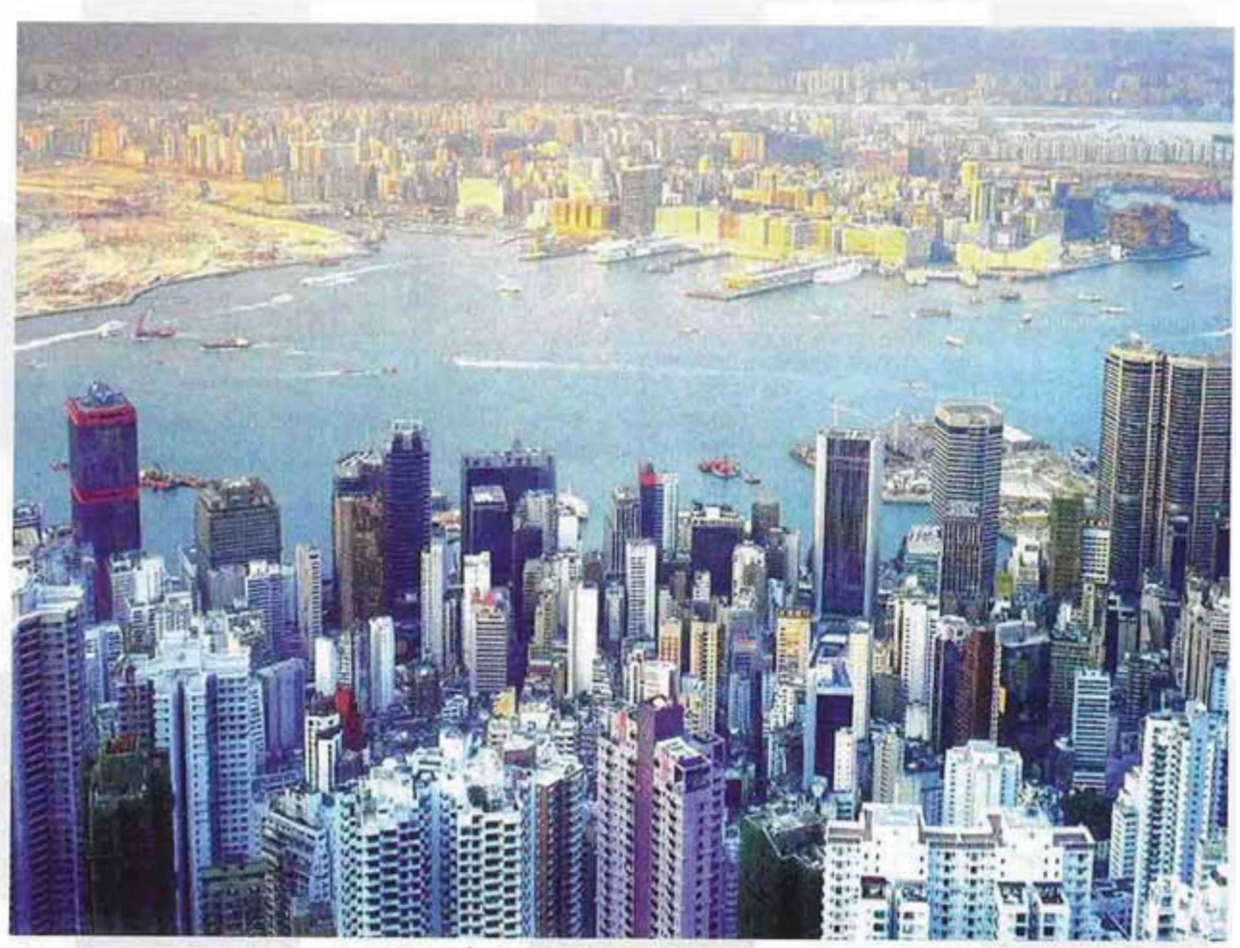
أما كيف تتعامل أمريكا مع هذا الظرف فيحدده بريجينسكي بوضوح، إذ يرى أن هذا الظرف يدعو إلى اعتماد المهارة الجيوستراتيجية، والنشر المدروس والانتقائي والدقيق للموارد الأمريكية على امتداد رقعة الشطرنج الأوراسية الشاسعة، ومن هذه الزاوية تصبح المناورة، والدبلوماسية، وبناء التحالفات، والمشاركة في اتخاذ القرار، والنشر المدروس جداً لأرصدة المرء السياسية هي المكونات الرئيسة للممارسة الناجحة للنفوذ الجيوستراتيجي على تلك الرقعة المعقدة من الأرض!

مع ذلك، لا يغفل بريجينسكي عن أهمية الجيوبوليتيكا في إدارة اللعبة على رقعة الشطرنج الأوراسية، وحسب تقديره، تظل الجغرافيا السياسية أمراً حاسماً في الشؤون الدولية. وبناءً على هذه الرؤية يرى بريجينسكي أن التركيز في اللاعبين الرئيسين، والتقدير الصائب للمنطقة ينبغي أن يكونا نقطة الانطلاق إلى صياغة الجيوستراتيجيا اللازمة للإدارة الطويلة الأمد لمصالح أمريكا الجيوبوليتيكية في أوراسيا. وهناك خطوتان أساسيتان مطلوبتان لهذا الغرض:

الأولى: تحديد الدول الأوراسية الدينامية الجيوستراتيجية، التي تملك القوة اللازمة لإحداث تحول مهم محتمل في التوزيع الدولي للقوى، واكتشاف الأهداف الخارجية المركزية لقياداتها السياسية والنتائج المنتظرة التي تترتب على سعيها لتحقيق تلك الأهداف، ثم تحديد الدول الأوراسية ذات الوضع الحرج جيوبوليتيكياً، والتي يمتلك موقعها و/ أو وجودها آثاراً تحفيزية في اللاعبين الجيوستراتيجيين النشيطين أو على مجمل الظروف الإقليمية.

الثانية: صياغة سياسات أمريكية محددة للمعادلة، ومشاركة الدول المذكورة و/ أو السيطرة عليها على النحو الذي يحافظ على المصالح الحيوية الأمريكية أو يطورها، وبلورة جيوستراتيجية أكثر شمولية ترسّخ، على الصعيد العالمي، الترابط بين السياسات الأكثر تحديداً للولايات المتحدة.

وفي إطار الخطوة الأساسية الأولى المذكورة آنفاً - وبوساطة المعايير التي تضمنتها، وعلى أساس تحديد أبعاد الخطوة الثانية في شيء من الدقة - يشخّص بريجينسكي ما لا يقل عن خمسة لاعبين جيوستراتيجيين رئيسين وخمسة محاور جيوبوليتيكية (من بينها اثنان مؤهلان جزئياً لأن يكونا لاعبين) على الخريطة السياسية الجديدة لأوراسيا. تعدّ كل من فرنسا، وألمانيا، وروسيا، والصين، والهند لاعبين رئيسين ونشيطين، بينما نجد أن بريطانيا، واليابان، وأندونيسيا، مع كونها دولاً


الصين مرشحة لتنمية تطلعات واسعة

مهمة جداً بما لا يقبل الشك، غير مؤهلة لهذا الدور.

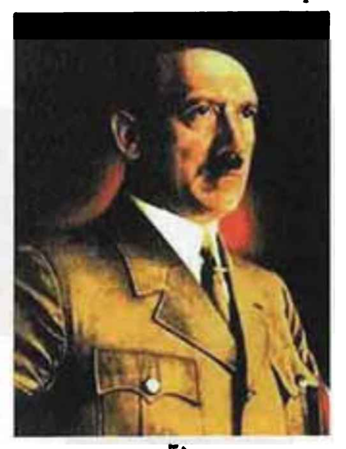
تؤدي أوكرانيا، أو أذربيجان، وكوريا الجنوبية، وتركيا، وإيران دور المحاور الجيوبوليتيكية ذات الأهمية الحاسمة، مع أن كلاً من تركيا وإيران تعد إلى حد ما نشيطة جيوستراتيجياً ضمن قابلياتها المحدودة.

وفي مزيد من التفصيل والتحليل يعدّ بريجينسكي اللاعبين الجيوستراتيجيين الرئيسين هما فرنسا وألمانيا، فكلتاهما تحركه رؤية لأوربا الموحدة على اختلافهما بشأن شكل الرابطة التي ينبغي لأوربا أن تحافظ عليها مع أمريكا، لكنّ كلتيهما ترغب في صياغة وضع جديد وطموح في أوربا، مغيرة بذلك الوضع القائم. بالمقابل، لا تعدّ بريطانيا لاعباً جيوستراتيجياً، فاختياراتها الرئيسة أقل، وهي لا تحمل رؤية طموحة لمستقبل أوربا، كما أنّ تدهورها النسبي قد قلل من قدراتها على أداء الدور التقليدي كمعادلٍ أوربي. ومع ذلك فإن المؤكد أن بريطانيا تظل مهمة بالنسبة إلى أمريكا، فهي مازالت تمارس درجة معينة من التأثير العالمي من خلال الكومنولث، وهي أبرز مؤيدي أمريكا، كما أنها حليفة مخلصة الولاء، وقاعدة عسكرية مهمة، وشريك حميم في النشاطات الاستخباراتية المهمة.

أما روسيا فلا حاجة إلى القول بأنها تظل لاعباً جيوستراتيجياً رئيساً، على الرغم من حالة الضعف التي تعاني منها، ومن مرضها الذي يمكن أن يطول أمده. إن مجرد وجودها يؤثر بشكل كبير في الدول المستقلة حديثاً ضمن المجال الأوراسي الواسع الذي كان يحتله الاتحاد السوفييتي السابق، وهي تحمل أهدافاً جيوبوليتيكية طموحة يزداد إفصاحها عنها علناً، وما إن تستعيد قوتها، حتى تأخذ بالتأثير بشكل ملموس في جيرانها الغربيين والشرقيين.

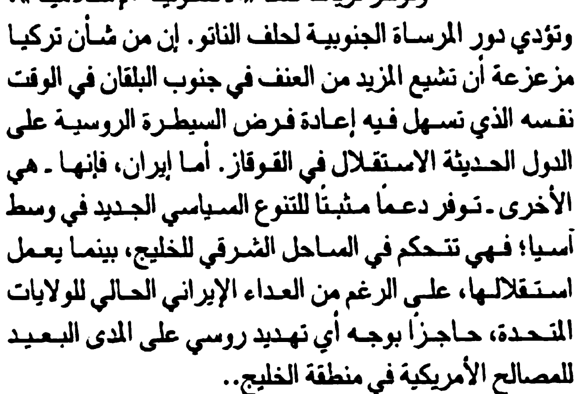
كما أن من نافلة القول المجادلة في كون الصين لاعباً رئيساً.

فهي قوة إقليمية مهمة، وهي مرشحة لتنمية تطلعات واسعة استناداً إلى تاريخها كقوة كبرى، وإلى نظرتها إلى الدولة الصينية بصفتها مركزاً للعالم. أما بالنسبة إلى اليابان فمن الواضح أنها تمتلك إمكانية ممارسة دور القوة السياسية من الدرجة الأولى، فهي واحدة من أبرز القوى الاقتصادية الكبرى في العالم.. لكن اليابان لا تسعى إلى ذلك، إذ تُفضِّل العمل تحت الحماية الأمريكية، وهذا الموقف الياباني القائم على ضبط النفس يسمح للولايات المتحدة أن تؤدي دوراً أمنياً مركزياً في الشرق الأقصى. وهكذا، فإن اليابان ليست لاعباً جيوستراتيجياً، وإن كانت تمتلك القدرة على أن تكون كذلك في وقت قصير خصوصاً إذا ما تغيّرت بشكل مفاجئ سياسات أي من الصين أو أمريكا.. أما أندونيسيا فمن السهل تبيان الأسباب التي تغفل إدراجها كلاعب جيوستراتيجي دينامي، فقدرتها على فرض تأثير بارز محدودة بسبب حالة التخلف النسبي التي تطبع اقتصادها، والقلاقل السياسية الداخلية المستمرة، وتشرذم أرخبيلها، وإمكانية تعرضها للنزاعات العرقية التي يفاقمها الدور المركزي الذي تمارسه الأقلية الصينية في شؤونها المالية الداخلية. وعلى العكس من ذلك، تقوم الهند حالياً بعملية ترسيخ نفسها قوةً إقليمية، وتعدّ نفسها مرشحة لأن تكون لاعباً دولياً رئيساً أيضاً، كما تعدّ نفسها منافسة للصين.


هتلر

تمتلك الهند رؤية جيوستراتيجية لدورها الإقليمي، سواء في مواجهة جيرانها أو في المحيط الهندي، إلا أن طموحاتها في هذه المرحلة لا تتطفل إلا هامشياً على المصالح الأوراسية لأمريكا، وبناء على ذلك، فإن الهند بصفتها لاعباً جيوستراتيجياً لا تعدّ مصدراً للقلق الجيوبوليتيكي، على الأقل ليس إلى الدرجة التي تتمثل بروسيا والصين.

أما المحاور الجيوبوليتيكية ـ كما حددها بريجينسكي سابقاً ـ فتعدّ أوكرانيا مربعاً جديداً ومهماً في رقعة الشطرنج الأوراسية، وهي محور جيوبوليتيكي؛ لأن مجرد وجودها دولةً مستقلة يساعد على تغيير وضع روسيا، فمن دونها لا تعود روسيا إمبراطورية أوراسية، وإذا ما أرادت موسكو استعادة السيطرة على أوكرانيا بنفوسها الـ ٥٢ مليوناً، ومواردها الكبيرة، إضافة إلى نفاذها إلى البحر المتوسط، فإن روسيا ستستعيد بشكل آلي ظروف التحول إلى دولة إمبراطورية قوية تمتد إلى أوربا وآسيا. وسيكون لفقدان أوكرانيا لاستقلالها عواقب مباشرة على أواسط أوربا محوّلة بولندا إلى محور جيوبوليتيكي على الحدود الشرقية لأوربا الموحدة.. أما أذربيجان، فتعدّ، على الرغم من حجمها المحدود وقلة عدد سكانها، ذات أهمية جيوبوليتيكية، إضافة إلى ما تملكه من مصادر الطاقة الغنية. فهي سدادة القنينة التي تحتوي على ثروات حوض بحر قزوين ووسط آسيا. وإذا ما خضعت أذربيجان خضوعاً تاماً لسيطرة موسكو فمن شأن استقلال دول وسط آسيا أن يصبح عديم المعنى تقريباً. وكما هو الحال في أوكرانيا فإن مستقبل أذربيجان وأواسط آسيا له أهمية حاسمة في ما يمكن أن تصبح عليه روسيا.. أما تركيا وإيران فهما منشغلتان في إقامة حد من التأثير في منطقة بحر قزوين ووسط آسيا، مستفيدتين من تقهقر النفوذ الروسي؛ ولهذا السبب يمكن عدّهما لاعبين جيوستراتيجيين إلاّ أن كلاً من الدولتين تواجه مشكلات داخلية خطيرة، كما أن قدرتهما على إحداث تحولات إقليمية رئيسة في توزيع القوى تعدّ محدودة. وهما، بالإضافة إلى ذلك، متنافستان ممّا يجعل أثر الواحدة يلغي أثر الأخرى. لكنْ كلتاهما تعدّان ابتداءً، محاور جيوبوليتيكية مهمة، فتركيا تعمل على تثبيت استقرار منطقة البحر الأسود، وتسيطر على النفاذ منه إلى البحر الأبيض المتوسط، وتعادل روسيا في القوقاز، وتوفر ترياقاً ضد «الأصولية الإسلامية»، وتؤدي دور المرساة الجنوبية لحلف الناتو. إن من شأن تركيا مزعزعة أن تشيع المزيد من العنف في جنوب البلقان في الوقت نفسه الذي تسهل فيه إعادة فرض السيطرة الروسية على الدول الحديثة الاستقلال في القوقاز. أما إيران، فإنها ـ هي الأخرى ـ توفر دعماً مثبتاً للتنوع السياسي الجديد في وسط آسيا؛ فهي تتحكم في الساحل الشرقي للخليج، بينما يعمل استقلالها، على الرغم من العداء الإيراني الحالي للولايات المتحدة، حاجزاً بوجه أي تهديد روسي على المدى البعيد للمصالح الأمريكية في منطقة الخليج..



أخيراً، فإن كوريا الجنوبية تعد محوراً جيوبوليتيكياً في الشرق الأقصى. تتيح علاقاتها الوثيقة بأمريكا أن توفر هذه الأخيرة الغطاء لليابان؛ وبذلك تحول دون أن تصبح اليابان قوة عسكرية رئيسة ومستقلة، وأي تغير ملموس في وضع كوريا

الجنوبية، سواء جاء ذلك عن طريق توحيد الكوريتين، أو الانتقال إلى عالم النفوذ الصيني المتوسع، يمكن، بالضرورة، أن يؤدي إلى تغير درامي في دور أمريكا في الشرق الأقصى، إضافة إلى التغيير داخل اليابان نفسها. يضاف إلى ذلك أن ازدياد القوة الاقتصادية لجنوب كوريا حوّل البلاد إلى مربع مهم تزداد باطّراد أهمية السيطرة عليه.

رأس الجسر الديمقراطي

يناقش بريجينسكي في الفصل الثالث من كتابه المهم، أبعاد العلاقة الأمريكية الأوربية وفق خطوطها المستقبلية.

يرى بريجينسكي أن أوربا هي الحليف الطبيعي لأمريكا فهي تشترك معها في القيم نفسها، وتحمل - في غالبيتها - الإرث الديني ذاته، وتمارس السياسات الديمقراطية نفسها، وهي الوطن الأم الأصلي لمعظم الأمريكيين. وبناءً على ذلك، تصبح أوربا هي رأس الجسر الجيوبوليتيكي الأساسي لأمريكا في القارة الأوراسية.

ويوضح بريجينسكي أن مشكلة أوربا الحقيقية هي أن أوربا «أوربية» غير موجودة فعلاً، قد تكون رؤيا، أو مفهوماً أو هدفاً، ولكنها ليست حقيقة بعد.

لقد أصبحت أوربا الغربية بالفعل سوقاً مشتركة، لكنها ما تزال بعيدة عن أن تكون كياناً سياسياً واحداً، ومازال على أوربا السياسية أن تظهر. أما الحقيقة الجارحة حقاً - كما يصوّرها بريجينسكي - فهي أن أوربا الغربية، وأوربا الوسطى ماتزال إلى حد كبير محمية أمريكية تُذكّر دولها الحليفة بالتوابع والوكلاء في العصور القديمة، وليس هذا بالظرف الصحي بالنسبة إلى أمريكا ولا إلى الدول الأوربية.

ومما يزيد الأمور سوءاً الانحطاط المتفشي في الحيوية الداخلية الأوربية، إذ تبدو شرعية النظام الاجتماعي/ الاقتصادي القائم، وكذلك الإحساس السطحي بالهوية الأوربية على درجة من الهشاشة، كما يُلاحظ وجود أزمة ثقة وانعدام للزخم الخلاق، إلى جانب موقف منسحب نحو الداخل يجمع بين الانعزالية والهروب من المشكلات العالمية الكبرى. إضافة إلى كل ذلك، لا يبدو موقف أغلب الأوربيين واضحاً تجاه مسألة تحويل أوربا إلى «قوة كبرى» أو إذا كانوا مستعدين لفعل ما يلزم من أجل أن تصبح كذلك. حتى بقايا الموقف الأوربي المناوئ للأمركة - والضعيف حالياً - تنطوي على مفارقة غريبة: فالأوربيون يشجبون «الهيمنة» الأمريكية، لكنهم - في الوقت نفسه - مرتاحون للحماية التي توفرها لهم!!

أما أهم ما يريد أن يوصله بريجينسكي إلى الأذهان - عبر الكثير من تفاصيل هذا الفصل المعقدة، والتي تلت حديثه عن الوضع المرتبك لأوربا - وبالذات الغربية منها - وقلقها الاجتماعي، وتحول إشكالية توحيد أوربا إلى عملية أكثر من كونها قضية - فهو يتركز في تأكيد مسألة أساسية وهي أن نهاية تقسيم أوربا يجب ألا ترتد خطوة إلى الوراء نحو أوربا المتكونة من دول قومية متخاصمة، إنما يجب أن تكون نقطة انطلاق نحو صياغة أوربا أوسع وأكثر تماسكاً، يعززها حلف الناتو الموسع، وتزيد من أمنها علاقة أمنيّة بناءة مع روسيا. ومن هنا، يمكن بسهولة تلخيص الهدف الجيوستراتيجي المركزي لأمريكا بأنه العمل من خلال شراكة عبر أطلسية أكثر أصالة على تمتين رأس الجسر الأمريكي إلى القارة الأوراسية من أجل أن تتحول أوربا الموسعة إلى منصة انطلاق حيوية يفرض من خلالها على أوراسيا النظام التعاوني والديمقراطي الدولي..


يلتسين

الثقب الأسود

ويتناول الفصل الرابع من هذا الكتاب تداعيات الوضع الروسي، وما خلفه تشظي الاتحاد السوفييتي السابق من قضايا جيوبوليتيكية مهمة لها تأثيرها في أوراسيا، ومن ثمّ في المحيط العالمي، مع التركيز في الجيوستراتيجية الأمريكية المؤطرة لهذا الموضوع أساساً.

يعتقد بريجينسكي أن تداعي الدولة الأوسع مساحة في العالم في أواخر عام ١٩٩١م قد أحدث «ثقباً أسود» في مركز أوراسيا، وبدا كما لو أن «منطقة القلب» التي حددها الجيوبوليتيكيون قد انتزعت فجأة من الخريطة العالمية. وتبعاً لذلك يرى بريجينسكي أن هذا الوضع الجيوبوليتيكي الجديد والمحيّر يفرض على أمريكا تحدياً خطيراً؛ إذ إن المهمة البعيدة المدى للولايات المتحدة تظل في كيفية تشجيع التحول الديمقراطي والانتعاش الاقتصادي في روسيا في الوقت نفسه الذي يتم فيه تفادي عودة ظهور إمبراطورية أوراسية يمكن أن تعيق هدف أمريكا الجيوستراتيجي في تشكيل نظام أوربي - أطلسي أوسع، يمكن لروسيا أن ترتبط به على نحو مستقر وآمن.

ويتحدث بريجينسكي عن «وضع روسيا الجيوبوليتيكي الجديد» في عالم ما بعد الحرب الباردة مشيراً إلى أن انهيار الإمبراطورية الروسية قد أوجد فراغاً للنفوذ في قلب أوراسيا. لم يقتصر الأمر على ما كان موجوداً من ضعف وارتباك في الدول المستقلة حديثاً، ولكن الانقلاب السياسي قد صاحبته محاولة متزامنة لإبطال النموذج الاجتماعي ـ الاقتصادي السوفييتي. زاد الجرح الوطني سوءاً تورط روسيا العسكري في طاجكستان الذي اندفعت إليه خشية استيلاء المسلمين على هذه الدولة الحديثة الاستقلال، ثم فاقمه التدخل الوحشي المأساوي في الشيشان الذي يكلف ثمناً باهظاً على الصعيدين الاقتصادي والسياسي. وكان الأشد إيلاماً التدني الكبير لمكانة روسيا الدولية، فقد صارت إحدى القوتين العالميتين العظميين لا تعدّ في نظر الكثيرين أهم من قوة إقليمية من العالم الثالث، مع أنها مازالت تمتلك ترسانة نووية كبيرة، وإن كانت تتقادم باطّراد.

والحقيقة أن انهيار الاتحاد السوفييتي قد خلّف جواً محيراً، ومساحة أكثر اتساعاً من الجدل. وفي مثل هذا الجو، كان للسؤال: «ما هي روسيا؟ وروسيا إلى أين؟» أن يحصل على أنواع مختلفة من الإجابة تتمحور في ثلاثة اختيارات جيوبوليتيكية واسعة ومتداخلة إلى حد ما، هي:

ـ إعطاء الأولوية «للشراكة الإستراتيجية الناضجة» مع أمريكا التي كانت تعني بالنسبة إلى بعض دعاتها تعبيراً مشفراً عن السيادة العالمية المشتركة.

ـ تأكيد «المقتربات الخارجية» بصفتها الاهتمام المركزي لروسيا، مع وجود بعض من يدعون إلى نوع من التكامل الاقتصادي الذي تسيطر عليه موسكو، بينما توقّع بعضهم الآخر استعادة حد معين من السيطرة الإمبريالية في نهاية المطاف، مما يتيح نشوء قوة أكثر قدرة على موازنة أمريكا وأوربا.

ـ تحالف مضاف يضم نوعاً من الائتلاف الأوراسي المناوئ للولايات المتحدة، مصمم لتقليل حجم النفوذ الأمريكي في أوراسيا. وعلى الرغم من أن الاختيار الأول كان في البداية الراجح في صفوف الفريق الحاكم الجديد بزعامة الرئيس السابق يلتسين، إلا أن الاختيار الثاني ما لبث أن برز سياسياً، وكان من بين عوامل بروزه توجيه الانتقاد إلى أولويات يلتسين الجيوبوليتيكية. ولم يرتفع صوت الاختيار الثالث إلاّ لاحقاً في منتصف التسعينيات كردة فعل للشعور الذي ساد بأن الجيوستراتيجية الروسية للفترة ما بعد السوفييتية كانت قاصرة و غير واضحة. ثم ظهر أن الثلاثة معاً كانت خاطئة تاريخياً، ومستمدة من رؤية مرتبكة لقوة روسيا الحالية، وقدراتها الدولية، ومصالحها الخارجية.. أما الاختيار الذي يراه بريجينسكي مناسباً ومفتوحاً أمام روسيا ـ وهو اختيار يمكن أن يمنح روسيا دوراً دولياً واقعياً، ويزيد من فرصتها في التحول وتطوير ذاتها اجتماعياً ـ فهو أوربا. وليس أي أوربا كانت، إنما أوربا عبر الأطلسية الناتجة من توسيع الاتحاد الأوربي والناتو. إن هذه (الأوربا) يجري تشكّلها حالياً، ومن المحتمل أن تظل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأمريكا. وإلى أوربا هذه سيتحتم على روسيا أن تنتمي، إذا ما أرادت أن تتجنب العزلة الجيوبوليتيكية الخطيرة.


التدخل الوحشي لروسيا في الشيشان يكلفها كثيراً على المستويين الاقتصادي والسياسي

بالنسبة إلى أمريكا، تعدّ روسيا أضعف من أن تكون شريكاً، لكنها أقوى من أن تكون الطرف المريض، ومن الأرجح أنها قد تتحول إلى مشكلة ما لم تتول أمريكا تأمين المحيط الذي يساعد على إقناع الروس بأن أفضل اختيار لديهم ولبلدهم هو المزيد من الارتباط العضوي بأوربا عبر الأطلسية.. بالمقابل تواجه روسيا المعضلة القائمة في كون الاختيار لمصلحة أوربا وأمريكا يتطلب، لكي يعطي فوائد ملموسة، أن تتخلى ـ

أولاً - عن الماضي الإمبراطوري، وألاّ تكون لديها - ثانياً - أيّ مآخذ على توسيع روابط أوربا السياسية والأمنية مع أمريكا.

والحقيقة أن «معضلة الحل الوحيد»، بالنسبة إلى كثير من الروس، يمكن أن تكون في البداية، وربما لبعض الوقت أيضاً، شديدة الصعوبة على من يبت فيها؛ إذ ستتطلب كمّاً هائلاً من الإرادة السياسية، وقد تقتضي أيضاً وجود زعيم بارز قادر على اتخاذ القرار لمصلحة روسيا أوربية ديمقراطية، ووطنية، وحديثة حقّاً. وقد لا يتحقق ذلك لبعض الوقت؛ فتجاوز أزمات ما بعد الشيوعية وما بعد الإمبراطورية لن يتطلب وقتاً أطول مما احتاج إليه التحول ما بعد الشيوعي في أوربا الوسطى فحسب، بل إنه يحتاج - أيضاً - إلى ظهور زعامة سياسية مستقرة وبعيدة النظر. ولا يبدو في الأفق الآن أي أتاتورك روسي، إلا أن الروس - مع ذلك - سوف يدركون في نهاية المطاف أن عملية إعادة تعريف روسيا الوطنية لن تكون عملية استسلام بل عملية تحرير. وعلى أي حال، فإن إعادة تعريف «ما هي روسيا؟ وأين هي روسيا؟» قد لا تتم إلا على مراحل، كما أنها ستتطلب موقفاً غربياً حكيماً وحازماً؛ إذ إن على أوربا وأمريكا أن تقدما المساعدة، فلا يجوز أن يقتصر ما تقدمانه لروسيا على معاهدة خاصة، أو اتفاقية مع الناتو، بل إن عليهما أن تبدآا مع روسيا باستطلاع شكل نظام الأمن والتعاون عبر القارة الذي سينشأ في النهاية، والذي يتجاوز - إلى حد بعيد - الكيان الفضفاض لمنظمة الأمن والتعاون الأوربي. كما ينبغي عدم استبعاد ربط على نحو أوثق بكل من الناتو والاتحاد الأوربي متى ما قامت بتعزيز مؤسساتها الديمقراطية الداخلية، وحققت تقدماً ملموساً في التنمية الاقتصادية وفق أسس اقتصاد السوق الحر. في الوقت نفسه، فإن من المهم أيضاً بالنسبة إلى الغرب، وخصوصاً أمريكا، اتباع السياسات التي تديم معضلة الحل الوحيد بالنسبة إلى روسيا؛ فالاستقرار السياسي والاقتصادي في الدول ما بعد السوفييتية الجديدة يعدّ عاملاً رئيساً من العوامل التي تحتم قيام روسيا بإعادة التعريف الذاتي التاريخية. ومن هنا، فإن دعم الدول ما بعد السوفييتية الجديدة - من أجل ترسيخ التعددية الجيوبوليتيكية في مجال الإمبراطورية السوفييتية السابقة - يجب أن يكون جزءاً لا يتجزأ من سياسة مُصممة لحمل روسيا على اتخاذ قرارها الأوربي بشكل قاطع.

خلاصة القول - إذن - أنه كلما تسارعت حركة روسيا باتجاه أوربا، تسارع ملء «الثقب الأسود» في أوراسيا بمجتمع يزداد حداثة وديمقراطية. وعليه، فإن معضلة الحل الوحيد بالنسبة إلى روسيا لا تعود مسألة اختيار جيوبوليتيكي، إنما مسألة مواجهة ضرورات البقاء.

البلقان الأوراسية

يؤكد بريجينسكي في الفصل الخامس، أنه، كما عرفت أوربا ظاهرة «البلقنة» بنزاعاتها العرقية والمنافسات الحادة بين الدول العظمى حول المنطقة، كذلك فإن لأوراسيا، أيضاً «بلقانها» الخاص بها، وإن كان أوسع حجماً، وأكثر نفوساً، وأشد تنوعاً من الناحيتين العرقية والدينية.

> الاتحاد السوفييتي لم يكن ضحية هزيمة عسكرية مباشرة بقدر ما كان ضحية التآكل الذي عجلت به الضغوط الاقتصادية والاجتماعية

تقع منطقة «البلقان الأوراسية» في منطقة القلب الداخلية لذلك المستطيل الجغرافي الكبير الذي يشير إلى المنطقة المركزية لعدم الاستقرار العالمي، والذي يضم أجزاء من جنوب شرق أوربا، وآسيا الوسطى، وأجزاء من جنوب آسيا، ومنطقة الخليج، والشرق الأوسط.

وعلى غرار مشكلة البلقان التقليدية التي مثلت المكافأة الجيوبوليتيكية المحتملة في النزاع من أجل السيادة الأوربية، تكتسب مشكلة البلقان الأوراسية أهميتها الجيوبوليتيكية بسبب وقوعها على شبكة النقل الناشئة التي يقصد منها ربط الطرفين الأكثر ثراء ونشاطاً في شرق أوراسيا وغربها. لكن الأهمية العظمى لهذه المنطقة تأتي مما تتضمنه من وعد بالمكافأة الاقتصادية حيث تتركز فيها مصادر هائلة للغاز الطبيعي، واحتياطي النفط، إضافة إلى المعادن المهمة، بما فيها الذهب. فإذا ما أخذنا بتقديرات وزارة الطاقة الأمريكية التي تشير إلى أن الطلب العالمي سيرتفع بنسبة تزيد على ٥٠٪ خلال الفترة ما بين ١٩٩٣ و ٢٠١٥م، وإلى أن الجزء الأكبر من زيادة الاستهلاك سوف يحصل في الشرق الأقصى، إذا أخذنا بتلك التقديرات علمنا مدى الأهمية التي وصلت إليها منظمة آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين.

فمن المعروف أنهما يضمّان احتياطياً من الغاز الطبيعي والنفط تتضاءل أمامه احتياطات الكويت، أو خليج المكسيك، أو بحر الشمال.

وبناءً على هذه الحقائق يُتوقع ـ وهو أمر يبدو طبيعياً جداً ـ أن يشكل العزم على النفاذ إلى تلك المصادر، والمشاركة في ثرواتها الكامنة أهدافاً تثير الطموحات الوطنية، وتحفز المصالح التجارية، وتؤجج المطالب التاريخية، وتحيي الآمال الإمبراطورية، وتضرم المنافسات الدولية.

ومما يضاعف من استعداد الوضع للاشتعال أن المنطقة غير مستقرة داخلياً، إضافة إلى كونها منطقة «فراغ قوة»، فكل دولة من دولها تعاني من صعوبات داخلية جديّة، وكل دولة من دولها لديها حدود يطالب بها جيرانها أو مناطق استياء عرقي، فقلة منها يسودها التجانس القومي، وبعضها يعاني، فعلاً، من العنف الإقليمي، أو العرقي، أو الديني.

أما الدول التي تنطبق عليها بطريقة أو بأخرى المواصفات الجيوبوليتيكية والاقتصادية المشار إليها أعلاه، والتي تضمها منطقة «البلقان الأوراسية»، فهي: كازاخستان، وكيرغزستان، وطاجكستان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وأذربيجان، وأرمينيا، وجورجيا ـ وجميعها كانت أجزاء سابقة من الاتحاد السوفييتي ـ وتضاف إليها باكستان. كما أن هناك تركيا وإيران، وهما دولتان مرشحتان محتملتان لانطباق الأوصاف السابقة عليهما، وكلتاهما أكثر حيوية من الدول الأخرى سياسياً واقتصادياً، كما أن كلتيهما تعدّان منافستين على النفوذ الإقليمي داخل البلقان الأوراسية، وبذلك تكون كلّ منهما لاعباً جيوستراتيجياً مهماً في المنطقة. لكن كُلاً منهما تحمل هشاشة ضمنية إزاء النزاعات العرقية الداخلية. فلو أن أيّاً منهما فقدت استقرارها، فإن المشكلات الداخلية في المنطقة تصبح مستعصية على الإخضاع للسيطرة في الوقت نفسه الذي تصبح فيه الجهود من أجل تقييد السيطرة الإقليمية لروسيا غير مجدية!

إن منطقة «البلقان الأوراسية» تبقى، بكل ما تحمله من مغريات جيوبوليتيكية واقتصادية، موضع اهتمام جدي، ومركز استقطاب حيوي لروسيا.. هذا أكيد وطبيعي، ويبدو أمراً مفروغاً منه. ولكن، ماذا بشأن الولايات المتحدة؟ وما المضامين الجيوستراتيجية التي تمتلكها المنطقة بالنسبة إلى أمريكا؟.. يؤكد بريجينسكي أن المضامين الجيوستراتيجية واضحة بالنسبة إلى أمريكا؛ فأمريكا أبعد من أن تسود في هذا الجزء من أوراسيا، لكنها أقوى من أن تتجنب التورط فيه. تنظر جميع الدول في المنطقة إلى الارتباط الأمريكي بصفته ضرورياً لبقائها. فروسيا ضعيفة جداً إلى الحد الذي يجعلها غير قادرة على استعادة السيادة الإمبراطورية على المنطقة، أو على إبعاد الآخرين عنها، لكنها، من جانب آخر، أقوى وأقرب من أن تُستبعد. لدى تركيا وإيران من القوة ما يكفي لجعلهما مؤثرتين، لكن هشاشتهما الداخلية يمكن أن تجعل المنطقة عاجزة عن مواجهة كل من التحدي القادم من الشمال، والنزاعات الإقليمية الداخلية. أما الصين فهي قوية إلى حد إثارة مخاوف روسيا، ودول آسيا الوسطى إلاّ أن مجرد وجودها وحيويتها (ديناميتها) الاقتصادية يُسهّلان سعي آسيا الوسطى، إلى مزيد من الامتداد العالمي. يتبع ذلك أن مصلحة أمريكا الأولى هي في ضمان عدم تمكين أي قوة منفردة من السيطرة على هذا المجال الجيوبوليتيكي، وفي توفير النفاذ المالي والاقتصادي غير المقيد إلى هذه المنطقة أمام المجتمع العالمي.



صمويل هنتنجتون

إن التعددية الجيوبوليتيكية لن تصبح حقيقة دائمة إلا إذا ربطتْ شبكةٌ من طرق المواصلات، وخطوط الأنابيب المنطقة مباشرة بالمراكز الرئيسة للنشاط الاقتصادي العالمي عبر البحر الأبيض المتوسط، وبحر العرب، إضافة إلى الشبكات البرية.

من هنا تتوجب معارضة المساعي الروسية لاحتكار النفاذ بصفته ضاراً بالاستقرار الإقليمي.. إلا أن استبعاد روسيا من المنطقة ليس بالأمر الممكن أو المرغوب فيه، شأنه في ذلك شأن تأجيج العداء بين روسيا والدول الجديدة في المنطقة؛ فالمشاركة الاقتصادية الفاعلة لروسيا في تنمية المنطقة تعدّ ضرورية لاستقرار المنطقة. وتأمين روسيا كشريك، وليس كمتسلط واحد، يمكن أن يعود، في النتيجة، بفوائد اقتصادية جمّة. فالمزيد من الاستقرار والثروة في المنطقة سيساهم بشكل مباشر في رفاهية روسيا، ويُضفي معنى حقيقياً على «الثروة المشتركة»، وهي الترجمة الحرفية لاسم «الكومنولث» الذي وعدت به الدول المستقلة. لكن هذا الاختيار التعاوني لن يتحول إلى سياسة تسعى إليها روسيا إلاّ إذا تمّ التخلي عن المخططات الطموحة ذات المفارقة التاريخية التي تثير الذكريات المؤلمة للبلقان الأصلية.

على كل حال، يبدو من الواضح أن مستقبل آسيا الوسطى

ـ بصورته الإجمالية ـ يمكن أن يصاغ في نهاية المطاف، نتيجة لظروف أكثر تعقيداً، يتوقف فيها مصير دولها على التفاعل المركب للمصالح الروسية، والتركية، والإيرانية، والصينية، كما يتوقف على الدرجة التي ستحدد بها الولايات المتحدة علاقاتها بروسيا تبعاً لاحترام الأخيرة لاستقلال الدول الجديدة. تستبعد حقائقُ ذلك التفاعل احتمالي الإمبراطورية أو الاحتكار بصفتهما هدفين معقولين لأي من اللاعبين الجيوستراتيجيين المعنيين. لأن الخيار الأساسي يقوم، بدلاً عن ذلك، ما بين توازن إقليمي حساس ـ يتيح الانضمام التدريجي للمنطقة إلى الاقتصاد العالمي الناشئ في الوقت الذي تواصل فيه دول المنطقة تعزيز وضعها والحصول على هوية إسلامية أوضح ـ أو النزاع العرقي، والتجزئة السياسية، والعداء المكشوف على امتداد حدود روسيا الجنوبية. ولابد أن يكون تحقيق ذلك التوازن الإقليمي وتعزيزه هدفاً رئيساً في أي جيوستراتيجيا شاملة تضعها الولايات المتحدة لأوراسيا.

مرساة الشرق الأقصى

ويتحدث بريجينسكي في الفصل السادس عن مستقبل السياسة الأمريكية تجاه دول شرق آسيا/أوراسيا، وبالذات، اليابان والصين، منظِّراً في الوقت نفسه لتلك السياسة وفق خطوطها الإستراتيجية.

يستهل المؤلف الفصل بالقول: إنه لابد للسياسة الأمريكية المؤثرة بشأن أوراسيا أن تكون لها مرساة في الشرق الأقصى، وإنه لا يمكن تأمين هذه الضرورة إذا ما استبعدت أمريكا أو أبعدت نفسها عن البر الآسيوي.

إن علاقة وثيقة باليابان البحرية تعدّ ضرورية لسياسة أمريكا العالمية، لكن علاقة تعاونية مع الصين البرية حتمية بالنسبة إلى جيوستراتيجية أمريكا الأوراسية. ولابد من مواجهة ما تتضمنه هذه الحقيقة، لأن التفاعل الدائر في الشرق الأقصى بين القوى الرئيسة الثلاث ـ أمريكا، والصين، واليابان ـ يخلق مشكلة إقليمية محيِّرة ذات أبعاد خطيرة، كما أنه يمكن أن يولد تحولات جيوبوليتيكية بنيوية.

إن المشهد الجيوبوليتيكي في شرق آسيا حالياً يتميز بعلاقات قوة شبه مستقرة. وتفرض حالة شبه الاستقرار وضعاً من التصلب الخارجي، وقليلاً من المرونة النسبية، فتكون بذلك أشبه بالحديد منها بالفولاذ. وهي معرضة لحدوث سلسلة مدمرة من ردود الفعل، يمكن أن تولدها ضربة قوية قاصمة. يتمتع الشرق الأقصى اليوم بدينامية اقتصادية غير عادية إلى جانب تنامي القلق السياسي. والواقع ـ كما يؤكد بريجينسكي ـ أن النمو الاقتصادي الآسيوي يمكن أن يساهم في ذلك القلق، لأن الرخاء يحجب الهشاشة السياسية للمنطقة حين يضخم الطموحات الوطنية ويوسع التوقعات الاجتماعية. ويرى بريجينسكي أن النشاط الدينامي الذي «تغلي» به منطقة شرق آسيا، سواء من النواحي الاقتصادية والسكانية والعسكرية أو من ناحية القوميات الطالعة والمتيقظة حديثاً، قد أمكن حتى الآن توجيهه إلى وجهات سلمية عن طريق التقدم السريع للنمو الاقتصادي في المنطقة. لكن صمام الأمان هذا يمكن أن تكتسحه العواطف السياسية المكبوتة ما إن تتعرض لقدحة زناد، حتى وإن كانت ضئيلة نسبياً. تكمن احتمالات مثل تلك القدحة في عدد كبير من القضايا المثيرة للنزاع، والقابلة جميعاً للاستغلال (الديماغوجي) الذي يجعلها عرضةً للانفجار ابتداء برفض الصين لوضع تايوان المنفصل، ومروراً بقضايا النزاع الإقليمي حول السيادة، مثل: قضية جزر باراسيل وسبارتلي الواقعة في بحر الصين الجنوبي والتي تتنازع عليها الصين وعدد من دول جنوب شرق آسيا، وقضية عائدية جزر سنكاكو التي تتنازع حولها الصين واليابان، وقضية جزر كوريل بين اليابان وروسيا، ومروراً أيضاً بالقضية الكورية، واحتمال تقسيم كوريا، وحالة عدم الاستقرار الضمنية لكوريا الشمالية، وصولاً إلى النزاعات العرقية ـ الإقليمية الكامنة الأخرى، والتي تشمل كلاً من النزاع الحدودي الروسي ـ الصيني، والصيني ـ الفيتنامي، والياباني ـ الكوري، والصيني ـ الهندي، إضافة إلى التململ العرقي في مقاطعة زينغ جسيانغ، والنزاع الصيني ـ الإندونيسي على الحدود في المحيط... كما أن توزيع القوى في المنطقة غير متوازن، فالصين بترسانتها النووية، وقواتها المسلحة الكبيرة، تعدّ القوة العسكرية المسيطرة. ويرى المفكر الإستراتيجي البارز أنه في هذا الوسط القابل للاشتعال تحدث

> المناورة، والدبلوماسية، وبناء التحالفات، والمشاركة في اتخاذ القرار، والنشر المدروس جداً لأرصدة المرء السياسية هي المكونات الرئيسة للممارسة الناجحة للنفوذ الجيوستراتيجي إلى أوراسيا

الآن تحولات بنيوية في المشهد الجيوبوليتيكي في شرق آسيا، هي:

- أن الصين - بغض النظر عما يمكن أن تكون عليه إمكاناتها المستقبلية المحددة - قوة صاعدة تملك مقومات القوة المهيمنة.

- اعتماد الدور الأمني الأمريكي على تعاون اليابان يزداد باطّراد.

- أن اليابان تتلمس الطريق إلى دور سياسي أكثر وضوحاً واستقلالية.

- أن الدور الروسي قد تضاءل إلى حد كبير، في الوقت الذي تحولت فيه آسيا الوسطى التي كانت في السابق خاضعة لروسيا إلى هدف للتنافس الدولي.

- أن تقسيم كوريا يصعب الإبقاء عليه، وهو ما يجعل التوجه الكوري المستقبلي موضوعاً لاهتمام جيوبوليتيكي متزايد من جانب جاراتها الرئيسات.

ثم يعرّج بريجينسكي على مناقشة الفكرة التي تتناول الصين بصفتها قوة «إقليمية وليست عالمية»، وفي هذا الإطار يورد عدداً من الشكوك «الحذرة» حول قدرة الصين على الارتقاء إلى «مصاف قوة عالمية من الطراز الأول»، وتستند هذه الشكوك إلى عدد من «الثغرات» - حسب تعبيره - وأهمها: أن من غير المؤكد إمكانية المحافظة على نسب النمو الانفجاري في الصين على مدى العقدين القادمين، يضاف إلى ذلك أن سرعة النمو الاقتصادي قد تنتج أعراضاً سياسية جانبية يمكن أن تحد من حرية الصين في الحركة، مثل تزايد الطلب على الطاقة، والغذاء، وتزايد الفجوات الاجتماعية بين المناطق المدنية والريفية نتيجة لتوسع الفجوة القائمة في توزيع الثروة، إضافة إلى ما تفرضه المتطلبات العسكرية لقوة عالمية من ضغوط على الموارد الاقتصادية بالشكل نفسه الذي واجهه الاتحاد السوفييتي. أما أهم هذه الثغرات فتتعلق أساساً بـ «مستقبل السياسة الصينية» في ظل نظام شيوعي مغلق ومتصلب بيروقراطياً. فالزعامة السياسية الصينية - كما يؤكد بريجينسكي - مازالت منظمة في هرمية انعزالية متصلبة منضبطة، غير متسامحة في أحادية نظرتها السياسية. وهي ماتزال تدعي - بشكل طقسي - إخلاصها لمبدأ سيسوّغ لها نفوذها، لكنها - في الوقت نفسه - لم تعد تطبقه اجتماعياً. وعليه يتوقع بريجينسكي أنه «في نقطة ما، سوف يصطدم هذان البعدان في الحياة الصينية، ما لم تأخذ السياسة الصينية بالتكيف التدريجي، للضرورات الاجتماعية التي يفرضها الاقتصاد الصيني»..

ويتضمن مفهوم «التكيف» بُعدين أساسيين هما: الانفتاح على العالم، والتحول الجدّي نحو «الديمقراطية». ومن هنا، سيتوقف تقدم الصين المستقبلي، إلى جانب ظهورها قوة رئيسة، إلى حد كبير، على درجة المهارة التي ستتعامل بها الزعامة الصينية الحاكمة مع المشكلتين المترابطتين: مشكلة انتقال السلطة من الجيل الحالي من الحكام إلى فريق أكثر شباباً، ومشكلة التعامل مع التوتر المتنامي ما بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي للبلاد.

سيتوقف تقدم الصين المستقبلي، إلى جانب ظهورها قوة رئيسة، إلى حد كبير، على درجة المهارة التي ستتعامل بها الزعامة الصينية الحاكمة مع مشكلة انتقال السلطة إلى فريق أكثر شباباً

أخيراً، هناك سبب ثالث للتشكيك في احتمال ظهور الصين قوةً عالميةً رئيسةً خلال السنوات العشرين القادمة أو ما يقاربها. فالصين ستظل فقيرة جداً بالمنظور النسبي. وحتى لو استطاعت الصين أن تضاعف إجمالي ناتجها المحلي ثلاثة أضعاف فإن سكانها يظلون ضمن المراتب الدنيا في معدل الدخل للفرد الواحد بين دول العالم، فضلاً عن الفقر الفعلي لقطاع كبير من سكانها، كما ستظل في مرتبة متدنية جداً فيما يتعلق بتوزيع الهواتف، والسيارات، وأجهزة الحاسوب، والبضائع الاستهلاكية بالنسبة إلى الفرد الواحد!

أما اليابان فإن بريجينسكي يرفض «التنبؤات» التي ترى وجود تفوق اليابان في مجال التنافس التقني مع الولايات المتحدة وتحولها (أي اليابان) إلى مركز «إمبراطورية المعلومات» العالمية. ويستند رفض بريجينسكي لهذه التنبوءات أو «التحليلات البسيطة» إلى كونها قد حجبت الدرجة التي كانت اليابان، وستظل، عليها من الهشاشة. فاليابان هشة إزاء أدنى انقطاع في التدفق العالمي المنظم للموارد والتجارة، فضلاً عن الاستقرار العالمي بشكل عام. كما أنها معاقة بفعل نقاط محلية ظاهرة سكانية (ديموغرافية)، واجتماعية، وسياسية. إن اليابان ثرية، وديناميكية، وقوية اقتصادياً، لكنها - في الوقت نفسه - معزولة إقليمياً ومقيدة سياسياً باعتمادها الأمني على حليف قوي

(أمريكا) شاءت ظروفه أن يكون الحامي الأول للاستقرار العالمي (الذي تعتمد عليه اليابان كثيراً) والمنافس الاقتصادي الرئيس في آن معاً.

ويتساءل بريجينسكي هل تستطيع اليابان أن تصبح قوة إقليمية في منطقة مازالت تعدها موضع الرفض، وحيث تبرز الصين قوةً إقليمية مسيطرة؟. ثم يضيف متسائلاً أيضاً:

هل تستطيع اليابان أن ترضى بهذا الدور الصيني؟ وهل تستطيع اليابان أن تصبح قوة عالمية شاملة حقاً (بجميع الأبعاد المطلوبة) من دون تعريض الدعم الأمريكي إلى مزيد من العداء الإقليمي؟ وهل ستبقى أمريكا، في جميع الأحوال، في مكانها في آسيا؟ وكيف سيؤثر رد فعلها إزاء تنامي النفوذ الصيني في الأولوية التي تعطيها للعلاقات الأمريكية ـ اليابانية؟ إن مثل هذه الأسئلة لم تكن لتُثار خلال الحرب الباردة، أما اليوم فقد برزت إستراتيجياً، وهي الآن تستقطب جدلاً نشيطاً في اليابان، وقد أسفر ذلك «الجدل النشيط» ـ حول ما يجب أن تكون عليه الجيوستراتيجية اليابانية ـ عن ظهور ثلاثة توجهات رئيسة، وربما يضاف إليها توجه رابع ثانوي: الأول (وأفراده من أنصار «أمريكا أولاً» المتحمسين)، وينطلق من الاقتناع بأن المحافظة على العلاقات الأمريكية ـ اليابانية الحالية (وغير المتكافئة) يجب أن تظل الجوهر المركزي للجيوستراتيجية اليابانية. أما الثاني «ويمثله المركنتاليون العالميون) فيتركز في حقيقة كون اليابان قوة اقتصادية في المقام الأول، وعليها أن تتبع سياسة الارتباط الاقتصادي العالمي، وهو ما يعزز، بهدوء، مكانتها الدولية. ويعتقد أفراد التوجه الثالث (وهم الواقعيون الناشطون) بأن اليابان بصفتها ديمقراطية غنية ناجحة تمتلك الفرصة لتحقيق أثر يذكر في عالم ما بعد الحرب الباردة، كما يؤمنون بأن ذلك

كلما تسارعت حركة روسيا باتجاه أوربا، تسارع ملء «الثقب الأسود» في أوراسيا بمجتمع يزداد حداثة وديمقراطية

يجب أن يكون الهدف الذي تلتزمه. وأنها ـ بتحقيقها ذلك ـ ستحصل على التقدير العالمي الذي تستحقه بصفتها محطة توليد اقتصادية، لها مكانتها التاريخية بين القلة من الدول ذات العظمة الحقيقية في العالم. أما التوجه الرابع (ويمثله أصحاب الرؤية الدولية) فيعدُّ التوجه الأقل تأثيراً من بين التوجهات الأربعة، ويدعو أصحاب هذا التوجه ـ الذين ما ينفكون

يحثون على فكرة إقامة «نظام عالمي جديد» ـ اليابان، بسبب تحررها من المسؤوليات الجيوبوليتيكية، على أن تصبح زعيمة عالمية في مجال إيجاد أجندة إنسانية وتطويرها حقاً لكامل المجتمع العالمي.

وعلى الرغم من الاختلافات بين هذه التوجهات، إلا أنها تتفق جميعاً على قضية إقليمية رئيسة هي: أن قيام تعاون آسيوي ـ باسيفيكي متعدد الأطراف هو في مصلحة اليابان. كما أنها تتفق على أن الرعاية الحذرة للصين أفضل بكثير من أي محاولة تقودها أمريكا باتجاه الاحتواء المباشر لها.

وفي نهاية الفصل يحدد بريجينسكي المعالم الأساسية والعامة لكيفية «تكيف أمريكا الجيوستراتيجي» مع كل من اليابان والصين. مؤكداً أن من شأن التخلي عن التعلق بفكرة التهديد المزعوم الذي يفرضه ارتقاء اليابان الاقتصادي ونزع الخوف من عضلات الصين السياسية، أن يساعد على بث الواقعية الهادئة في سياسة ينبغي لها أن تستند إلى الحسابات الإستراتيجية الحذرة: كيفية توجيه طاقة اليابان نحو الاتجاه الدولي، وكيفية توجيه القوة الصينية باتجاه التوافق الإقليمي. بهذه الطريقة وحدها تستطيع أمريكا أن تشكل على البر الشرقي لأوراسيا المكافئ المتجانس جيوبوليتيكياً لدور أوربا عند الطرف الغربي من أوراسيا، وهو ذلك البناء من القوة الإقليمية القائم على المصلحة المشتركة.

هوامش

١. نظرية المدى أو المجال الحيوي: نظرية جيوبوليتيكية قام الألمان بتطويرها في عهد الدولة الهتلرية. وترى هذه النظرية أن لكل شعب الحق بالاستيلاء على المدى الضروري له؛ وذلك ليتمكن من الانطلاق بشكل كامل، بما في ذلك «ضمان الأمن الغذائي والموارد الطبيعية الضرورية لبقائه وتطوره». انظر د. محمد فايز عبد أسعيد «الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي)، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٣م، ص٧٢.

٢. راجع: لسترثارو، «الصراع على القمة ـ مستقبل المنافسة الاقتصادية بين أمريكا واليابان»، ترجمة: أحمد فؤاد بليع، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٠٤، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر ١٩٩٥م.

٣. راجع: صمويل هنتنجتون، «القوة العظمى الوحيدة»، ترجمة: د. هشام الدجاني، في «مجلة الثقافة العالمية»، العدد ٩٦، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٩م، ص٦ وما بعدها.

٤. انظر: معاذ الأشهبي، «دفاعاً عن هنتنجتون!!» في صحيفة «الثقافية»، تعز ـ اليمن، العدد ٤٧، ٢٢/٦/٢٠٠٠م، ص٨. ثم وازن بـ:

Samuel P Huntington, The Clash of civilizations and the remaking of the world order (New York. Simon and Schuster,1996).

الملف الثقافي

فروع جائزة
خادم الحرمين الشريفين

جائزة دولية
لمؤسسة الملك فيصل الخيرية

إعادة كتابة تاريخ الصراع
العربي - الإسرائيلي

ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم

انقراض نصف لغات العالم

مانديلا
و«طريق طويل إلى الحرية»

تكريم ساراماجو
وماركيز يرفض التكريم



خاتمة المطاف

الأمثال العامية
في بلدة أشيقر

فروع جائزة خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز

أوضح وكيل الرئيس العام لشؤون الشباب الدكتور صالح أحمد بن ناصر أن جائزة خادم الحرمين الشريفين للإبداع في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية التي سبق أن أقرها وزراء الثقافة بدول مجلس التعاون في اجتماعه العاشر بدولة البحرين - ستمنح في ثلاثة فروع هي: الفنون والأدب، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والعلوم الأساسية والتطبيقية.

وقال: إن فرع الجائزة في الفنون والأدب سيشمل الشعر، والنقد، والقصة، والرواية، والفنون التشكيلية، وجميع أشكال التعبير الفني والكتابي، فيما يشمل فرع العلوم الاجتماعية والإنسانية: الاجتماع، والتربية، وعلم النفس، والفلسفة، والتاريخ، والجغرافيا.

أما فرع العلوم الأساسية والتطبيقية فيشمل: الفيزياء، والرياضيات، والطب، والهندسة، والعلوم التي تدخل في هذا المجال.

وبين الدكتور ابن ناصر أن الجائزة ذات صفة تقديرية تمنح للمتميزين ذوي الإسهامات البارزة من مواطني دول المجلس مشيراً إلى أن الفائزين بالجائزة سيتحددون من خلال لجنة التحكيم، وهي لجنة متخصصة يشكلها مجلس الأمناء في مجالات الجائزة، ولجنة الاختيار التي تتفرع منها لجنة لكل مجال من المجالات الثلاثة تتولى اختيار من يمنح الجائزة.

ومن شروط الترشيح أنه لا بد أن تكون جميع الأعمال مكتوبة، وأن يكون المرشح من موظفي دول مجلس التعاون، ويكون العمل المقدم للجائزة أصيلاً، ويسهم في الإثراء الثقافي والعلمي وخدمة المجتمع، وأن يكون منشوراً أو مكتوباً باللغة العربية، وأشار وكيل الرئيس العام لرعاية الشباب لشؤون الشباب إلى أن الجائزة تمنح للشخص مرة واحدة، ويكون ترشيحه عن طريق مؤسسة ثقافية أو علمية أو أفراد، ويتقدم بها شخصياً على أن يتضمن الترشيح سجله العلمي، ونبذة من سيرته الذاتية مع تقديم خمس نسخ من إنتاجه.

وكشف أن الرئاسة العامة لرعاية الشباب بصدد استكمال الإجراءات الخاصة بالجائزة التي يجري التنسيق بشأنها بين الرئاسة والأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، وعند استكمالها سيتم الإعلان عنها.

وعدّ الدكتور ابن ناصر هذه الجائزة إغناء للساحة الثقافية والعلمية في دول مجلس التعاون، وحافزاً للمبدعين في مجالات الجائزة كافة، واصفاً إياها بأنها تأكيد لوحدة الثقافة الخليجية المستمدة من القيم الإسلامية والعربية، وترجمة للتعاون المشترك بين دول المجلس.

جائزة دولية لمؤسسة الملك فيصل الخيرية

منحت منظمة العلاقات العامة الدولية «إحدى منظمات هيئة الأمم المتحدة» جائزة شهادة الاعتراف لعام ٢٠٠١م شراكة بين كل من مؤسسة الملك فيصل الخيرية وشركة العلاقات العامة الدولية «أليجو الدولية».

وقد منحت هذه الجائزة، التي تعد من أشهر جوائز المنظمة، لمؤسسة الملك فيصل الخيرية «مشاركة» وذلك للمعرضين الفنيين اللذين أقامهما كل من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير، والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، وصاحب السمو الملكي الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا أمير ويلز في كل من لندن في يونيو/حزيران ٢٠٠٠م، والرياض في فبراير/شباط ٢٠٠١م، إذ شهدهما جمهور من المثقفين، وكان لهما الأثر في دعم الروابط الثقافية بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا.

الجدير بالذكر أن منظمة العلاقات الدولية تم تأسيسها من قبل الأمم المتحدة في نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٤٩م، لتكون منظمة غير حكومية تقوم بدور استشاري للمجلس الاجتماعي والاقتصادي، واليونسكو.


الأمير خالد الفيصل والأمير تشارلز

ولقد تم إنشاء هذه المنظمة لتشجيع الجهود المتميزة لتطوير التفاهم باستثمار آليات الاتصال الجمعي، وقد سبق لهذه المنظمة أن منحت جوائزها إلى منظمة نوبل عام «١٩٧٧م»، والصليب الأحمر الدولي عام «١٩٧٨م»، وصندوق الحياة الفطرية الدولية عام «١٩٨٧م»، ومركز أمير ويلز التجاري عام «١٩٩٧م».

وقد صرح أنتوني بيلي رئيس المعارض ومدير أليوجوالدولية مؤخرا في الرياض بأن المعرضين اللذين زارهما الآلاف في كل من الدولتين وعلى رأسهم صاحبة الجلالة الملكة اليزابيث الثانية، وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، قد نجحا في تحقيق التقارب بين البلدين من خلال الوسائل الثقافية، وأن هذه الجائزة اعتراف عالي القدر لأدوار كل من البلدين في السعي لتشجيع التبادل الثقافي بين أجزاء مهمة من العالم، ودعم التفاهم الدولي.

الموريسكيون والبحر المتوسط

بدعوة من مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات واللجنة العالمية للدراسات الموريسكية، تم، من ٩ إلى ١٢ مايو/أيار الماضي، عقد المؤتمر العالمي العاشر: للدراسات الموريسكية الأندلسية بعنوان «الموريسكيون والبحر المتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر»، وذلك وسط حضور مكثف، بمشاركة ٤٦ باحثاً من عدة مؤسسات جامعية وبحثية من البلدان التالية: الأرجنتين، وإسبانيا، وإيطاليا، وبورتوريكو، وتونس، والجزائر، وسويسرا، وفرنسا، وفلسطين، وفينلندا، وفينزويلا، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية. وقد تميز المؤتمر أول مرة بحضور مشاركين من أمريكا اللاتينية، وتم خلال أربع عشرة جلسة تقديم ٣٤ مداخلة علمية، إضافة إلى جلسة حوار مفتوح، تمكن خلالها المشاركون من مناقشة كثير من الملفات والإشكاليات، إذ كان البحر الأبيض المتوسط المحور والمرجع لفعاليات المؤتمر. وأثيرت موضوعات مختلفة تركزت في اللغة والدين والطب والفنون والعمارة على جانبي حوض المتوسط وأمريكا اللاتينية، وتم الاهتمام بالأدب الألخميادو كفرع خاص من فروع الثقافة الموريسكية، وهجرة الموريسكيين إلى الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وإلى العالم الجديد أي أمريكا اللاتينية، إذ بدأ الاهتمام مؤخراً بتداعيات وجودهم هناك من حيث اللغة والعادات ومدونة المعمار الذي مازال ماثلاً وشاهداً للعيان حتى اليوم. كما توقف الباحثون حول قرارات السلطات السياسية الإسبانية بخصوص لغة الموريسكيين ومحاولاتهم المستميتة للمحافظة على لغتهم العربية، في حين تغلبت الظروف على بعضهم الآخر، وتم استعمال اللغة القشتالية. وفي جلسة خصصت لحوار مفتوح حول آليات الشراكة العلمية المستقبلية بين الباحثين، اتسمت بتنوّع المسائل والإشكاليات المطروحة، ومدى الاهتمام الجديد الذي أظهره الباحثون للوجود الموريسكي بأمريكا اللاتينية، وهو ما يشكل موضوعاً في غاية الأهمية. وبعد مداولات غنية ومطولة، قرر المشاركون تنظيم المؤتمر الحادي عشر في أوائل شهر مايو/أيار ٢٠٠٣م حول الموضوع التالي «الحضور الموريسكي والحياة اليومية في البحر الأبيض المتوسط وأمريكا اللاتينية»، كما تبنى المشاركون موضوع إنشاء فرق بحث حول الإشكاليات الآتية:

- المخطوطات الموريسكية في العالم، وسوف يتعاون على القيام بذلك الباحثان د. خوان كارلوس فيلافيردي (إسبانيا)، و د. لوث لوباث بارلت (بورتوريكو).

ـ تداعيات الوجود الموريسكي بأمريكا اللاتينية، وسوف يشرف على فريق عمل د. لوي كارديال (المكسيك/فرنسا)، وماريا سارز ازو (الأرجنتين)، وماريا لويزا فرنناداز (فينزويلا).

وفيما يتعلق بموضوع «الحياة اليومية للموريسكيين: الثقافة والمعتقدات والآثار» سوف يتعاون د. جمال عبدالرحمن (مصر)، وماريا لويسا لوغو أسيفيدو (بورتوريكو).

وعن «الأدب الألخميادو كوسيلة للتعبير عن هوية الموريسكيين وخصوصياتهم» سوف يتعاون على القيام بذلك خوان كارلوس بوستو (إسبانيا)، وماريا تيريزا نرفاييز، وبياتريس سوتومايور (بورتوريكو).

ندوة عن ترجمة معاني القرآن بالمدينة المنورة



مبنى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

ينظم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ندوة عن ترجمة معاني القرآن الكريم تحت عنوان: «ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للحاضر وتخطيط للمستقبل» خلال الفترة من ٢١ - ١٤٢٢/١١/٢٤هـ، يشارك فيها صفوة من القائمين بترجمة معاني القرآن الكريم، والباحثين، والمهتمين بهذا المجال من مختلف أنحاء العالم.

وترمي الندوة إلى الاطلاع على ما يبذل من جهود ترجمة معاني القرآن الكريم في مختلف أنحاء العالم، والبحث عن وسائل لتطوير ترجمة معاني القرآن الكريم وتحسينها، والرقي بها إلى الأفضل، وإيجاد تعارف بين العاملين في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم، وكذلك توطيد الروابط بين مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة والهيئات والشخصيات المعنية بترجمة معاني القرآن الكريم.

وتنقسم الندوة خمسة محاور:

المحور العام، وموضوعاته هي: جهود مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في مجال الترجمة «دراسة تقويمية»، وملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم (يختار الباحث ترجمة مترجم معين)، ودراسة ترجمات معاني القرآن الكريم (يختار الباحث عدة ترجمات إلى لغة معينة)، وموضوع تجربتي في ترجمة القرآن الكريم (يتحدث المترجم عن تجربته)، ونقل معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى ترجمة أم تفسير؟، وأيهما أولى بالترجمة: ترجمة معاني القرآن الكريم أم تفسير العلماء له؟، وسيكون الموضوع الأخير في هذا المحور قضية التعليقات التفسيرية: أهميتها ومحتوياتها.

ويشمل المحور العقدي والشرعي سبعة موضوعات هي: الأخطاء العقدية في ترجمات معاني القرآن الكريم، والأخطاء الشرعية في ترجمات معاني القرآن الكريم. وترجمة لفظ الجلالة، وترجمة المصطلحات الإسلامية مثل: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والتعامل مع الأعلام ذات الصلة بالأديان السابقة الواردة بالقرآن الكريم مثل: آدم، نوح، إبراهيم، عيسى، موسى عليهم السلام. وترجمة معاني القرآن الكريم في ضوء ما استجد من العلوم، وآخر موضوعات هذا المحور هو ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة.

أما المحور اللغوي، فيتناول عدداً من الموضوعات، هي أخطاء في ترجمات معاني القرآن الكريم مردها خطأ في فهم اللغة، ومسائل نحوية أخطأ في فهمها المترجمون، والألفاظ القرآنية التي لها أكثر من مدلول، ومعاجم ألفاظ القرآن الكريم الثنائية اللغة، وماذا يراعى في لغة الترجمة؟

ورابع محاور هذه الندوة هو المحور التاريخي الذي يندرج تحت خمسة موضوعات هي: عناية المملكة

العربية السعودية بترجمة معاني القرآن الكريم، وتاريخ تطور ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة ما، وتاريخ تطور ترجمة معاني القرآن الكريم في نطاق جغرافي معين، وتاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل غير المسلمين ودوافعها وخطرها، وتاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها.

وآخر هذه المحاور التي ستناقشها ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم هو المحور الدعوي، وسيتم من خلاله مناقشة ثلاثة موضوعات هي: دور ترجمات معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ومواصفات الترجمة المعدة للاستعمال في مجال الدعوة، والنشر الالكتروني لترجمات معاني القرآن الكريم في خدمة الدعوة، وتحدد آخر موعد لتسلم البحوث في ١٤٢٢/٦/١هـ الموافق ٢٠٠١/٨/٢٠م.

جائزة ألمانية للكوني

منحت الفيدرالية السويسرية جائزة اللجنة العليا للآداب المنشورة بالألمانية خلال العام الحالي للكاتب الليبي إبراهيم الكوني عن روايته «المجوس» التي ترجمها إلى اللغة الألمانية هارتموت فيندريخ، ليصبح الكوني أول كاتب في العالم الثالث يفوز بهذه الجائزة، ولقيت الرواية رواجاً كبيراً في الأوساط الثقافية الأوربية، ونظم حولها كثير من الندوات في سويسرا وألمانيا.

ويعد الكوني، الذي يعيش في سويسرا منذ عدة سنوات، من أهم الروائيين العرب الذين تناولوا واقع الصحراء، وتفاصيل حياة البدو، كما عُرف بتركيزه في أعماله الروائية والقصصية في الطوارق، وتناول بيئتهم وفلكلورهم الشعبي.

جائزة الناشرين للكردي إيدين

منح اتحاد الناشرين الأتراك في إستانبول مؤخراً جائزة «حرية الفكر» للروائي الكردي محمد إيدين «تقديراً لدفاعه عن القيم الإنسانية، ومبادئ حقوق الإنسان، ولطرحه الأفكار الديمقراطية في رواياته».

وقد حضر الاحتفال عدد كبير من الأدباء والناشرين الأتراك يتقدمهم الأديب التركي المشهور والمرشح لنيل جائزة نوبل للآداب منذ عام ١٩٧١م ياشار كمال.

ويبلغ إيدين من العمر ٤٣ عاماً، وكتب روايتين باللغة الكردية ترجمتا إلى اللغة التركية، إلا أن محكمة أمن الدولة رفضت نشرهما، وأصدرت قراراً بجمعهما ومصادرتهما بناء على دعوى المدعي العام، ولم تكتف بذلك بل قدمت مؤلفهما إلى المحاكمة، ولكنه نال البراءة من أول جلسة، والمعروف عن هذه الجائزة أنها تمنح منذ أربع سنين للتذكير بالضغوط المسلطة على حرية الفكر في تركيا.

سيرة ذاتية لدمية!


مي التلمساني

عن دار شرقيات للنشر بالقاهرة صدرت الرواية الثانية للكاتبة ميّ التلمساني بعنوان «هليوبوليس»، وتقع في ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط، وتروي عبر فصولها الثلاثة والعشرين ملامح من سيرة دمية أو ماريونيت اسمها «ميكي» هي القرين أو الظل الملازم للبطلة التي ترى من خلاله العالم، وتتعرف بفضله مجمل القيم التي تتبناها الطبقة المتوسطة في حي هليوبوليس «مصر الجديدة» العريق.. تدور الأحداث بين عامي ١٩٧٠م عقب وفاة الزعيم جمال عبدالناصر، و ١٩٨١م عقب اغتيال الرئيس أنور السادات، وهي الفترة التي يتفتح فيها وعي البطلة على الحياة، وعلى بعض الأحداث السياسية والمتغيرات الاجتماعية التي تطرأ على الواقع المصري في مرحلة السبعينيات.

اعتراض «كير»

طالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» اللجنة اليهودية الأمريكية بتأجيل نشر كتاب عن الإسلام بعنوان «أبناء إبراهيم... مقدمة عن الإسلام

لليهود» تزمع اللجنة نشره بدعوى «دعم الحوار بين اليهود والإسلام بالولايات المتحدة».

وطالب المجلس، في بيان صحفي، اللجنة اليهودية الأمريكية بضرورة عرض هذا الكتاب على لجنة من علماء المسلمين الموثوق بهم لتصحيح المغالطات الموجودة فيه قبل نشره.

وكانت «كير» قد اعترضت على شخصية المؤلف المدعو خالد دوران، وقالت: إنه شخص مشكوك في هويته الأصلية، ويدّعي الإسلام، وأن عدداً من الدراسات المسيئة للإسلام والمسلمين قد نشرت في السابق ونسبت إلى هذا الكاتب.

أقدم كتاب في بغداد

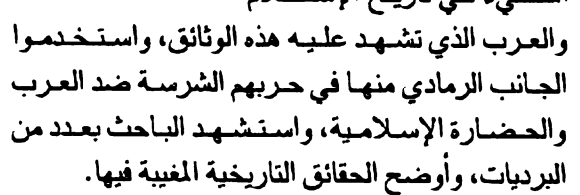
عثر في المكتبة القادرية الملحقة بجامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني على أقدم ديوان شعر مخطوط بعنوان «المستهل» لأبي محجن يعود تاريخه إلى عام ٤٤٤ هجرية.

وتعد المكتبة القادرية إحدى خزائن العصر العباسي في بغداد، ويعود تاريخ تأسيسها إلى بدايات القرن السادس الهجري، وشيدت مبانيها أول مرة من قبل قاضي «باب الأزج» أحد أبواب بغداد الذي أطلق عليه في ما بعد «باب الشيخ» نسبة إلى الشيخ أبي صالح عبدالقادر الكيلاني الحسني.

وتحتوي المكتبة ١٨٣٤ مجلداً ومخطوطاً و ٢٢٢ مصوراً، إضافة إلى مجموعة من مصاحف القرآن، والمخطوطات، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وتضم أيضاً وصفاً لمجموعة من اللوحات والوثائق النادرة ذات القيمة التاريخية، وكذلك رسائل لأكثر من عالم.

سلاح البردي

تعد وثائق البردي من أهم الآثار التاريخية العربية التي هُرِّبت بالآلاف من وطنها وانتشرت في أكثر من ٣٠ مركزاً في المكتبات والمتاحف ومراكز البحث في الجامعات الغربية، وظلت هذه الوثائق تستخدم أداة في الحرب الحضارية ضد العرب والمسلمين.


سعيد مغاوري محمد

تطرق الباحث المصري الدكتور سعيد مغاوري محمد المشرف على البرديات العربية بدار الكتب والوثائق المصرية إلى هذا الجانب في مقابلة له مع صحيفة «دنيا الاتحاد»، وأوضح كيف غيّب الغربيون الجانب المضيء في تاريخ الإسلام والعرب الذي تشهد عليه هذه الوثائق، واستخدموا الجانب الرمادي منها في حربهم الشرسة ضد العرب والحضارة الإسلامية، واستشهد الباحث بعدد من البرديات، وأوضح الحقائق التاريخية المغيبة فيها.

وتعد مجموعة «راينر» في النمسا أكبر مجموعات البرديات في الخارج؛ إذ يبلغ إجمالي عدد أوراقها مئة ألف وستمئة ورقة، منها مئة ألف ورقة عربية، والبقية أوراق يونانية ولاتينية، بالإضافة إلى أوراق أخرى في روسيا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا وتشيكيا، أما في البلاد العربية فتجيء مجموعة دار الكتب المصرية أكبر مجموعة بردية تضم ٤ آلاف ورقة بردية، كما توجد أوراق بردية أخرى في تونس وجدة.

وقد وعد الباحث مغاوري بتنظيم أرشيف وثائقي يصور كل ما تحتويه أوراق البردي العربية والإسلامية المنتشرة في كل متاحف العالم ومكتباته.

مؤسسة بارنز تواجه الإفلاس


من أعمال الفنان سورا

تواجه مؤسسة بارنز التي أنشأها الدكتور ألبرت بارنز في مستهل القرن الماضي في ضاحية فيلادلفيا، خطر الإقفال لأسباب مالية، وكان بارنز قد توفي عام ١٩٥١م تاركاً للمؤسسة مبلغ ١٠ ملايين دولار جمعها عبر توصله إلى اكتشاف دواء مطهر، صرفت كلها، وكان قد ترك أيضاً وصية تنص على منع انتقال أي لوحة إلى ورثته، وحظر

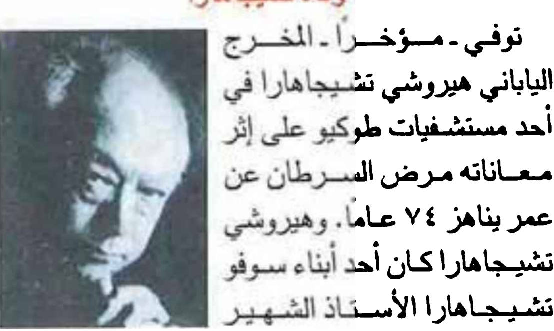
بيع أي لوحة أو إعارتها أو تأجيرها، وحدد عدد الزوار، وألزم المؤسسة استقبال التلامذة، وصيانة مشتل الأشجار الذي بنيت عليه القاعة الكبرى بأحجار بيضاء.

وتضم هذه المؤسسة، التي تأخذ شكل متحف ومدرسة، عدداً كبيراً من اللوحات الفنية لكبار الرسامين الانطباعيين، فتضم ١٨١ لوحة لرينوار، و ٦٩ لوحة لسيزان، و ٦٠ لوحة لماتيس، وعدداً آخر من اللوحات لسورا وديغا وبيكاسو.

وأعلنت المؤسسة عبر موقعها في شبكة الإنترنت أن «هدفنا، وهو إبقاء المؤسسة على قيد الحياة، يتعرض لتهديد عنصر أساسي هو المال.. في الواقع، أن مواردنا محدودة جداً بحيث نرغم على الإقفال خلال عام».

ولكن السيدة كامب المديرة السابقة لمتحف الفنون الإفريقية ـ الأمريكية في ديترويت متفائلة بحل هذه المشكلة، إذ قالت: «إن كل ما نحتاج إليه لبقاء المؤسسة مفتوحة هو مبلغ ١٥ مليون دولار»، وأضافت «أن ثلاثة ملايين دولار سنوياً خلال خمس سنوات، مبلغ ليس كبيراً في أمريكا، وأنا واثقة من أننا سنحصل على المبلغ».

وفاة تشيجاهارا



تشيجاهارا

توفي ـ مؤخراً ـ المخرج الياباني هيروشي تشيجاهارا في أحد مستشفيات طوكيو على إثر معاناته مرض السرطان عن عمر يناهز ٧٤ عاماً. وهيروشي تشيجاهارا كان أحد أبناء سوفو تشيجاهارا الأستاذ الشهير بمدرسة تنسيق الزهور المعروفة في اليابان.. ودرس في كلية الفنون الجميلة، وانضم إلى احدى الدوائر المتخصصة في السريالية، وهي دائرة «سيكي» أو العصر، حيث التقى بالكاتب كوبو آبي بعد دراسة لتقنية السينما، ثم أخرج فيلماً من الأفلام الوثائقية بعنوان «هوكوس».. وآخر عن الملاكم خوسيه توري.

في عام ١٩٦٢م أعدَّ هيروشي أول فيلم طويل بعنوان «الفخ» عن إحدى روايات الكاتب كوبو آبي. وبالتعاون مع ذلك الكاتب قدم المخرج معظم أفلامه خلال الستينيات، ومن أشهرها فيلم «سيدة الرمال» الذي حصل بسببه على جائزة لجنة التحكيم في مهرجان «كان» السينمائي في عام ١٩٦٤م».

رفع قيمة جائزة نوبل

قالت مؤسسة نوبل إنها قررت رفع قيمة جوائز نوبل لهذا العام بشكل كبير.

وأضافت المؤسسة في بيان: «ستصل قيمة كل من جوائز نوبل لعام ٢٠٠١م في الفيزياء والكيمياء والطب والأدب والسلام إلى عشرة ملايين كرونة بزيادة ١ر١١ في المئة على جوائز عام ٢٠٠٠م».

ألفريد نوبل

وأفادت المؤسسة أن الجائزة التي يمنحها البنك المركزي السويدي في العلوم الاقتصادية إحياء لذكرى ألفريد نوبل، ستكون أيضاً عشرة ملايين كرونة هذا العام.

وتعلن أسماء الفائزين بجوائز نوبل سنوياً في أكتوبر/تشرين الأول، ويتسلم الفائزون جوائزهم وشيكات بقيمتها المالية في ديسمبر/كانون الأول.

تاريخ الصراع

قرر الاتحاد العام للمؤرخين العرب تشكيل لجنة تحضيرية لإعادة كتابة تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي. وأكد الاتحاد في مذكرة وزعها على مؤسسات البحث العلمي في الدول العربية أن الحركة الصهيونية قامت بأكبر عملية تزوير للتاريخ بهدف تضليل الرأي العام العالمي حول وجود حقوق لليهود في فلسطين. وأوضحت المذكرة أنه لم يثبت حتى الآن أي وجود لليهود في فلسطين على الإطلاق على الرغم من عشرات الحفريات التي قامت بها السلطات

الإسرائيلية في كثير من المدن والبلدات في الأراضي الفلسطينية.

ودعت المذكرة المؤسسات العلمية والثقافية في الدول العربية إلى تزويد الاتحاد العام للمؤرخين العرب بالمعلومات التي تدحض مزاعم اليهود في فلسطين.

جبل القديسة

بيعت - مؤخراً - لوحة «جبل القديسة فيكتوار» إحدى أشهر لوحات بول سيزان بما يفوق الـ ٣٨ مليون دولار. وكان سيزار رسم هذه اللوحة في عامي ١٨٨٨ و١٨٨٩م علماً بأنه أمضى سنوات حياته الأخيرة في رسم مشاهد مختلفة للجبل الشهير المشرف على إكس - أون - بروفانس في جنوب فرنسا.

بول سيزان

وهذه اللوحة واحدة من مجموعة تضم سبع لوحات تتسم بالتيار الانطباعي، وكان يملكها الألماني هاينز برجروين (٨٧ عاماً)، الشهير بجمع التحف واللوحات.

البحث عن كتاب!!

أعلنت مدينة كيلكيني الإيرلندية عن مكافأة قيمتها ٢٠٠١ جنيه إيرلندي (٢٨٦٩ دولاراً أمريكياً) لاستعادة كتاب أثري عمره ٤٥٠ عاماً تمت استعارته قبل ١٣٠ عاماً.

وقال بول كوديهي عمدة المدينة: إنه يبدو أن الكتاب واسمه «ليبر سيكوندوس»، ويشمل سجلات قضايا وأحداث محلية أخرى تعود إلى النصف الأول من القرن السادس عشر قد أعير بواسطة أمين البلدية في سبعينيات القرن التاسع عشر ولم يُردّ منذ ذلك الحين.

وأضاف «لا نعرف أين هو؟ ولكن إذا كان بحوزة أحد فيمكننا التحقق من أنه الكتاب الأصلي، وسنقدم المكافأة مقابل استعادته».

وأوضح كوديهي أن الكتاب جزء من سلسلة تسجل تاريخ مدينته التي أسست في القرن السادس الميلادي.

وقال: «أعتقد أن شخصاً ما استعار الكتاب، وربما كان معروفاً لأمين البلدية في ذلك الحين، وقد استعاره لإجراء أبحاث».

تحالف صحفي

أقامت أربع من كبرى الصحف الأوربية هي الألمانية «دي فيلت»، والبريطانية «ديلي تلجراف»، والفرنسية «لو فيجارو»، والإسبانية «ا ب ث» مؤخراً تحالفاً فيما بينها لتطوير التعاون بين هيئات التحرير.

ووقع إعلان النوايا لتأسيس «تحالف الصحف اليومية الأوربية» في مقر الصحيفة الإسبانية في مدريد مديرو الصحف الأربع التي تبيع يومياً أكثر من مليوني نسخة. وجاء في بيان نشرته هذه الصحف أنها «اتفقت على أن هيئات التحرير - للصحيفة العادية والنشرة على الإنترنت - ستتعاون فيما بينها لدعم الجهود الهادفة إلى تقديم أنباء على مستوى عالمي».

وأبدى التحالف استعداده لقبول صحف جديدة من النوعية نفسها من دول أخرى.

وسيكون مدير تحرير صحيفة «لو فيجارو» جان دو بيلو أول من يتولى الرئاسة الدولية للتحالف؛ لأن الصحيفة الفرنسية هي الأقدم بين زميلاتها الأوربية، فيما سيتولى الأمانة العامة رامون بيريس - مورا نائب مدير صحيفة (ا ب ث).

حمار ذهبي

صدر مؤخراً عن «منشورات الاختلاف» ترجمة الدكتور (أبو العيد دودو) من اللاتينية لما عرف بأول رواية في تاريخ الإنسانية «الحمار الذهبي» للمفكر الإفريقي الجزائري لوكيوس أبوليوس، وضمن الدكتور دودو الكتاب الذي صدر في طبعة أنيقة تعريفاً بالمؤلف أبوليوس ابن مدينة مداوروش ونشأته ودراسته ورحلاته ثم آثاره الأدبية التي تعد رائعة «الحمار الذهبي» أهمها على الإطلاق.

ورواية «الحمار الذهبي» التي سماها المؤلف بـ «أحد

عشر كتاباً في التحول» هي قصة شاب يدعى لوكيوس سافر من مدينة كورنث إلى مدينة هيباتا، سمع في طريقه من مسافرين حكاية بشعة عن السحر فحركت فضوله، وعندما وصل إلى المدينة نزل ضيفًا على غني بخيل يدعى ميلو، كما التقى في المدينة صديقةً لأمه حذرته من الأعمال السحرية التي تمارسها زوجة مضيفه بامفيلا.

ويقول الكتاب: إن فضول الشاب دفعه للتقرب من خادمة بامفيلا التي وعدته بتمكينه من رؤية سيدتها وهي تمارس أعمالها السحرية، ووفت بوعدها عندما أخذته إلى مكان خفي استطاعا منه أن يلاحظا معاً كيف أخذت بامفيلا مرهماً من إحدى العلب ودهنت به جسمها فتحولت إلى بومة، وطارت، وراحت تحلق مبتعدة عن بيتها، فحرص أن يعيش هو نفسه تجربة تحول من هذا النوع على الفور، وألح على الخادمة أن تستجيب لرغبته، فلم تمانع في ذلك، وعندما أحضرت له المرهم المطلوب أخطأت في تناول العلبة المناسبة فكانت نتيجة ذلك أن تحول لوكيوس إلى حمار بدل طائر!

انقراض لغوي

يشير أغلب علماء اللغة أن نهاية هذا القرن ستشهد انقراض نصف لغات العالم التي يبلغ تعدادها حالياً ٦٨٠٠ لغة، كما توقع علماء معهد «ورلد ووتش» الأمريكي في واشنطن اندثار ٩٠ في المئة من لغات العالم مستقبلاً.

وقد أشار بايال سمبات الباحث في معهد «ورلد ووتش» في بحث له نشر ضمن تقرير المعهد الذي صدر مؤخراً بعنوان «الإشارات الحيوية ٢٠٠١»، وهو عن أهم التغيرات المقبلة في العالم، أن القرون الخمسة الماضية شهدت اختفاء ٤ آلاف إلى ٩ آلاف لغة من على وجه الأرض لعدة أسباب منها: حروب الإبادة والتطهير العرقي، وتحريم استخدام اللغة بسبب العرق أو الدين، واندماج الأقليات العرقية بالأغلبية.

وتصدرت لغة المندرين الصينية قائمة اللغات الأكثر انتشاراً إذ يتعامل بها ٨٨٥ مليون شخص، وتليها اللغة الإسبانية، ثم اللغة الإنجليزية فالعربية، والبنغالية، والهندية، والبرتغالية، والروسية، واليابانية، والألمانية، كما أصبحت اللغة الإنجليزية اللغة العالمية للتجارة والتكنولوجيا ويتحدث بها نحو ٣٥٠ مليون شخص بوصفها لغة ثانية. وهي اللغة الأم لنحو ٣٢٢ مليون شخص.

مانديلا وسيرته الذاتية


نيلسون مانديلا

من المقرر أن يتابع الرئيس السابق لجنوب إفريقية نيلسون مانديلا (٨٢ عاماً) كتابة تتمة سيرته الذاتية التي جاءت تحت عنوان «طريق طويل إلى الحرية»، وقد قُدر أن ينجز مانديلا هذا العمل خلال ستة أشهر إلى ثمانية.

وذكر بيان صادر من مكتب مانديلا «أن مانديلا سيوجه ٨٠٪ من وقته لهذه المهمة التي سينجز الجزء الأكبر منها في الخارج»، وأضاف البيان: «عندما لا يكتب، سيوجه طاقته في المقام الأول لمفاوضات السلام في بوروندي، ولمشروعه إنشاء مدارس وعيادات».

ويتناول الكتاب الجديد، وهو الكتاب الثاني في سيرته الذاتية، الفترة التي تمتد من تاريخ الإفراج عنه في فبراير/شباط ١٩٩٠م، حتى الانتخابات المتعددة الأعراق في أبريل/نيسان ١٩٩٤م، «وكان مانديلا قد تطرق إلى هذه الفترة في كتابه الأول بإيجاز». وكذلك ولايته الرئاسية التي امتدت من عام ١٩٩٤م إلى عام ١٩٩٩م.

وأوضح البيان أن مانديلا قد قام بعمل تمهيدي للكتاب خلال السنتين الماضيتين ، ووصل الآن إلى مرحلة تخصيص الجزء الأكبر من وقته للكتابة الفعلية.

ماركيز يرفض التكريم

سوغ الكاتب الكولومبي جابرييل جارسيا ماركيز، الحائز على جائزة نوبل للآداب، رفضه استلام الدكتوراه

الفخرية التي منحتها له جامعة فيراكروزانا المكسيكية بأن هناك أسباباً شخصية تمنعه من قبول هذا العرض، وقد أرسل ماركيز رسالة اعتذار للمجلس الجامعي يعلن فيها اعتذاره وامتنانه لهذا التعيين.


جابرييل جارسيا ماركيز

وقد أعلن المجلس عن أسفه لهذا القرار، خاصة أن الجامعة كانت قد نشرت لهذا الكاتب أول أعماله الأدبية «جنازات الأم العظيمة».

وكانت الجامعة قد كرمت، بجانب ماركيز، كلاً من الكاتب المكسيكي كارلوس فوينتس، وعالم النفس سيدني بيجو «من جامعة رينو»، اللذين استلما تقديرهما في شهر أكتوبر/تشرين الأول من العام الماضي.

المعركة والأدب


ليانا بدر

«المعركة تقتل الأدب؛ لأن الحرب تستهلك قوى الإنسان المبدع وتجعله يعيش صراع البقاء»، هذا ما صرحت به الكاتبة الفلسطينية ليانا بدر التي تشارك في فعاليات ملتقى المبدعات العربيات السادس في سوسة بتونس لوكالة فرانس برس، وعللت الكاتبة ذلك بأن هناك «مذابح يومية تستهدف الشعب الفلسطيني، وإصابات متتالية للصحفيين والمبدعين، ومصادرات يومية للكتب، إلى جانب منع إدخال كتب إلى الأراضي الفلسطينية».

وترى بدر أن «المبدعين العرب مقصرون في مساندة رفاقهم في فلسطين»، ودعتهم إلى التحرك للتنديد بما يجري من انتهاكات لحقوق الشعب الفلسطيني، وعدم الاقتصار على نقل الأحداث.

وعن مداخلتها في الملتقى التي تحمل عنوان «خصوصية القضية الفلسطينية وانعكاسها على الكتابة» تحدثت بدر عن تجربتها القصصية التي تحاول من خلالها «أن تعكس مشكلات الفلسطينيين وتناقضاتهم سواء داخل وطنهم أو في المنفى».

وأوضحت «على المستوى الذاتي يهمني جداً الصراع بين القديم والجديد، بين التنوير والظلام، إذ لدينا ـ كبقية الشعوب ـ قوى تحاول أن تشدنا إلى الوراء، وأن تختصر كل البعد الحداثي والعصري الذي نعيشه».

عاشت الأديب الفلسطينة ليانا بدر فترة طويلة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، كما عاشت تجربة نضالية، ثم أقامت بعدها عشرة أعوام في تونس على إثر ترحيل الفلسطينيين من لبنان في عام ١٩٨٢م.

ولها كثير من الأعمال الأدبية منها: «بوصلة من أجل عباد الشمس»، و«أنا أريد النهار»، و«شرفة على الفاكهاني»، و«أرض من حجر وزعتر»، و«القفص الذهبي».

مواقع أثرية لبنانية

أعلن وزير الثقافة اللبناني غسان سلامة ـ مؤخراً ـ عن افتتاح مواقع أثرية في الوسط التجاري لبيروت تضم آثار بيروت الكنعانية والفينيقية، وثلاثة أسوار من العصر البرونزي، وقلعة صليبية، وقلعة فارسية، ومعالم أثرية تعود إلى ألفي عام قبل الميلاد. جاء ذلك في مؤتمر صحفي عقده سلامة قرب هذه المواقع في العاصمة اللبنانية بمناسبة يوم التراث الوطني.

وتتضمن الآثار التي كشف عنها النقاب تل بيروت القديم، وأحياء من العصر الهيليني، وسور وباب مدينة، وإنشاءات من العصر البرونزي، وقلعة من العصور الوسطى ومبنى من الفترة العثمانية، وغرفة منحوتة في الصخر من العصر البرونزي، وقلعة صليبية. وكشفت الحفريات الأثرية التي بدأت عام ١٩٩٣م في تل بيروت القديم عن المنشآت الأولى لمدينة بيروت القديمة «بيروتا»، فالتحصينات المتتالية بطول ٢٤٠ مترا شكّلت الحدود الجنوبية للمدينة.

وتوالت على هذا الموقع عدة حقب تاريخية بدءاً من العصر البرونزي ٣٢٠٠ قبل الميلاد حتى الحقبة العثمانية عام ١٩١٨م وصولاً إلى حقبة الاستقلال.

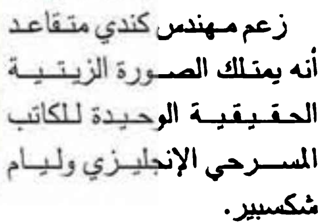


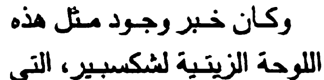
آثار قلعة صيدا

وقال سلامة: «إن أهمية هذا الموقع تكمن في عملية الكشف عن المنشآت الأولى لمدينة بيروت التي كانت تحمل اسم بيروتا، وعن تطورها من العصر البرونزي حتى الحقبة العثمانية». وأضاف «تتميز المعالم المكتشفة بحالة حفظها الجيد من جهة، وبتنوع الحضارات التي تمثلها من جهة ثانية».

صورة حقيقية لشكسبير

زعم مهندس كندي متقاعد أنه يمتلك الصورة الزيتية الحقيقية الوحيدة للكاتب المسرحي الإنجليزي وليام شكسبير.





شكسبير

وكان خبر وجود مثل هذه اللوحة الزيتية لشكسبير، التي يبلغ ارتفاعها ٤٠سم وعرضها ٣٣سم، وتعود إلى عصر اليزابيث، قد نشر للمرة الأولى في صحيفة «جلوب أند ميل» الواسعة الانتشار التي تصدر في تورنتو بكندا.

وقال المهندس الذي طلب عدم الكشف عن هويته: إن أحد أسلافه، وكان ممثلاً في عصر شكسبير، قام برسم اللوحة الزيتية للكاتب المسرحي الإنجليزي الشهير عندما كان شكسبير في التاسعة والثلاثين من عمره آنذاك.

وزعم هذا الرجل أن اللوحة التي رسمت بالزيت عام ١٦٠٣م ظلت تورث في عائلته أربعمئة عام قبل أن تأخذها أسرته معها إلى كندا التي هاجرت إليها من إنجلترا في مطلع القرن الماضي.

وأكد خبراء أن الصورة، وهي مرسومة بالزيت على لوح من الخشب الخفيف، حقيقية، ويعود تاريخها إلى مطلع القرن السابع عشر.

وقام خبراء في المعهد الكندي للصيانة ـ وهو وكالة حكومية في أوتاوا ـ بإجراء اختبارات على لوحة صورة شكسبير منذ أكثر من ست سنوات بهدف التأكد من أصالتها.

وقالت ماري ـ كلاود كوربيل العالمة البارزة في مجال الصيانة بالمعهد في حديث لصحيفة نيويورك: «استطعنا أن نثبت أن الصورة الزيتية تعود إلى أوائل القرن السابع عشر، وليست مزورة».

وأضافت قائلة: «لا يمكننا تحديد الشخص الذي قام برسم الصورة، لأن هذا يرجع إلى الخبراء المعنيين بهذا الجانب». ويذكر أن شكسبير لم يترك أي صورة له على الرغم من شهرته الواسعة، باستثناء تمثال نصفي صنع له من المرمر، ووضع على قبره، وصورة أخرى منقوشة، وكلاهما أعدا بعد وفاته.

اكتشاف حضارة قديمة

قال علماء الآثار الروس والأمريكيون: إنهم اكتشفوا حضارة قديمة انتعشت في وسط آسيا منذ أكثر من أربعة آلاف عام قبل أن يكتسحها طوفان التاريخ.

وأوردت صحيفة نيويورك تايمز أن سكان تلك المناطق قد بنوا واحات، وأقاموا مباني وتحصينات من قوالب الطين، وكان يرعون الأغنام والماعز، ويزرعون القمح والحنطة في الحقول، وطوروا فؤوساً من البرونز والسيراميك، وحفريات على المرمر والعظام، ومصوغات من الذهب والأحجار شبه الكريمة، وتركوا سلعاً ترفيهية فاخرة في مقابر الصفوة منهم.

وبدأت إنجازات تلك الشعوب غير المعروفة، فيما يعد الآن تركمانستان وأوزبكستان، في الظهور على مدى عدة عقود من أعمال الحفر على يد علماء الآثار في الاتحاد السوفييتي، الذين كانوا يعملون في جد ومثابرة، ولكن في صمت أكاديمي خلف الأبواب المغلقة.

وسام للشاعر الشرقاوي


علي الشرقاوي

قلد أمير البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة الشاعر البحريني علي الشرقاوي وسام الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة من الدرجة الرابعة.

وذكرت وكالة أنباء الخليج أن الشيخ حمد منح الشاعر الشرقاوي هذا الوسام تقديراً لجهوده الطيبة لخدمة البحرين من خلال ما قدمه من عطاء مميز من قصائد شعرية في تمجيد الوطن في مختلف المناسبات الوطنية. وأعرب الشيخ حمد عن تمنياته بالتوفيق والسداد للشاعر الشرقاوي في عمله الأدبي والفكري.

نقود تدمرية


من آثار تدمر

عثرت بعثة سورية برئاسة خالد الأسعد، وبولندية برئاسة ميشيل كايليكوفسكي - مؤخراً - على كتلة من القطع الفضية قدرت بأكثر من ٦٠٠ قطعة في الحي الشمالي لمدينة تدمر الأثرية، شمال شرق دمشق.

وقال الأسعد: إن البعثة المشتركة السورية البولندية عثرت على كيس من القماش التالف وبداخله كتلة من الدراهم الفضية قُدرت بأكثر من ٦٠٠ قطعة تعود إلى الفترة الساسانية التي تسمى بالكسراوية نسبة إلى كسرى ملك فارس. وأضاف أنه تم تفكيك ٣٥٠ قطعة حتى الآن في المعمل الفني في دمشق، وبقيت كتلة تقدر بحوالي ٢٥٠ قطعة تعالج حالياً.

وقال أيضاً: إنه يوجد على وجه القطع الفضية صورة نصفية لملك فارس، وعلى الوجه الثاني موقد نار وحارسان وكتابة باللغة البهلوية تذكر اسم الملك «خسرو الأول، وخسرو الثاني، وهرمز الرابع»، وكلها من القرن السادس والسابع الميلاديين.

وأكّد الأسعد أن الدراسة الأولية لهذه القطع تدل على أنها صكت في بلاد فارس قبل انتشار الإسلام في الفترة التي استولى فيها الفرس على سورية عام ٦١٢م.

وبقيت هذه الدراهم تستخدم في العهد الراشدي والأموي حتى زمن الخليفة عبدالملك بن مروان حيث قام بإزالة صورة الملك الفارسي، ووضع صورته محلها.

تكريم ساراماجو

تسلم الكاتب البرتغالي خوسي ساراماجو الحائز على جائزة نوبل للآداب الميدالية الفضية (كوينكا ميراث الإنسانية) تقديراً لمساهماته في الأدب العالمي في مهرجان الكتاب الخاص بالمركز الثقافي أجيري، وقالت اللجنة الحكومية التابعة لدار المجلس الإقليمي في كوينكا التي أقرت الجائزة: إن ساراماجو «أهل لهذا التقدير».

وقد اعترف الكاتب، قبل تسلمه جائزته بقليل، بأهمية التقنيات الحديثة، ولكنه قال إنها تفتقد للاتصال الحقيقي، لأنه «يمكن لشخص أن يكون محاطاً بشاشات التلفزيون، ولكنه يشعر أنه وحيد».

والجدير بالذكر أن ساراماجو هو سابع شخصية تفوز بهذه الجائزة.

سوق الكتب القديمة

وازن الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون بين معرض الكتاب السنوي ببلدة هاي اون واي في مقاطعة ويلز ببريطانيا ومهرجان وودستوك الأميركي للموسيقى قائلاً: إنه «ودستوك للعقل».

لكن موقف الكاتب المسرحي الأميركي آرثر ميلر

من أكبر مهرجان أدبي في بريطانيا جاء مغايراً تماماً. وحين سئل عما إذا كان يرغب في الظهور في هاي أون واي قال: «ما هذا الاسم؟.. هل هو نوع جديد من الشطائر؟»

آرثر ميلر

ويتوافد كل عام نحو ٥٠ ألفاً على البلدة التي أعلنت نفسها عاصمة لتجارة الكتب القديمة للتجول بين عشرات المتاجر. وكان كلينتون أحدث المشاهير الذين توافدوا على المهرجان. وبيعت تذكرة الاستماع إلى كلمته، عن حسم الصراعات، بمئة جنيه إسترليني.

وأقيم المهرجان أول مرة عام ١٩٨٨م حين تبنى فكرته رجل الأعمال نورمان فلورنس وابنه بيتر. ويعود المهرجان اليوم على البلدة بعائد سنوي يصل إلى ثلاثة ملايين جنيه إسترليني.

تهريب ثقافي

عُقد مؤخراً في كرواتيا، بدعوة من الأنتربول، مؤتمر لمناقشة سبل الحد من تهريب القطع الفنية المسروقة في دول أوربا الشرقية والوسطى، وقد حضر المؤتمر، الذي استمر ثلاثة أيام، نحو مئة ضابط شرطة جاؤوا من عشرين بلداً.

ورمى المؤتمر، الذي يعد الثالث من نوعه، بعد براغ عام ١٩٩٥م، وبودابست عام ١٩٩٨م، إلى تحسين طريقة إحصاء القطع الفنية المسروقة في هذه المنطقة من العالم التي تشهد الكثير من عمليات السرقة، وتحسين التنسيق بين أجهزة الشرطة في بلدان المنطقة.

وقال مدير الأنتربول ويلي دريدر، في رسالة تليت أمام المشاركين في المؤتمر: «إن سرقة الممتلكات الثقافية لا توفر أي بلد، أكان أوربا الوسطى أو الشرقية أو الغربية. إن البلدين اللذين يتعرضان أكثر من غيرهما للسرقة هما فرنسا وإيطاليا».

ونُسِبَ تزايدُ حوادث السرقة إلى فتح الحدود بين الدول، وتزايد الطلب على القطع الفنية، وحالة عدم الاستقرار السياسي التي تشهدها عدة دول.

وقد أشار وزير الداخلية الكرواتي الذي شارك في افتتاح المؤتمر: إلى أن أكثر من ١٥٠٠ عمل إجرامي سجل بين عامي ١٩٩١م و ٢٠٠٠م، وفقدت خلال هذه الفترة ٣٥٠٠ قطعة فنية.

فارس القديمة


قطعة أثرية فارسية

«فارس القديمة: كنوز المتحف الوطني في طهران» هو عنوان المعرض الذي يقام حالياً في متحف الفن الشرقي في العاصمة الإيطالية روما، ويستمر حتى نهاية شهر يوليو/تموز الحالي.

ويضم المعرض ١٧٨ قطعة أثرية تعكس مراحل تطور ثقافة بلاد فارس منذ عام ٥٥٠٠ قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي، وتعكس مشاهدات من العصر الحجري الحديث والعصر الحجري ، والعصر البرونزي، وخصص قسم بكامله للنقوش البارزة التي تنحدر من بروسبولس العاصمة القديمة للإمبراطورية الفارسية، كذلك الأمر بالنسبة إلى المواد الأثرية التي تعكس العلاقات التجارية المزدهرة بين آسيا الوسطى والغرب، وكذلك الحملات العسكرية الآشورية التي كانت تسعى إلى السيطرة على طرق القوافل.

والجدير بالذكر أن هذه هي المرة الأولى التي تخرج فيها قطعٌ أثرية خارج إيران منذ مجيء الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩م، وكانت روما هي المحطة الأولى للمعرض، ينطلق بعدها إلى مدينة بون الألمانية.

رحيل عبده ناجي


عبده ناجي

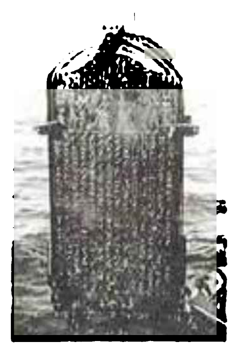
توفي مؤخراً في بريطانيا الخزاف اليمني عبده ناجي بعد حياة حافلة مملوءة بالإنجازات الفنية التي وضعته في مصاف الخزافين المميزين على نطاق المملكة المتحدة كلها.

وفي حياة هذا الخزاف قصة غريبة، بدأت وعمره ثماني سنوات حين ترك المدرسة وأصبح راعيًا لقطعان أبيه من الماعز، فأتاح له ذلك تمرين أصابعه على لمس الحجارة، واستنطاق تضاريس الصخور، وعندما بلغ الثانية عشرة ترك الرعي، وانطلق إلى التجارة مع أخيه الأكبر ليبيع أشغالاً يدوية معظمها لزينة النساء، ثم سافر إلى عدن، وعمل مساعداً منزليًا لدى عائلات إنجليزية تمكن من خلالها من اتقان اللغة الإنجليزية.

هاجر ناجي بعد ذلك إلى بريطانيا، والتحق بالجامعة، وتخرج فيها حائزًا على أعلى الدرجات في دراسة تاريخ الفن والرسم، وتخصص في السيراميك، ثم درس الخزفيات في جامعة ميدل سيكس عام ١٩٨٤م.

عرضت أعماله في عدد من متاحف أوربا حيث ضم البريتيش ميوزيوم خمس قطع من إنتاجه بصورة دائمة، وطلب ميتروبوليتان نيويورك عدداً مماثلاً، إضافة إلى توزع (معزوفاته الخزفية)، كما وصفت من جانب النقاد، على متاحف أوربا الوطنية.

آثار تحت الماء


انتشال أثر تاريخي من الأعماق

تمكن علماء آثار مصريون وأوربيون - أخيراً - من العثور على أنقاض مدينة هرقل (هيراكليوم) على بعد ٦كم من ساحل أبي قير في الإسكندرية، وقد اتخذت هذه المدينة المكتشفة اسمها من اسم معبدها الرئيس المخصص لعبادة الإله هرقل.

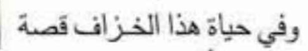
وقد صرح جاب الله علي جاب الله الأمين العام لمجلس الآثار أنه قد «عُثر على عدد من الآثار التي تضيف - علاوة على قيمها - الكثير إلى الدراسات التاريخية والأثرية»، وأضاف أنهم عثروا على لوحة من الغرانيت الأسود يبلغ ارتفاعها ١٩٥سم وصفت من قبل عدد من علماء الآثار بأنها تعد نسخة طبق الأصل من لوحة «نقراتيس» الشهيرة التي عُثر عليها في كوم جعيف في محافظة البحيرة (شمال القاهرة) عام ١٨٩٩م، وهي مودعة الآن في المتحف المصري في القاهرة، كذلك تم العثور على لوحة أخرى وصفها الأمين العام بأنها «مذهلة، ويتوقع أن تثير جدلاً بين المؤرخين يزيد ارتفاعها على ستة أمتار، وتعد واحدة من أضخم اللوحات المنقوشة التي عثر عليها، ليس في العصر البطلمي فحسب، بل في مصر القديمة كلها».

كذلك تم العثور على عدد كبير من العملات وصفها إبراهيم درويش المدير العام إدارة الآثار الغارقة بقوله: «ما جرى العثور عليه من عملات يشبه الكتالوج لنقود هذه الفترة، فقد عثر على عملتين ذهبيتين: إحداهما فينيقية معاصرة للأسرة الثلاثين، والثانية لبطليموس الأول بعد تنصيبه ملكًا على مصر، يظهر فيها وجهه من ناحية، وعلى الناحية الأخرى عربة تجرها أربعة أفيال ويقودها الإسكندر الأكبر» وغير ذلك من العملات التاريخية.

المدهش العجيب في بلاد الإسلام

أقيم مؤخراً في متحف اللوفر في باريس معرض للفنون الإسلامية تحت عنوان «المدهش العجيب في بلاد الإسلام» يهدف إلى التعريف بجانب من الفنون الإسلامية يجهله الجمهور الواسع، إذ يبين المعرض الدور المهم الذي أدته الكائنات الأسطورية في زخرفة القطع الخزفية والمعدنية القديمة الموجودة في عدد من متاحف العالم.

وأكدت مارت برنوس تايلور، أمينة القسم الإسلامي في متحف اللوفر، والمشرفة على المعرض، أن هذه الكائنات الأسطورية مستوحاة من الحضارات القديمة،




متحف اللوفر

مثل الفارسية والبابلية والفرعونية، وقد أخذها المسلمون، وتعاملوا معها بما يتفق ومعتقداتهم الخاصة، ومنحوها جمالية جديدة.

ويضم المعرض تحفًا نادرة تؤرخ لحقب تاريخية مختلفة تتناول ألف عام من الإبداع الفني في مصر وسورية وبلاد فارس وتركيا والهند الإسلامية، ويعطي المعرض تعريفًا لهذه الطيور الأسطورية التي جاءت في عدة أشكال مثل نسر له رأسان، وكائن له جسد طائر ووجه امرأة، وحيوان نصفه نسر والنصف الآخر أسد، وطائر يشبه العنقاء.

ضم المعرض بالإضافة إلى ذلك مخطوطات قديمة للحمة «كتاب الملوك» للفردوسي حيث توجد رسوم ملونة لطائر السيمورغ الأسطوري الذي يحمل الأبطال القدامى نحو الجبال، وهو الطائر نفسه الذي يطالعنا في كتاب «منطق الطير» للشاعر فريد الدين العطار.

تعاون مشترك

وقعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ومنظمة الدعوة الإسلامية - مؤخراً في الخرطوم - على برنامج التعاون المشترك للأعوام (٢٠٠١ - ٢٠٠٣م)، ويشمل هذا البرنامج مجموعة من الأنشطة حول التدريب والإعداد لمعلمي اللغة العربية والتربية الإسلامية، وتطوير مناهج المادتين، ودعم برامج النشر في مجال الثقافة في الدول والمجتمعات الإسلامية، والعناية ببرامج المرأة المسلمة، وتطوير قدراتها المهنية، وتنظيم محاضرات مشتركة في المراكز الإسلامية لنشر القيم الإسلامية، وتوعية الشباب المسلم بأهمية المؤسسات الحضارية الإسلامية، ونشر كتب، وعقد لقاءات دولية عن معالم الحضارة الإسلامية في الدول الأعضاء، والمحافظة على الموارد الطبيعية وحسن تدبيرها، والعناية بالبيئة، وحسن استخدام الطاقات المتجددة، والمصادر البديلة للطاقة، ودراسة الانعكاسات الأخلاقية لاستعمال التقانات الحديثة، وتشجيع البحث العلمي، ودعم المنظمات غير الحكومية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية.

واتفقت المنظمتان على إعداد دراسات خاصة من أجل تنفيذ مشروعات اقترحتها الإيسيسكو حول القدس تهدف إلى حفظ الوجود العربي الإسلامي في القدس الشريف، وصيانة مقوماته الإسلامية.

كما يشمل برنامج التعاون المشترك بين المنظمتين، عقد دورات تدريبية وأخرى تأهيلية لمعلمي اللغة العربية والتربية الإسلامية في كل من البوسنة والهرسك والصومال، وتنظيم ورشة عمل إقليمية لمنتجي المواد التعليمية لمرحلة المتابعة في إفريقية بمركز الإيسيسكو التربوي في تشاد، وتنظيم دورات تدريبية للمرأة المسلمة في كل من طاجكستان وأذربيجان والبوسنة والهرسك، ودعم جمعيات نسوية ذات برامج إسلامية في جنوب السودان واليمن.

كما قررت المنظمتان عقد دورة تدريبية إقليمية عن حماية المياه الجوفية لفائدة الدول الأعضاء في سلطنة عمان، وتنظيم فريق عمل إقليمي حول إعداد مناهج موحدة لتدريس لغات الشعوب الإسلامية في باكستان، وعقد دورة تدريبية لمعلمي المدارس القرآنية في كل من مالي وجزر القمر وبنجلاديش والمالديف، وعقد اجتماع خبراء لوضع أسس بناء مناهج خاصة لمحو الأمية في نيجيريا، وعقد جلسة دراسية دولية حول دور المتاحف في الألفية الثالثة بالقاهرة، وعقد حلقة دراسية للقيادات النسائية في مجال الثقافة الإسلامية بجنوب إفريقية.

باشا، حسان شمسي/ كيف تربي أبناءك في هذا الزمان.- دمشق: دار القلم، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م،١٩١ص.



«معاملة الأبناء فنٌّ يستعصي على كثير من الآباء والأمهات في فترة من فترات الحياة، وكثيراً ما يتساءل الآباء عن أجدى السبل للتعامل مع أبنائهم».

بهذا قدم المؤلف لكتابه الذي حرص أن يجمع فيه خلاصة خبرة المربين الأقدمين والمحدثين، إضافة إلى خبرته الشخصية التي امتدت عشرين عاماً في تربية أبنائه، وما استخلصه من تجارب الآخرين.

عالج المؤلف موضوع تربية الأبناء في مقدمة وأربعة وعشرين فصلاً تعرض خلالها لأفضل طرائق وأساليب تربية الأبناء، وحدد واجبات الآباء والأمهات، وحدد دور كل منهم ، وجاءت بعض فصول الكتاب في شكل أسئلة يبحث الآباء والأمهات عن إجابات لها، مثل: أبنائي يتشاجرون، طفلي عصبي، ابني عنيد، ابني لا يحب الذهاب إلى النوم، ابني يخجل، ابني يخاف، طفلي يكذب، طفلي يسرق، وغير ذلك من الأسئلة التي يجيب عنها المؤلف.

الأدب والبناء الحضاري/ مجموعة من المؤلفين، إعداد: حسن الأمراني.- وجدة (المغرب): كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الأول، ٢٠٠٠م، ٢٥٣ص، سلسلة (بحوث ودراسات؛ ٨)

يأتي الكتاب ضمن المنشورات الأدبية التي تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الأول المغربية، في سلسلة بحوث ودراسات، وقد شارك في تأليفه عدد كبير من الأدباء، تناولوا عدداً من الموضوعات الأدبية في الشعر والبلاغة وتاريخ النقد.

جاء أول بحوث الكتاب بعنوان «من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة» بقلم حسن الأمراني، وتناول محمد خرماش «أدب الحضارة وحضارة الأدب»، وتطرق سليمان عشراتي إلى دور «الشعر في استرداد الهوية»، وقدم بدر المقري «مساهمة في تأصيل حد الأدب باعتبار البناء الحضاري»، وكتب خالد حاجي عن «التحديث بين ثورة العقل وتمرد الشعر المطلق»، وناقش محمد بلاجي «مفهوم القارئ عند الجاحظ»، كما تعرض محمد الواسطي لـ «مفهوم البديع في العصر العباسي»، وعدّد سعد أبو الرضا «مقومات المسرحية الإسلامية: المسرح وبناء الإنسان»، وتناول محمد الدناي «علم سلوك الحيوان في التراث العربي من ملاحظات الشاعر القديم إلى تصانيف العلماء»، وكتب إدريس الناقوري تحت عنوان «القاضي ناقداً»، وسرد محمد وراوي «اعتذاريات عبدالله بن الزبعرى السهمي - الموضوع والفن »، ثم سعاد الناصر «الرحيل إلى إسطنبول أي تشكيل وأي دلالة»؟، وختمت بحوث الكتاب ببحث تتبع فيه مازن بن صلاح مطبقاني «الأدب العربي الحديث في الكتابات الاستشراقية المعاصرة».

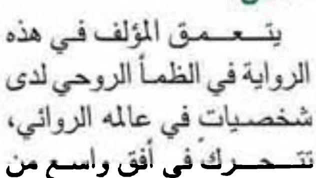
ماركفارت، توماس (وآخرون)/ الكهرباء الشمسية، ترجمة: عبدالرحيم بوطالب.- الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٥٩ص.

يعالج هذا الكتاب موضوع التحويل المباشر للإشعاع الشمسي إلى كهرباء، أو ما يسمى بالكهروضونيات، ويرتكز الكتاب على سلسلة الدروس القصيرة حول تحويل الطاقة الشمسية وتطبيقاتها التي قدمت في جامعة ساوث هامبتون مع بعض الإضافات التي أدرجت فيه، ليقدم شرحاً لتاريخ هذا المصدر المهم من مصادر الطاقة وواقعه ومستقبله مع التركيز في التطبيقات العملية، وقد جاء ذلك في ٧ فصول.

ألقى في الفصل الأول نظرة موجزة على

الكهروضونيات من حيث تاريخها ووضعيتها الحالية ومستقبلها، وتطرق في الثاني إلى كيفية تحديد تزويد منطقة ما بالطاقة الشمسية، وشرح في الثالث كيفية اشتغال الخلايا الشمسية وصنعها، وعرض في الرابع نظام الطاقة الكهروضوئية الذي يدرس هيكل النظام، فضلاً عن النظم الفرعية، وتطرق في الخامس إلى مختلف تطبيقات هذه التكنولوجيا، وكذا الجوانب الاقتصادية لإقامة المنشآت الكهروضوئية، وشرح في السادس التأثيرات البيئية والاجتماعية لإنتاج الطاقة، وختم بالسابع الذي عالج موضوعات متخصصة مهمة تتعلق بمناقشة النظم الكهروضوئية الكبيرة الحجم، وتكنولوجيا تركيز الإشعاع الشمسي مع الكهروضوئيات، واقتصاد الهيدروجين.

استعان المؤلفون بعدد من الصور الشمسية والجداول والأشكال والرسوم لشرح الحقائق التي وردت في الكتاب.



الجميل، سيار/ تفكيك هيكل: مكاشفات نقدية في إشكاليات محمد حسنين هيكل.. الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ٦٢٤ص.

هذا الكتاب مكاشفة نقدية لإشكاليات محمد حسنين هيكل، وتفكيره ومعلوماته، ونصوصه ورواياته، والتركيز في مؤلفاته التي تجاوزت العشرين كتاباً، والتي أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط الثقافية والسياسية.

يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة، ومدخل منهجي عنوانه «المدونات التاريخية بين القراءات السياسية والصحافية، ومحدداً منهجاً عملياً من خلال مرتكزات واشتراطات أساسية في «كتابة تواريخنا العربية المعاصرة».

وتعالج فصول الكتاب الظاهر والباطن من حقيقة هيكل من خلال مقاربة نقدية في المفاهيم، والمواقف والذات: الصحفي/ السياسي، والعلاقات والقيم في الفصل الأول، ثم انتقل المؤلف لنقد كتابات هيكل عن الأردن في الفصل الثاني، وتوقف في الفصل الثالث ناقداً لمواقف هيكل من المغرب العربي، وتناول في الفصل الرابع مواقف هيكل إزاء مصر، وكشف مواقفه بين الأمس واليوم، أما في الفصل الخامس فعالج فيه المؤلف كتابات هيكل إزاء العراق، ثم عالج في الفصل الأخير مواقف هيكل من حرب الخليج والمفاوضات السرية لعملية السلام.

واستخلص في الخاتمة عدة استنتاجات مهمة في حياة تفكيرنا العربي المعاصر، والحاجة الماسة إلى المكاشفة والتفكيك وإعادة النظر عربياً في دراسة ونقد ما أنتجه عدد بارز من المسؤولين وأصحاب القرار والساسة والكتاب والمفكرين العرب على امتداد خمسين عاماً من القرن العشرين.



طاهر، بهاء/ نقطة النور «رواية».. القاهرة: دار الهلال، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢٢٦ص.

يتعمق المؤلف في هذه الرواية في الظمأ الروحي لدى شخصيات في عالمه الروائي، تتحرك في أفق واسع من نوازع النفس والجسد والعقل، وتتوق إلى التوازن والسكينة، وتتناول الرواية مسيرة شخصيات تبحث في واحة في صحراء الحياة لإرواء هذا الظمأ، وشخصيات أخرى لا تعرف الظمأ الروحي من الأصل، كما تحكي حياة أسرتين مصريتين في السبعينيات من القرن العشرين.

جدير بالذكر أن للروائي المصري بهاء طاهر عدداً من القصص القصيرة والروايات منها: «الخطوبة»، و«بالأمس حلمت بك»، و«أنا الملك جئت»، و«شروق النخيل»، و«قالت ضحى»، و«خالتي صفية والدير»، و«الحب في المنفى».

وله «١٠ مسرحيات مصرية»، و«أبناء رفاعة»، و«الثقافة والحرية»، و«ساحر الصحراء»، وترجمة لرواية «السيميائي»، للكاتب البرازيلي باولو كويهلو.

المعتوق، أحمد محمد/ المعاجم اللغوية العربية: المعاجم العامة: وظائفها، مستوياتها، أثرها في تنمية لغة الناشئة: دراسة وصفية تحليلية نقدية.. أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ، ٣٠٥ص.

يتضمن هذا الكتاب دراسة نقدية شملت، على وجه التقريب، كل المعاجم اللغوية العربية العامة أحادية اللغة التي صدرت في العصر الحديث، على اختلاف مستويات هذه المعاجم وتباين أشكالها وأحجامها ومناهجها، ووصل تعدادها إلى ٣٥ معجماً، كما شملت الدراسة أيضاً مجموعة من المعاجم القديمة التي تحظى بمكانة مرموقة بين الدارسين والمثقفين.

اعتمدت الدراسة في هذا الكتاب على الوصف التحليلي والعمل النقدي القائم على الموازنة والمقارنة العلمية التي ترمي إلى الكشف عن طبيعة كل معجم، وعن أهميته ومكانته بين معاجم صنفه، ثم عن وظيفته والمجال أو المستوى التعليمي الذي يمكن أن يؤدي فيه هذه الوظيفة على النحو الأفضل مما يساعد الدارس على اختيار المعجم المناسب لغرضه.

لم تقتصر الدراسة على تقويم كل معجم من المعاجم المدروسة، بل سعت إلى المشاركة في معالجة ما يعتري بعض هذه المعاجم من نواقص، وما تعانيه من جوانب القصور والضعف، وذلك من خلال طرح بعض المقترحات والتوصيات التي تسعى إلى معالجة هذا القصور، والارتقاء بمستوى المعجم العربي عامة، ومعجم الطلاب على نحو أخص.

التويجري، عبدالعزيز بن عثمان/ حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية.. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٣٠ص.

هذا الكتاب هو الورقة التي قدمها الكاتب في الندوة الإسلامية الدولية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي في العاصمة الإيطالية روما في الفترة من ٢٥ إلى ٢٨ فبراير/ شباط عام ٢٠٠٠م حول «حقوق الإنسان في الإسلام».

تناول الكاتب في هذه الدراسة حقوق الإنسان «منطلقاً من الأسس والمبادئ التي جاء بها الإسلام ـ والتي كفل بها، لأول مرة في التاريخ البشري ـ الحقوق الأساسية للإنسان على هذه الأرض، ومقارناً بين التعاليم الإسلامية التي تؤكد على حقوق الإنسان وتجعل منها واجبات دينية، وبين القوانين الوضعية عبر تطورها التاريخي»، واستعرض الكاتب كذلك ما يشوب مفهوم حقوق الإنسان لدى الغرب من نظرة استعلائية، وما يشين تطبيق هذا المفهوم من ازدواجية في المعايير، وخلص في ختام الدراسة إلى ضرورة مراجعة شاملة لأحوالنا وأمورنا، خاصة ما يتصل منها بتطبيق التعاليم الإسلامية في مجال حقوق الإنسان.

وأورد الكاتب في نهاية الدراسة «إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام»، الصادر عن المؤتمر الإسلامي التاسع عشر لوزراء الخارجية (القاهرة، ١٤من المحرم ١٤١١هـ/ ٥ أغسطس/آب ١٩٩٠م)، وكذلك (إعلان روما حول حقوق الإنسان في الإسلام)، الصادر عن الندوة العالمية حول حقوق الإنسان في الإسلام (روما، ٢١ ذو الحجة ١٤٢٠هـ/٢٧ فبراير ٢٠٠٠م)، وجاء الكتاب بثلاث لغات هي: العربية والإنجليزية والفرنسية.

باخريبه، محمد علي/ الصهيونية بإيجاز: أصل نشأة المخططات الصهيونية العالمية ذات النزعة العنصرية.. الخبر: المؤلف، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ٢٢٣ص.



الصهيونية هي «حركة سياسية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالإمبريالية العالمية، ومعادية لجميع حركات التحرر والتقدم في العالم، وهي حركة عنصرية تعصبية في تكوينها، عدوانية توسعية استيطانية في أهدافها، وفاشية نازية في وسائلها، وإن إسرائيل هي أداة الحركة الصهيونية، وقاعدة بشرية جغرافية للإمبريالية العالمية، ونقطة ارتكاز ووثوب لها في قلب العالم العربي

لضرب أماني الأمة العربية في التحرر والوحدة والتقدم»، كما جاء في المادة ٢٢ من الميثاق الوطني الفلسطيني.

رمى المؤلف من هذا الكتاب إلى استعراض الصهيونية، والغوص في أعماقها، ومعرفة أدق أسرارها، وكشف أغراضها وتطلعاتها المستقبلية حتى يتسنى لأمتنا العربية والإسلامية أخذ الحيطة والحذر في تعاملها مع هذا العدو الماكر، وقد تناول المؤلف ذلك في سبعة فصول.

جاء الفصل الأول عن «تعريف الصهيونية»، وتناول في الثاني «الهيئة التنظيمية للصهيونية العالمية»، وحدد في الثالث «أهداف الصهيونية»، وتناول في الرابع «بعض التنظيمات ذات الصلة بالصهيونية»، وعدد في الخامس «النكبات العربية ودور الصهيونية فيها»، وتطرق في السادس لـ «بعض ما قيل عن اليهودية والصهيونية»، وختم بالسابع الذي نادى فيه بـ «كشف مؤامرات الصهيونية والتصدي لها»..

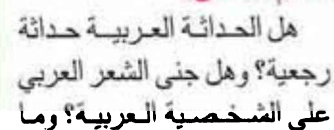
عطية، جمال، والزحيلي، وهبة/ تجديد الفقه الإسلامي- دمشق: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٣٤٣ص.

قذفت الحياة المعاصرة بمئات المسائل والقضايا والمشكلات والمستجدات التي تحتاج إلى الرأي من منظور إسلامي، فوجد علماء الأمة أنفسهم في مواجهة قضايا تحتاج إلى إمعان الفكر، لاستنباط أحكام ملائمة للمستجدات، توافق النصوص، وتقنع العقل، ويطمئن إليها القلب.

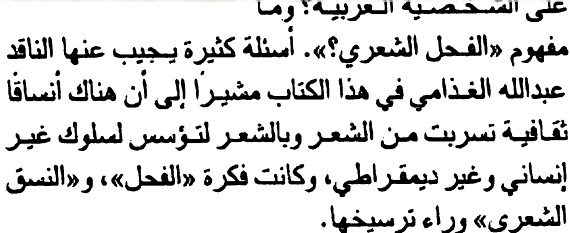
ضمن سلسلة «حوارات لقرن جديد» حاول عالمان متخصصان في الفقه الإسلامي وضع أسس وقواعد لتجديد الفقه الإسلامي، وطرح الأبدال المقترحة لهذا التجديد.

فيرى جمال العطية في بحثه «التجديد الفقهي المنشود» أن التجديد يجب أن يأتي من داخل النسق الإسلامي، وليس من بعض الكتاب الذين يحاولون إسقاط نظريات غربية على الإسلام مثل البنيوية، والألسنية، والتفكيكية، والتركيبية والتاريخانية، ويشمل بحثه موضوعين أساسيين هما: الفقه، وأصول الفقه، بينما تضمن بحث وهبة الزحيلي «تجديد الفقه الإسلامي»: مشتملات الشريعة، والتشريع والفقه والعقل، والحاجة إلى التجديد وبيان مداه، والثوابت والمتغيرات في الشريعة، وأهلية المجدد أو المجتهد، وما يقبل التجديد وما لا يقبل التجديد، وضوابط التجديد من خلال القواعد والمقاصد، ومصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه أو فيما فيه نص، وطرائق التجديد، والأمثلة والتطبيقات.

الغذامي، عبدالله/ النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ٣١٢ص.

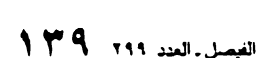


هل الحداثة العربية حداثة رجعية؟ وهل جنى الشعر العربي على الشخصية العربية؟ وما مفهوم «الفحل الشعري؟». أسئلة كثيرة يجيب عنها الناقد عبدالله الغذامي في هذا الكتاب مشيراً إلى أن هناك أنساقاً ثقافية تسربت من الشعر وبالشعر لتؤسس لسلوك غير إنساني وغير ديمقراطي، وكانت فكرة «الفحل»، و«النسق الشعري» وراء ترسيخها.



وينطلق الناقد في كشف الواقع الثقافي العربي محاولاً تأسيس مشروعه عن النقد الثقافي الذي يراه بديلاً للنقد الأدبي الذي يهتم بجماليات النصوص الأدبية، مما أصابه بالعمى الثقافي، وفوت عليه اكتشاف القبيح المستتر خلف ما هو جمالي. ويرى المؤلف أن شخصية الشحاذ والكذاب والمنافق من جهة، وشخصية فحل الفحول صاحب الأنا المتضخمة النافية للآخر من جهة، هي السمات المترسخة في الخطاب الشعري العربي، ومنه تسربت إلى الخطابات الأخرى، وتشعرنت وأنتجت سلوكاً ثقافياً يعاد إنتاجه عن طريق الشخصيات الثقافية العربية، أمثال أبي تمام، والمتنبي، ونزار قباني، وأدونيس.

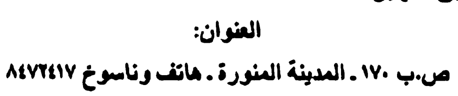
تضمن الكتاب سبعة فصول رئيسة: هي «ذاكرة المصطلح»، و«النظرية والمنهج للنقد الثقافي»، و«النسق الناسخ/ واختراع الفحل»، و«تزييف الخطاب/صناعة الطاغية»، و«اختراع الصمت/نسقية المعارضة»، و«النسق المخاتل/ الخروج على المتن» و« صراع الأنساق (عودة الفحل) رجعية الحداثة».



مجلة الجامعة الإسلامية (س٣٣، ع ١١٣، ١٤٢١هـ)

مجلة علمية محكّمة تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

صدر هذا العدد من الدورية حاويًا عددًا من الموضوعات والدراسات التي تتعلق بالقرآن والحديث وسائر العبادات، فكتب الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر عن «دراسات في الباقيات الصالحات»، وتناول الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي «رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه»، وعدد الدكتور إبراهيم بن علي العبيد «أحاديث القراءة في صلاة الفجر: جمعًا ودراسة»، وحقق الدكتور عبدالخالق بن مساعد الزهراني مخطوطة «تلوين الخطاب لابن كمال باشا: دراسة وتحقيق»، وختم البحوث الدكتور عبدالرزاق بن فرّاج الصاعدي أيضًا بدراسة وتحقيق لمخطوطة «المنهل المأهول بالبناء للمجهول لأبي الخير محمد بن ظهيرة».



العنوان:

ص.ب ١٧٠ ـ المدينة المنورة ـ هاتف وناسوخ ٨٤٧٢٤١٧

دراسات مغاربية (ع ١٢، ٢٠٠٠م)



مجلة نصف سنوية تعنى بالبحث والبيبليوجرافيا المغاربية تصدر عن مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء.

يحتوي هذا العدد من الدورية على عدد من البيبليوجرافيات والدراسات، بدأها علي عبيد بالحديث عن «المقامات السردية في الكتابة القصصية»، ثم رحال الحوات عن «تشكل الذات في مؤلف (أوراق) من المعرفة إلى الإحباط (مقاربة نفسية)»، وتناول محمد الصغير جنجار موضوع «الكتابة والذاكرة»، وتحدث رياض أتلاغ عن «سحلب وسحلب: أدب اللقاءات بين الواقع والحقيقة»، ثم شملت بيبلوجرافيا المنشورات المتعلقة بالغرب الإسلامي «المؤلفات العامة والمراجع، والإسلام، والديانات الأخرى، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع...إلخ»، وتضم هذه البيبليوجرافيا مجموع الاقتناءات الجديدة لخزانة مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في مجال الغرب الإسلامي «المغرب العربي والدراسات الأندلسية» خلال الأشهر الستة الأولى من عام ٢٠٠٠م.

وفي الجزء الفرنسي تناول محمد الصغير جنجار «التقليد التنسكي في الإسلام»، وعدّد علي بنمخلوف «الهجرات الثقافية».

العنوان:

شارع الكورنيش ـ عين الذياب

٢٠٠٥٠ الدار البيضاء

ص.ب ١٢٥٨٥ ـ ٢٠٠٥٢ الدار البيضاء

عالم الكتب (مج٢٢، ع ٣ ـ ٤، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢١هـ/ المحرم ـ صفر ١٤٢٢هـ، فبراير ـ مارس/ أبريل ـ مايو ٢٠٠١م).

مجلة محكّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه.

جاء هذا العدد من الدورية مزدوجًا ضم العددين الثالث والرابع، وحفل بعدد كبير من البحوث والدراسات جاءت تحت عدة أبواب.

ففي باب الدراسات كتب عبدالرحمن بن حمد العكرش عن «غرائب التأليف وفرائده في التراث العربي»، وعبدالله ابن عبدالمحسن التويجري عن «نشأة علم التخريج وأطواره»، وشرح محمد بسام ملص «إسهامات علماء المسلمين وحقيقة علماء الفرنج».

وفي باب الأعلام تناولت ظمياء محمد عباس السامرائي «هلال ناجي ومنهجه في الاستدراك على صنّاع الدواوين»، وقدم أبو العيد الطاهر الفقهي معلومات عن «المقصورة وشروحها» في باب الببليوجرافيات.

وفي باب المراجعات قدم سمير عبدالحميد إبراهيم مراجعة لكتاب «تاريخ أرض القرآن» الذي ألفه

بالأردية سيد سليمان الندوي، ونجاة المريني لـ «قاموس معلمة المغرب»، وهو قاموس مرتب على حروف الهجاء، وختم المراجعات عبدالمحسن آل عباس بمراجعة كتاب «ناصر الدين على القوم الكافرين» لأحمد بن قاسم الحجري.

وختمت الدورية بعرض عدد من الدوريات والكتب التي صدرت حديثًا، بالإضافة إلى قائمة بالإصدارات العلمية والثقافية للمؤسسات الجامعية والثقافية المغربية، وقد أعدتها الملحقية الثقافية السعودية بالمغرب.

العنوان:

٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧

تلفون: ٤٧٦٥٤٢٢ ـ ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨

العدل (س٣، ع٩ ـ المحرم ١٤٢٢هـ)

مجلة فصلية علمية محكّمة تعنى بشؤون الفقه والقضاء، تصدر عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية.

صدر هذا العدد من الدورية حافلاً بكثير من الأبحاث والدراسات القضائية والفقهية لمجموعة من أصحاب الفضيلة العلماء والقضاة والمختصين في مجال الشريعة الإسلامية، وجاءت كلمة العدد بقلم معالي الشيخ عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل، ثم جاء أول بحوث العدد عن «التشهير بالحدود في الشريعة الإسلامية» للدكتور عبدالله بن محمد الرشيد، وتناول الدكتور صالح بن عبدالعزيز العقيل «حقوق المتهم في الشريعة الإسلامية»، وكتب الشيخ محمد بن سعيد بن عبدالله القحطاني عن «أحكام الجناية على طحال الآدمي»، وناقش الشيخ هشام بن عبدالملك بن عبدالله بن محمد آل الشيخ موضوع «تخلف الخصوم عن حضور مجلس القضاء»، وتناول الدكتور محمد الحسيني مصيلحي «حق المساواة بين الرجل والمرأة في الشريعة الإسلامية»، وختم البحوث الشيخ أحمد بن محمد الشعفي بـ «فضل القضاء».

بالإضافة إلى الأبواب الثابتة: رسائل علمية، وإجراءات قضائية، وأحكام وقضايا، ومن أعلام القضاء، ولقاء العدد؛ وختمت الدورية بصدى العدل، وهو موسوعة تعنى بالتوعية القضائية، وتلقي الضوء على مناشط الوزارة وإنجازاتها.

العنوان:

وزارة العدل ـ الرياض ١١١٣٧

هاتف وناسوخ: ٤٠٢٣٣٦٥ / ٤٠٥٩٧١٦

حولية كلية المعلمين في أبها (ع١، الفصل الدراسي الثاني، ١٤٢١/١٤٢٢هـ)



مجلة دورية سنوية تصدر عن مركز البحوث والدراسات التربوية بكلية المعلمين في أبها.

هذا هو العدد الأول من الدورية وقد جاء يزخر بعدد من البحوث والدراسات التي شارك فيها بعض أعضاء هيئة التدريس بالكلية، وقد جاء صدوره متزامناً مع مرور ٢٥ عاماً على تأسيس الكلية.

بدأت موضوعات العدد بـ «قضية العدد» التي جاءت عن «علاقة علم التربية بالعلوم الأخرى»، ثم كتب الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد عن «التربية الجسمية في الإسلام»، وتناول الدكتور عبدالقادر بن محمد عطا صوفي «أثر الغزو الفكري في نشأة التيارات والمذاهب الضالة وإحياء الفرق والبدع بين المسلمين»، ثم قدم الدكتور مرعي بن عبدالله الشهري «صور من منهج الصحابة رضي الله عنهم في الاجتهاد»، وغير ذلك من البحوث والدراسات التي توالت حتى بلغت نحو ٢١ بحثًا، ثم جاء في ختامها «ملخّصات لبعض الرسائل الجامعية».

وقدمت الدورية في الختام الدعوة للمشاركة في إغناء قضية العدد القادم والتي ستكون بعنوان «التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية»، على أن تصل المشاركة على عنوان الحولية، وفقًا لشروط النشر فيها، في وقت لا يتجاوز شهر شعبان من العام الدراسي ١٤٢٢م.

العنوان:

أبها ـ كلية المعلمين ـ مركز البحوث والدراسات التربوية.

هاتف رقم: ٢٢٧٠٤١٩/١٧٦، ناسوخ رقم: ٢٢٧١١٠٣

ص.ب ٢٤٩ ـ المملكة العربية السعودية

الأمثال العامية في بلدة أشيقر

عبدالله بن بسام البسيمي

الوشم - السعودية

تعد الأمثال أحد موروثات المجتمع، رصدت تجارب الشعوب، وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل بالنقل الشفهي، وأحياناً بالتدوين، حتى وصلت إلينا. ومن يتتبعها يجد تشابهاً في ضربها ليس في بلدان وسط الجزيرة العربية فحسب، بل في بلدان العالم العربي جميعاً، وما ذلك إلا لكثرة تداولها، وسعة انتشارها، وتشابه ظروفها. وقد وجدت بعض الأمثال التي يدعيها أكثر من بلد مع أن كلماتها موحدة، ولا تختلف إلا في نطقها باللهجات المحلية الخاصة بكل بلد، وسبب ذلك في نظري أنه لم يعرف متى استعملت أمثالاً، ولا من أي بلد انطلقت وشاعت، وهذا يدعونا إلى تتبع هذه الأمثال واستقصائها وتوثيقها، إضافة إلى المسارعة في تدوينها؛ وهذا يحتاج إلى تضافر جهود أهالي كل بلد في تتبع الأمثال الخاصة ببلادهم؛ لأن أهل مكة أدرى بشعابها.

التعريف

وبداية لابد من لمحة موجزة عن المثل: تعريفه، وشروطه، وأنواعه(١)، لندرك الأهمية التي أولاها العرب للأمثال. فقد جاء في أحد تعاريفه أنه: «عبارة قصيرة موجزة بليغة ضمنها العربي نتائج خبرته، وجرت على لسانه، وشاع استعمالها بين الناس لما فيها من فكرة صحيحة، ومعنى صائب. وهذه الأمثال تقال في حالة خاصة، ثم صارت تقال في كل حالة تشبهها».

ونقل عن المبرِّد (ت:٢٨٦هـ) أن المثل «قول سائر يُشبّه به حال الثاني بالأول».

وقرر أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) أن كلمة حكمة سائرة تسمى مثلاً، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً. وقال عنها ابن عبد ربه (ت:٣٢٧هـ) في العقد الفريد: «إنها أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، ولم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها حتى قيل: أسير من مثل».

وقد اشترط في المثل ألا يُغيّر لفظه تحت أي ظرف من الظروف أو مناسبة من المناسبات، فتجب المحافظة على الصيغة التي ورد بها. فإذا كان في أصله مخاطباً به المؤنث حافظنا على صيغة التأنيث، حتى لو كانت الحالة التي نريد استخدامها فيها الآن مذكراً، والعكس بالعكس. وإذا كان المخاطب في الأصل مفرداً وأردنا استخدامه للمثنى أو الجمع وجب أن نحافظ على صيغة الإفراد، وهكذا...

ولا يلتزم أن يكون المثل صحيح المنحى، فقد يشتهر مثل لا يصح معناه في كل وقت، ولكن صادف ظرفاً شهيراً فاشتهر به، ولما كانت الأمثال نتاج الناس جميعاً فقد جمعت الصحيح وغير الصحيح.

قال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): «وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع، وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة».

شروط المثل

واشترط الماوردي للأمثال أربعة شروط هي:

- صحة التشبيه.
- أن يكون العلم بها سابقاً، والكل عليها موافقاً.
- أن يسرع وصولها للفهم، ويعجل تصورها في الوهم من غير ارتياء في استخراجها، ولا كدّ في استنباطها.
- أن تناسب حال السامع، لتكون أبلغ أثراً، وأحسن موقعاً.

وقد قسم الباحثون المثل ثلاثة أنواع هي:

- المثل الموجز السائر: وهو إما شعبي لا تعمُّل فيه ولا تأنق، ولا تقيد بقواعد النحو، وإما كتابيٌ صادر عن ذوي الثقافة العالية، كالشعراء والخطباء.
- المثل القياسي: وهو سرد وصفي أو قصصي، أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل. وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه.
- المثل الخرافي: وهو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان لغرض تعليمي أو فكاهي.

ولقد امتلأت كتب الأدب بالأمثال، بل ألفت فيها مؤلفات، ومعاجم مستقلة مختلفة التبويب والتصنيف، رصدت أمثال الشعوب على مر الزمن، ولم تكن منطقة نجد في معزل عن ذلك، فقد ألفت عن أمثالها مؤلفات حفظت آلاف الأمثال من الضياع، وإن أتت متأخرة. ومن أشهر هذه الكتب كتابان من أحسن ما خرج من الكتب في هذا الموضوع وأجودها، الأول منهما كتاب: «الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية» للأديب عبدالكريم الجهيمان، يقع في عشرة أجزاء جمع فيه ما يقارب عشرة آلاف مثل، والكتاب الثاني: «الأمثال العامية في نجد» يقع في خمسة أجزاء، ويحتوي على ثلاثة آلاف مثل، وهو من تأليف الشيخ محمد بن ناصر العبودي.

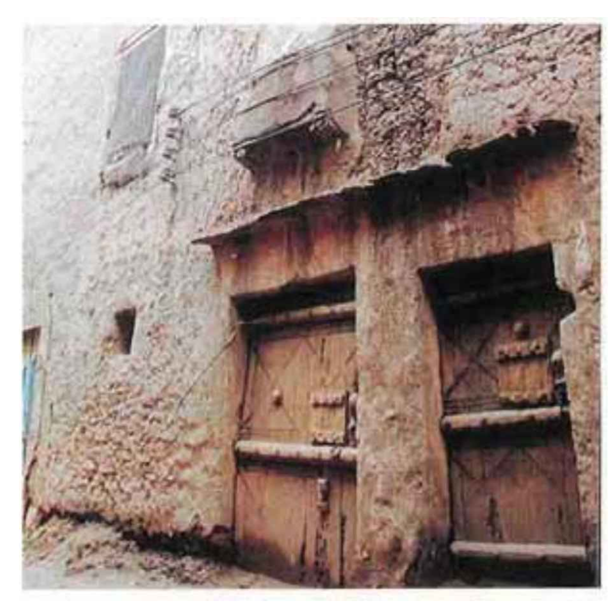
وبلدة أشيقر ليست في منأى عن بقية البلدان النجدية الأخرى، إذ يتداول فيها كثير من الأمثال التي تستعمل فيها وفي غيرها من البلدان. ومع ذلك فهناك أمثال كثيرة تخص بلدة أشيقر وحدها، لا يشاركها فيها بلد آخر(٢)، صدرت عن أناس عاشوا فيها ودرجوا على أرضها، وتنفسوا هواءها، وقد بلغت هذه الأمثال العشرات، ويخشى عليها من الضياع في هذا العصر الذي كثرت فيه مشاغل الحياة، وانصرف الناس عن كثير من الاجتماعات واللقاءات التي كثيراً ما يتداول الناس فيها هذه الأمثال وغيرها.

أمثال على الأمثال

ونذكر هنا طائفة من هذه الأمثال الخاصة ببلدة أشيقر(٣).

- انقطاعة السديسات فيها خيره عقب ما هو ياخذ ستة زاد عشرة:

يضرب هذا المثل في الضرر الذي يأتي بخير وعن قصة هذا المثل: قيل إن بئر المديس الواقعة شمال بلدة أشيقر كانت ثلاث آبار متجاورة، يفصل بعضها عن بعض جدار صخري، وكان الفلاحون يخرجون الماء من تلك الآبار بواسطة الغروب بمعدل غربين لكل بئر بحيث أصبح مجموع الغروب ستة غروب. وفي إحدى السنوات جاءت سيول كثيرة بعد فترة



قحط وجدب، فأدت هذه السيول إلى امتلاء تلك الآبار وسقوط الجدران التي تفصل بينها. وبعد أن هدأت الأمور، وعادت إلى مجاريها قام الأهالي بإصلاح ماخربه السيل عدا أنهم جعلوا هذه الآبار بئراً واحدة، لأنهم رأوا أن ذلك سيكون أفضل لهم من ناحية استغلال أمثل لماء البئر، وهذا ما حدث حيث أصبحت الغروب التي ترفع الماء ستة عشر غرباً بواقع ثمانية من كل جهة إذ للبئر منحاتان.

- الحصى منقلب وما هوى ضب ما ظهر:

هذا المثل مكون من مثلين يضرب الأول منهما على اختلاف النية، أما الثاني فهو لمن يأخذ شيئاً ولا يرده.

وقصة هذا المثل: هو أن هناك مجموعة من قطاع الطرق كمنوا في وادي ضب الذي يقع شمال أشيقر، وتذهب سيوله إلى منطقة البطين الزراعية، وكلما دخل الوادي أحد من أهالي البلدة الذين يذهبون لجلب العشب أو الحطب قام قطاع الطرق بإمساكه، وشد وثاقه، وأخذ ما معه. وكان هناك رجل من أهالي البلدة مكلف بالمراقبة في المرقب الذي يقع في الشمال الشرقي لأشيقر في منطقة القويرات، يستطيع لحدة بصره أن يكشف ما يحدث من غموض في الصحراء الشمالية، نظر إلى منطقة وادي ضب فاستغرب الحجارة المقلوبة التي وضعها قطاع الطرق حاجزاً بينهم وبين أن يراهم أحد، لصد الطلقات النارية، كما لفت نظر الرقيب أن من دخل الوادي لا يخرج منه، فأدرك بثاقب نظره أن في الأمر ما يريب، فذهب للبلدة وأنذر الأهالي بهذا القول الذي أصبح مثلاً، فخرجوا إلى الوادي المذكور، واستطاعوا أن يتغلبوا على اللصوص، ويستردوا ما نهب.

- وكيلي وكيل حتايت(٤):

يضرب هذا المثل لمن لا يهتم بالشيء وضياعه. وقصته هي أنه حينما خاف أهالي أشيقر من الوهبة أن يتكاثر الوانليون بالبلدة، وتعجز مواردها عن أن تسعهم جميعاً، قام الوهبة بإخراجهم من البلدة بحيلة دبروها؛ وذلك بعد أن خرج الوانليون إلى المرعى، فلما عادوا وجدوا أبواب البلدة موصدة فعرفوا الدافع إلى ذلك، وطلبوا من الوهبة تمكينهم من الدخول، فرفضوا، وأخبروهم أن ذلك مستحيل. وليس أمامهم إلا أن يقوم كل شخص منهم بتوكيل من يراه على أملاكه في أشيقر من نخيل وعقار أو غيرها إلى أن يجدوا بلداً آخر يستوطنونه، فلما رأى أحدهم ويسمى حتايت أن هذا هو الطريق الوحيد غضب وقال: «وكيلي الشيطان» وكان بجواره شخص آخر طلبوا منه أن يوكل فقال: «وكيلي وكيل حتايت».

- منحاز القصارى ما يتعدى مكانه:

يضرب هذا المثل للإنسان الذي يعشق الثبات على مبدأ أو أسلوب حياة معين لا يرغب في التنازل عنه. والمنحاز هي صخرة مجوفة يستعملها الأهالي لتهشيم الحبوب من قمح وذرة ودخن وغيرها، وقد وضعته أسرة القصارى (القصير) التي تبرعت به في مدخل الطريق المؤدي إلى منزلهم؛ وذلك ليتسنى لكل شخص استعماله دون الحاجة إلى إزعاج أهل المنزل.

- خصفة يوسف قضت ولا رخص التمر:

يضرب هذا المثل للتدليل على أن الحدث الصغير قد لا يؤثر في الحدث الكبير. وقصة هذا المثل هي أن رجلاً اسمه يوسف حدث في أيامه أن عمّ القحط منطقة نجد، ولأن التمر هو الغذاء الأساسي فقد رفع التجار سعره، وكان هذا الرجل يتميز بالتدين والعفة والرغبة في مساعدة الآخرين على قلة ما في يده، وكان يملك خصفة من التمر تزن عشرين وزنة، ولم يرض مسلك تجار التمر في استغلال حاجة الآخرين، فأخرج هذه الخصفة على حاجته إليها، وأعلن عن بيعها (كل عشر وزنات بريال) حيث اشتراها أحد الأغنياء بريالين، ومع ذلك ظلت الأسعار على ما هي عليه من الغلاء.

- وش يسوي شعيب خلف في عذيق:

يضرب هذا المثل للدلالة على أن الشيء القليل قد لا يؤثر في الشيء الكبير. وعذيق الوارد في المثل واد كبير يقع شمال بلدة أشيقر، يفصلها عن ضلع الجنينة، وشعيب تصغير شعيب، وخلف الذي نسب إليه هو خلف بن خريف. وهو عبارة عن نهاية تلعة تنحدر من الجبل، وتصب مياهها في وادي عذيق الذي يحتضن السيول الزائدة عن حاجة البلدة، ويقوم بإيصالها إلى روضة رمحين المشهورة.

- مثل وصية راعي وشيقر:

يضرب هذا المثل في مبدأ الحرص والحزم في فعل الأمور، وكذلك دقة التوقيت. ومنشأ هذا المثل عبارة يقال إنها وردت في إحدى الوصايا القديمة التي تتعلق بالأضحية، فقد قال الموصي: «من يد البائع ليد المشتري ليد الجزار ضحى العيد خشية التلف».

- وشيقر (أم) تالد ولا تغذي أو (وشيقر رحم نجد):

يضرب هذا المثل للشيء يكون إنتاجه أكثر من طاقته. ويعود السبب في ذلك إلى كثرة الأسر التي خرجت من أشيقر، وانتشرت في جميع مدن وقرى الجزيرة العربية والهند والشام ومصر؛ وذلك لعدم قدرة البلدة على استيعابهم منذ العصر الجاهلي حتى الآن.

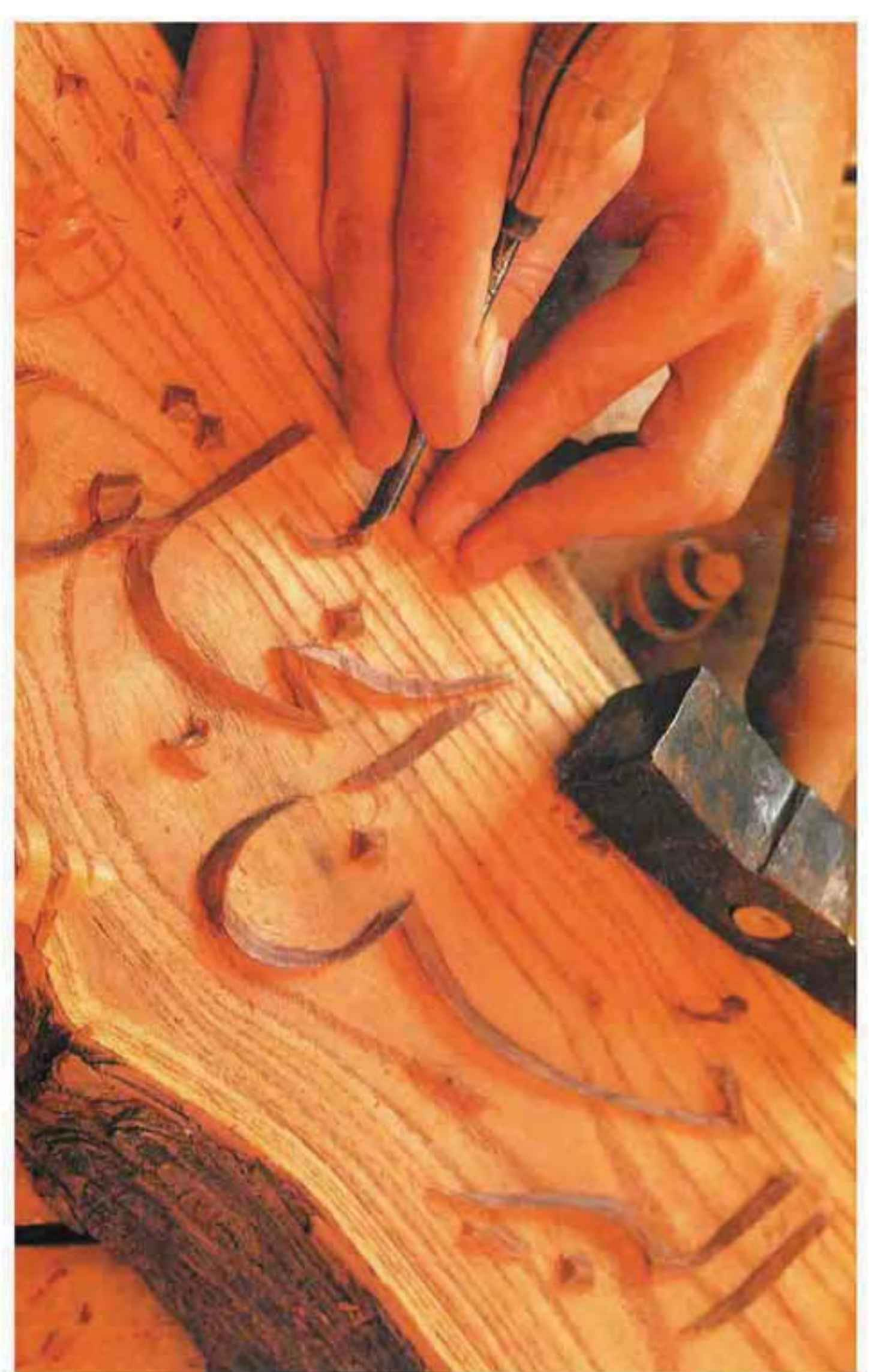
الهوامش

١. يمكن الرجوع للكتب الآتية «أدب الدنيا والدين». «الأمثال والحكم». كلاهما لأبي الحسن الماوردي. «نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث للدكتور عبدالمجيد محمود. «نزهة البال وطرفة الخاطر» لأحمد الشنقيطي. وغيرها.

٢. وهكذا في بعض البلدان الأخرى، ولنأخذ مثلاً بلدة الفرعة التي لا تبعد عن بلدة أشيقر سوى كيل واحد لها أمثالها الخاصة بها منها قولهم: «الفرعة مأخوذة يوم الأحد مهيب لأحد عن أحد». وقولهم: «شين خلّ وقل عز». والخل الفتحة بين نفودين، ولهذا المثل قصة يطول شرحها.

٣. نشرة المركز الصيفي بأشيقر سنة ١٤١٥هـ

٤. في تاريخ الشيخ حمد بن لعبون ص-٩٥ قال: «حتايت حين قالوا له: وكّل. قال: وكيله الشيطان. فبقيت كلمته مثلاً سائراً. فإذا ذم وكيل قيل: «وكيل حتايت».



قيم نبيلة سامية، وتقاليد عريقة راسخة

من نبع تراثنا الأصيل، كانت ومازال المعين

الذي لا ينضب لمسيرة هذا الوطن.

استلهمنا منها أعمالنا واتخذناها منهاجاً

وعلى طريقها القويم تابعنا مسيرة النجاح.

اليوم وفي المستقبل، سنبقى أوفياء لقيمنا

الأصيلة متمسكين بها ملتزمين بنهجها

لتبقى دائماً الأساس المتين لنجاحنا المستمر.

نعتزّ بقيمنا